

نظرة شرعية في:

كتابات وروايات تركبي الصمد

مع ملحق يحوي بيانات الشيخ العلامة :
عبدالمحسن العباد في بيان حال تركبي الحمد

سليمان بن صالح الخراشي





نظرة شرعية في

كتابات وروايات تركي الحمد



الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ

حقوق الطبع محفوظة لكل مسلم



المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد : فهذه دراسة موجزة كتبتها قبل عدة سنوات عن مفكر سعودي بارز، هو الدكتور تركي الحمد، الذي عرفه الكثير كاتباً صحفياً سياسياً، ثم روائياً، أحدثت آراؤه وعباراته ضجةً، وأثارت حولها الكثير من الأصدقاء المتباينة.

لذا ؛ فقد اخترت أن تكون هذه الدراسة من نصيبه ؛ لكي نستبين فكره الذي لم يتضح للجميع من خلال ما خطه بيده في

مؤلفاته، ولكي نعلم ما يريد الدكتور قوله أو إيصاله إلى أفراد مجتمعنا. وقد اخترت مؤلفين مُهمَّين من مؤلفات الدكتور (القليلة)، رأيت أنهما يوجزان أفكاره التي يدور حولها في (أغلب) مقالاته ليكونا ساحةً لنقاشي معه.

ثم أعقبت ذلك بدراسةٍ عن مضامين روايته الثلاثية التي من خلالها اشتهر، مع مقارنتها بثلاثية نجيب محفوظ الشهيرة.

وقد تعمدت الوضوح وسهولة العبارة، مع الإيجاز غير المخل؛ لأن القصد معرفة مراد الدكتور، ثم التعقيب عليه بما يجلي وجه الحق في المسألة المطروحة، دون لجوء إلى إطالة مملة، أو لغة مغلقة، أو نقولات مطولة.

وقد جعلت هذه الدراسة في أربعة مباحث.

المبحث الأول : التعريف بالدكتور، ومؤلفاته.

المبحث الثاني : نقد كتابه (الثقافة العربية أمام تحديات التغيير).

المبحث الثالث : نقد كتابه (دراسات أيديولوجية في الحالة العربية).

المبحث الرابع : دراسة مضامين روايته الثلاثية. ثم خاتمة موجزة.

ولا يفوتني أن أشكر أخي الشيخ: محمد بن سليمان المهنا على تفضله بمراجعة هذه الدراسة، وإفادتي بتوجيهاته القيِّمة.

والله أسأل أن ينفع بهذه الدراسة من قرأها، وأن يُعز دينه، ويُعلي كلمته، ويهدي ضال المسلمين، ويردهم إليه رداً جميلاً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

التعريف بتركي الحمد^(١)

هو : تركي بن حمد التركي الحمد، المشهور بـ(تركي الحمد) من أسرة قصيمية انتقلت إلى المنطقة الشرقية، وسكنت الدمام، وكان والده يعمل في شركة (أرامكو).

- من مواليد ١٠ / ٣ / ١٩٥٢م بالأردن، الكرك " العقيلات " .
- درس الابتدائية والمتوسطة والثانوية بمدينة الدمام.
- حصل على البكالوريوس في الاقتصاد والعلوم السياسية من جامعة الرياض (الملك سعود حالياً) عام ١٩٧٥م.
- ثم سافر إلى الولايات المتحدة لمدة عشر سنوات، حصل فيها على الماجستير في العلوم السياسية من جامعة (كلورادو) عام ١٩٧٩م.
- ثم حصل على الدكتوراه في العلوم السياسية - أيضاً - عام

(١) نقلاً عن: " الاثنية " لعبدالمقصود خوجه (ج ١٧)، و " العلمانية والممانعة الإسلامية " لعلي العميم (ص ٢٣٥ - ٢٤٨)، والمقابلة التي أجرتها معه قناة اقرأ الفضائية في يوم ١٣/٨/١٤١٩هـ، ومجلة "فواصل" (العدد ٥٠). وقد وصفته هذه المجلة - هدى الله القائمين عليها - بأنه " أحد الذين بنور أفكارهم تستضيء العقول، وأحد الذين بلمعان جواهرهم تنير الآفاق " ! ومن كتب هذا الكلام حرياً به أن يقرأ هذا الكتاب الذي يبين له حقيقة هذا المفكر المنير للعقول! لعله يتراجع عن مدحه السابق امتثالاً لقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

- ١٩٨٥م، من جامعة جنوب كاليفورنيا.
- عمل أستاذاً للعلوم السياسية بجامعة الملك سعود منذ عام ١٩٨٥م إلى عام ١٩٩٥م.
- ثم طلب التقاعد المبكر ليتفرغ للكتابة - كما يزعم هو -^(١)، وقيل إنه أُجبر على ذلك ؛ لأرائه وتوجهاته.

❁ مؤلفاته :

- ١- الحركات الثورية المقارنة، عام ١٩٨٦م.
- ٢- دراسات أيولوجية في الحالة العربية، عام ١٩٩٢م.
- ٣- الثقافة العربية أمام تحديات التغيير، عام ١٩٩٣م.
- ٤- عن الإنسان أتحدث ١٩٩٥م.
- ٥- السياسة بين الحلال والحرام، عام ٢٠٠٣م.
- ٦- رواية ثلاثية بعنوان (أطياف الأزقة المهجورة) (٩٧ - ١٩٩٨م).
- أ - العدامة.
- ب - الشميسي.
- ج - الكرايب.

(١) سألت مجلة "فواصل" في مقابلتها تركي الحمد عن سبب طلبه للتقاعد المبكر من الجامعة وتفرغه للكتابة، فقال: "لأنني شعرت أنني أستطيع أن أنتج فكرياً خارج الجامعة أكثر مما لو بقيت داخل الجامعة، وأنا أقول لكم بصراحة شديدة جداً: إن الجامعات العربية بشكل عام تحولت إلى نوع من القيد على الفكر...!" فما هو هذا (الفكر) (المنير) الذي يريد تركي التفرغ له ونشره بين الناس؟! هذا ما ستعرفه عند فراغك من هذا الكتاب - إن شاء الله-.

٦- رواية (شرق الوادي)^(١)

- له العديد من المشاركات الصحفية عبر المقالات، كمقالاته الأسبوعية في جريدة الشرق الأوسط، أو مقالاته في جريدة الحياة، أو مجلة الاتصال، وغيرها من المجلات.



(١) وهي رواية رمزية مغرقة في الغموض، ولأجل هذا لم يستطع الدكتور غازي القصيبي نفسه فهمها! كما صرح بذلك للمجلة العربية.

نقد كتاب

(الثقافة العربية أمام تحديات التغيير)

يقول تركي الحمد في مقدمة كتابه هذا :

(يعيش الإنسان (بصفته فرداً أو جماعة) ضمن محيط طبيعي واجتماعي)^(١).

(إدراك واستيعاب هذا المحيط لا يكون إلا عن طريق وسيط معين، ألا وهو مجموعة من المفاهيم والتصورات والمصطلحات والكلمات التي من خلالها تنتقل صورة الموضوع إلى الذهن)^(٢).

(المفهوم ليس إلا تصور ذهني يقوم بنقل الموضوع (المحيط) الذي هو متغير بطبيعته، وبالتالي لا بد للمفاهيم والتصورات أن تكون متغيرة بدورها، وإلا فإنها سوف تتحول إلى وسيط مزيف عندما تثبت في محيط متغير)^(٣).

(الإشكالية تنبع من أن الإنسان (فرداً أو جماعة) ينحو في كثير من الأحيان إلى تقديس الكلمات والمفاهيم والمصطلحات، وإعطائها بُعداً ثابتاً، بحيث تتحول مثل هذه المفاهيم والمصطلحات والتصورات والأحكام إلى قيد على الإدراك، ومن

(١) الثقافة العربية أمام تحديات التغيير (ص ١٠).

(٢) المصدر السابق (ص ١٠، ١١).

(٣) المصدر السابق (١٢، ١٣).

ثم التمثل ، ومن ثم الحكم على الأشياء والعلاقات) (١).

ثم يؤكد تركي هذا حين يزعم (أن الأزمة المعاصرة للثقافة العربية) إنما تكمن في هذه النقطة المتحدّث عنها آنفاً. مجموعة من المفاهيم والتصورات والقيم اكتسبت صفة الثبات المطلق (بل السكون) وفقدت بالتالي الصلة مع الواقع أو المحيط المتغير، فأصبح الإدراك الذي تنقله، وبالتالي الأحكام الصادرة عنها، إدراكاً وأحكاماً مزيفة أو مشوشة على الأقل، وهذا ما نتبينه من خلال التعامل العربي المعاصر مع أحداث هذا العالم وتحولاته، من حيث عدم القدرة على فهم مجريات الأمور، وعدم القدرة على تحقيق الأهداف، وبالتالي المراوحة في مكانك سر رغم كل دعوات النهضة والثورة والإصلاح وغيرها من اتجاهات ايدولوجية تختلف شكلاً ولكنها ذات بنية واحدة مضموناً، حيث إنها في نهاية المطاف تتحدّد بذات الثقافة العاملة في إطارها، وتنتمي إلى ذات الخطاب، وتصدر عن نفس العقل) (٢)

قلت : ملخص أزمنا عند تركي الحمد هو أن :

- ١- العالم (أو المحيط) من حولنا متغير.
- ٢- إدراكنا لهذا العالم (المحيط) يتم بواسطة (مجموعة من المفاهيم والتصورات والمصطلحات والكلمات) تنقل لنا (المحيط) الذي هو بطبيعته متغير. إذن :

(١) المصدر السابق : (ص ٢٠).

(٢) المصدر السابق (ص ٢٢).

- ٣- لا بد أن تكون تلکم المفاهيم متغيرة، وإلا فإنها ستتحول إلى وسيط مزيف إذا (ثبتت) و (سكنت).
- ٤- أزمنا أننا ثبنا المفاهيم وقدسناها لتكون حاکمة على الأشياء والعلاقات.

هذا هو ملخص الأزمة في نظر تركي، ومشكلته أنه يستخدم مصطلحات عامة وليست محددة لتبين مقصده بكل وضوح.

وكان الأولى به ما دام قد نصّب نفسه مفكراً يسعى إلى خدمة وطنه وأمته، ومشخصاً لأدوائها، ومقترحاً حلول مشاكلها، أن يلجأ إلى لغة (صريحة) يفهمها من يوجه إليهم هذه النصائح والحلول، أما اللجوء إلى اللغة حمّالة الأوجه فهو مما يزيد الأزمة تعقيداً ويشغل الأذهان، ويجول بها بين الظنون والاتهامات.

وجوباً على مقولتك أو (تشخيصك) السابق أقول :

أولاً : قولك إن (المحيط من حولنا متغير)، ماذا تقصد بالمحيط أو العالم من حولنا الذي هو متغير في نظرك؟ وهو ما سيترتب عليه أن تتغير مفاهيمنا لأجله.

إن كنت تقصد بهذا العالم ظواهره الجغرافية الطبيعية من حولنا، فهي لم تتغير مكوناتها منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها، فالسما هي السماء، والشمس هي الشمس، والقمر هو القمر، والجبال هي الجبال، والأرض هي الأرض، والبحار هي البحار، وهكذا: الأنهار والماء والهواء والنار والشجر والحيوانات.

كل هذا لم يتغير منذ أول بشرٍ مخلوق، وهو آدم ﷺ إلى يومنا هذا.

وإن كنت تقصد بالمحيط المتغير : الأعراض الملازمة للأشياء، من صحة ومرض، أو سواد وبياض، أو حار وبارد، أو خشن وناعم . . . إلخ، فهذه أيضاً لم تتغير منذ وُجدت الأرض. وإن كنت تقصد بالمحيط المتغير : الإنسان وطبائعه المختلفة، فهذه لم تتغير - أيضاً -، فالإنسان هو الإنسان، يغضب ويرضى، ويحب ويكره، ويفرح ويحزن، ويسعد ويتألم.

وإن كنت تقصد (الأخلاق)، فهذه - أيضاً - لم تتغير، والناس مجمعون عليها من قديم الزمان، فالصدق غير الكذب، والكرم غير البخل، والعز غير الذل، والشجاعة غير الجبن، والمروءة غير الخسة، وهكذا.

والناس مجمعون على مدح الأخلاق الشريفة، من صدق وشرف وشجاعة وكرم ومروءة وشهامة ونُصرة .. إلخ.

وهم مجمعون - أيضاً - على ذم الأخلاق الدنيئة، من كذب ومهانة وجُبن وبخل وخسة ونذالة ومكر وخديعة .. إلخ

فهذه (الأخلاق) لم تتغير. والناس منذ نشأتهم إلى يومنا هذا يحرصون على أشرفها، ويجانبون أرذلها.

وإن كنت تقصد بالمحيط المتغير : المحللات والمحرمات، فهذه الأصل فيها الحل كما قال العلماء^(١)، وألا يُنتقل عن هذا

(١) على القول الراجح. وانظر المسألة مع توثيق أقوالها في " العدة في أصول الفقه " للقاضي أبي يعلى (٤/١٢٣٨ وما بعدها) مع تعليقات المحقق الشيخ أحمد سير المباركي - حفظه الله - .

الأصل إلا بوحي من الله. فهو المحلل والمحرم سبحانه. وقد نهى عباده أن يحلّوا ويحرموا دون استناد على الوحي، فقال: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [التحل: ١١٦].

فما أحله الله فهو حلال طيب.

وما حرمه فهو محرم خبيث.

وما كان من الأشياء محرماً ثم حُلّ، فهو حال تحريمه لا نفع للناس فيه، وحال تحليله أصبح من الطيبات.

وما كان منها مُحللاً ثم حُرّم، فإنه حال حله نافع للناس، وحال تحريمه أصبح من الخبائث التي لا نفع فيها.

إذن ؛ فالمحللات والمحرمات تتبع الوحي، وهي لا تتغير إلا بتغيير الوحي لها.

فالزنا - مثلاً - محرم في جميع الأحوال، فلا يأتي يوم يُحلّل فيه، لأن الوحي قد انقطع بعد وفاة محمد ﷺ، الذي أكمل الله به الدين، فالزنا باقٍ على تحريمه إلى يوم الدين.

وأكل لحم الحمار الأهلي - مثلاً - كان حلالاً في بداية الإسلام، ثم تغير حكمه إلى التحريم، لأن الوحي جاء بتحريمه بعد تحليله، فالمرجع الوحي لا تعاقب السنين وتغيّر الأحوال.

والوحي قد انقطع بوفاة محمد ﷺ، واستقرت الأحكام بعد وفاته، وعُرف الحلال والحرام، وهو باقٍ على حكمه - من حل وحرمه - إلى يوم القيامة، لا يستطيع أحد أن يغير هذا الحكم.

نعم : قد يرتكب فردٌ أو مجتمعٌ محرماً، بل وتوضع القوانين لتحليله، كمساواة المرأة بالرجل في الميراث - مثلاً -، ولكن حكمه باقٍ عند الله على الحرمة لا يغيره اجترأ الناس على ارتكابه، وسيلاقى من ارتكب هذا المحرم جزاءه، سواء كان ارتكابه ذلك ينم عن كفر أو معصية.

وإن كنت تقصد بالمحيط المتغير : أمور (العقيدة) وما يتبعها من غيبيات، فهذه - أيضاً - لم تتغير. فالله - سبحانه - لم تتغير أسماؤه الحسنى ولا صفاته العلى.

وهكذا الملائكة، وهكذا الجن، وهكذا الشياطين، وهكذا الجنة، وهكذا النار... الخ.

كل هذا لم يتغير.

قد تقول : بل هو متغير، لأن بعض البشر كانوا يعتقدون بالهين اثنين، وبعضهم بثلاثة، وبعضهم بأكثر.

وبعض البشر ينكر الملائكة والجن والشياطين، أو يتأولها، وبعضهم لا يعتقد وجود جنة ولا نار، بل يُكذِّب بمجمل البعث بعد الموت.

فأقول : كل هذا لم يغير شيئاً من ذلك ولو اعتقده بعض الناس. فالحق واحد لا يتغير، سواء أعرفه الناس أم لم يعرفوه - وسواء اعتقدوه أو لم يعتقدوه.

مثال ذلك : لو أن شخصاً أبرز لنا رقماً من الأرقام، وليكن رقم واحد مثلاً، ثم قال لنا : كم هذا؟ فقال بعضنا : اثنان !،

وقال بعضنا : بل ثلاثة !، وقال آخرون : بل أربعة !، وقال غيرهم : بل خمسة !، وهكذا.

هل يُقال بأن الواحد تغير؟! لا أحد يقول بهذا، فالواحد هو الواحد، ولو لم يعرفه الناس، أو لم يصبوه. وهكذا أمور العقيدة والغيب.

بقي أن يقال للحمد بأن المتغير الذي يجب أن تقصده هو الوسائل أو عادات الناس.

أما الوسائل فهي متغيرة، ولا يجحد هذا عاقل. فقد كان الناس يستخدمون أرجلهم ورواحلهم في تنقلاتهم، ثم أصبحوا يستخدمون السيارة والطائرة. وكانوا يطبخون على الحطب، ثم أصبحوا يستخدمون الكهرباء والغاز ونحوهما. وكانوا يأكلون في أواني قديمة، ثم أصبحوا يأكلون في أواني حديثة.

وكانوا يكتبون بالريشة والحبر، ثم أصبحوا يكتبون بالقلم. وكانوا يتحدثون مع البعيد بواسطة رفع الصوت، فأصبحوا يتحدثون معه بجهاز يكبر صوتهم أو ينقل صوت الآخر إليهم. وهكذا...

وهذه الوسائل هي نعمة من نعم الله على الإنسان الذي وفقه لاختراعها ؛ لتسهل له أمور معيشتة. وقد امتن الله على السابقين

بتيسير الوسائل المريحة لهم - في عهدهم - ، فقال سبحانه :
 ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا
 تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا
 أَثْنَا وَمَتَعًا إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾ [النحل : ٨٠].

وقال : ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ
 بِالْأَسْكَمِ﴾ [النحل : ٨١].

وقال : ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِرِكْبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا
 تَعْلَمُونَ﴾ [النحل : ٨].

وهكذا أبناء هذا الزمان سخر الله لهم من الوسائل المريحة
 والميسرة لمعيشتهم الشيء الكثير، فالواجب عليهم شكرها لتدوم
 وتزيد، ﴿لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم : ٧].

وحكم هذه الوسائل أنها حلال طيب مالم يلبسها محرم، أو
 وسيلة إليه.

مثال ذلك : الساعة للرجل حلال طيب، مالم تكن مصنوعة
 من ذهب، فإنها تكون محرمة لاحتوائها على محرم (أصلي) وهو
 الذهب. وعلى هذا فقس.

وأما عادات الناس فإنها تتبع مجتمعاتهم، وأذواقهم، فتختلف
 باختلاف البلدان، وهي - أي العادات - قسمان :

١- قسم يخالف الشرع^(١)، مثال ذلك عادة بعض المجتمعات

(١) قد تكون المخالفة: كفرًا أو تحريمًا أو كراهية، باختلاف طبيعة هذه العادة.

في التحاكم إلى شيوخهم بدلاً من الكتاب والسنة، فهذه عادة كفرية والعياذ بالله، والواجب تغييرها، وإرجاع الناس إلى التحاكم بالشرع، وهكذا.

٢- قسم لا يخالف الشرع : فهذا يُترك أمره لأهل ذاك المجتمع أو البلد، فإن رأوا فيه نفعاً أو معيناً على منفعة أبقوه، وإن رأوا فيه ضرراً، أو كان معيقاً لهم عن المنافع أزالوه بأحسن منه.

مثال ذلك : عادة رجال بعض المجتمعات أو البلدان عدم تغطية رؤوسهم، أو عاداتهم تأخير جزء من المهر، وهكذا غيرها من العادات التي لم يحرمها الشرع، فهذه ترجع إلى حال الناس.

إذن : اتضح لنا أن المتغير أمور يسيرة تتبع وسائل الناس وعاداتهم، ولكن تركي الحمد قد ضخم الأمر وهوّله على القارئ ليجعله متهيئاً لكل تغيير يريده (المفسدون)، ولو كان تغييراً إلى الأسوأ والأحط والأسفل.

وهذا (الأسلوب) الذي استخدمه الحمد قد استخدمه قبله آخرون من أبالسة هذا الزمن وكبراء رهط المفسدين، الذين قال الله عنهم : ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النمل : ٤٨]. ولكنهم فشلوا في تحقيق ما يريدون.

ثم جاء الحمد متأخراً ليردد أسلوبهم ويُرجع صداهم في بلاد لا تتأقلم مع أي تغيير مفسد، لكي يجعل لهذا التغيير (المأمول !) قاعدة (عقلية) أو (ثقافية).

وإلا فإنه لو كان مخلصاً لدينه، و صادقاً مع مجتمعه لطالبهم

بالالتزام بالإسلام التزاماً جاداً، لأنه يدعو إلى كل فضيلة، ويُبعد أبناءه عن كل رذيلة، وطالبهم (بتغيير) عاداتهم المخالفة للإسلام، والضارة بالمجتمع.

ثم طالبهم وحثهم على الارتقاء في سلم الحضارة (الدنيوية) التي تزدهر بها البلاد، وترفع بها عن الاتكال على الآخرين، من إنشاء المصانع النافعة المتنوعة، وتطوير أساليبها، وتسهيل الحال لمرتاديها، وتشجيعهم على خوض غمارها، وجلب كل نافع لها من خبراء أو معدات متطورة، وتوسع في مجالات الزراعة، وتنويع إنتاجها، واهتمام بكل عقل نابه من أبنائنا، ومساعدتهم على تطوير موهبتهم والتفرغ لها، وجلب لهم ما يحتاجونه، وتأمين وسائل المعيشة لهم لِيُنتجوا وينافسوا غيرهم دون (خوف) أو (حذر).

وهكذا مطالبتهم بالاهتمام بأمر المرأة المسلمة، وأن تنال حقها من العلم الذي ينفعها والمناسب لطبيعتها، كمعرفة أمور دينها، ومعرفة الطرق السليمة للتعامل مع الطفل منذ ولادته، ومعرفة أساسيات الصحة، والأجهزة المتنوعة التي تتعامل معها في البيت. ومعرفتها كل جديد مفيد لها؛ كتعلم الحاسب الآلي أو الاقتصاد المنزلي، أو فن التنسيق (الديكور).. الخ.

والمطالبة بأن تعمل المرأة (المضطرة لذلك) في المجالات التي تتوافق مع تعاليم الإسلام، وتتلاءم مع تكوينها وطبيعتها، لكي تُسهم في شغل وقتها بما ينفعها ويفيد مجتمعها، دون أن تضطر لارتكاب محظور.

كان الأولى بالحمد - وهو المفكر الذي يدعي النصح لمجتمعه - أن يطالب بهذا ليكون من (المصلحين) الذين ينفع الله بهم ويبارك في آثارهم، ويُصلح في الآخرة بالهم.

أما ترديد كلمة (التغيير) بأسلوب مجمل لا يحمل معنىً محدداً، فهو من تضييع الجهود، وتعميق جراح الأمة، والتمهيد لها أن تتنكب سبيل الحق والفلاح في الدنيا والآخرة. وهذا ما لا نرضى للحمد أن (يقدم) قومه فيه، فإن (التقدم) أحياناً قد يقود إلى النار! قال سبحانه عن فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ ﴿٩٨﴾ [هُود: ٩٨].

أما دعوة (نسبية الحقيقة) وهي ما تلمح من وراء أسطر الحمد في كتاباته، فيقال في ردها بأن ("نسبية الحقيقة" إحدى الركائز التي تقوم عليها الثقافة الغربية منذ نهضة أوروبا الحديثة، ويربط المفكرون الغربيون بين تلك الركيزة وتغير الظروف الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والسياسية المحيطة بالمجتمع، ويعتقدون أن تغير الحقائق الحياتية يقتضي نسبية الحقيقة، غير أن تكون تلك الركيزة في الثقافة الغربية يعود إلى فترة أبعد من العصور الحديثة ويرتبط بالعصور الوسطى).

فمن المعروف أن الكنيسة كانت تنطلق آنذاك في حكمها لأوروبا من نص "الإنجيل المقدس"، الذي كان ثابتاً والذي كانت تحتكر الكنيسة تفسيره، وعندما قامت حقائق علمية وكونية متعددة تناقض النص الثابت، وتناقض تفسير رجال الكنيسة له وقع التصادم المريع بين الدين والعلم، وكانت النتيجة اضطهاد رجال

العلم بحجة مخالفة النص المقدس الثابت، ولكن الكنيسة انهزمت أمام الثورة عليها وأمام حقائق العلم، واعتبرت الثورة رجال الدين عقبة في طريق العلم والتقدم، وصار الربط عندئذ بين النص المقدس وثبات الحقيقة، وكذا بين العلم ونسبية الحقيقة.

ومنذ أن بدأ التفاعل بين الثقافتين : الغربية والإسلامية، كان أبرز صور التصادم بين نسبية الحقيقة في الثقافة الغربية وبين النص "القطعي الثبوت القطعي الدلالة" في الثقافة الإسلامية.

من أول صور التصادم ما أثاره طه حسين في كتابه " في الشعر الجاهلي " عام ١٩٢٦م، فقد تعرض لنصوص قطعية الثبوت قطعية الدلالة، تحدثت عن بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام للكعبة، وتشكك في تلك الحقيقة، وحتى في وجودهما التاريخي، وفي هجرتهما، ورأى أن قريشاً اختلقت تلك القصة لأسباب سياسية واقتصادية، ورأى فيها نوعاً من الحيلة لإثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة، وبين الإسلام واليهودية، والقرآن والتوراة من جهة أخرى^(١).

ومن صور التصادم أيضاً : حديث الدكتور حسين أحمد أمين في كتابه " حول الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية " عن حد السرقه الذي ورد فيه نص قطعي الثبوت قطعي الدلالة، في قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]، فقد ربط

(١) انظر لبيان حقيقة فكر الدكتور طه حسين - بالتفصيل - : " طه حسين في ميزان العلماء والأدباء " ؛ للشيخ محمود الإستانبولي - رحمه الله - .

الدكتور بين ذلك الحد وبين الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية آنذاك، وبين أن العربي كان ينقل كل متاعه على راحلته، وأن سرقة تعني كل ما يملك من جهة، وتعني هلاكه من جهة ثانية، لذلك جاء الحكم بتلك الصورة، لأنه مرتبط بالأموال المنقولة، والآن أصبحت الأموال غير المنقولة أثمن وأعلى من الأموال المنقولة، لذلك فهو يقترح تغير الحكم انطلاقاً من تغير الوضع الاقتصادي!^(١)

أما نصر حامد أبو زيد، فقد تحدث في كتابه " نقد الخطاب الديني " عن النصوص القطعية الثبوت القطعية الدلالة في مجالات عدة منها : صفات الله، وفي الحسد، والسحر، والجن، والشياطين، وقد اعتبر أن الألفاظ الأخيرة مرتبطة بواقع ثقافي معين، ويجب أن نفهمها في ضوء واقعها الثقافي، وأن وجودها الذهني السابق لا يعني وجودها العيني، وقد أصبحت الآن ذات دلالة تاريخية، وهذا ينطلق في أحكامه السابقة من أن النصوص الدينية نصوص لغوية تنتمي إلى بنية ثقافية محدودة، تم إنتاجها طبقاً لنواميس تلك الثقافة التي تعد اللغة نظامها الدلالي المركزي، وهو يعتمد على نظرية عالم اللغة «دي سوسير» في التفرقة بين اللغة والكلام، وينتهي أبو زيد إلى ضرورة إخضاع النصوص الدينية للمناهج اللغوية المشار إليها سابقاً^(٢).

(١) انظر لبيان حقيقة فكر الدكتور حسين أحمد أمين - بالتفصيل - : " نظرات شرعية في فكر منحرف " ؛ لكاتب هذه الأسطر.

(٢) انظر لبيان حقيقة فكر الدكتور نصر أبو زيد - بالتفصيل - رسالة: " ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر " ؛ للدكتور خالد السيف.

أما الدكتور محمد شحرور في كتابه " الكتاب والقرآن : قراءة معاصرة " ، فقد اعتبر أن جميع النصوص القطعية الثبوت القطعية الدلالة في مجال الحياة الاجتماعية: كالنكاح، والطعام، وفي مجال الحدود: كحد السرقة، والزنى، والحراة، والقتل العمد... إلخ، وفي مجال الأحكام: كتوزيع الميراث، وأخذ الربا... إلخ، جميع تلك النصوص خاضعة لاجتهادٍ رسم له حدين: أدنى وأعلى، وقد اعتبر أن سنة الرسول ﷺ هي اجتهاد محمد ﷺ لتطبيق حدود الإسلام ضمن بيئة الجزيرة العربية، وبالتالي، فإن تطبيقه لها ليس ملزماً لنا في شيء! (١)

لا شك في أن نسبية الحقيقة هي النظام الذي يشمل كل تلك الأطروحات بدءاً من تشكك طه حسين في الوجود التاريخي لإبراهيم وإسماعيل ﷺ، وفي واقعة بنائهما الكعبة، ومروراً بربط حسين أحمد أمين لحد السرقة بظاهرة الأملاك المنقولة، وباعتبار نصر حامد أبو زيد السحر والحسد والجن والشياطين ألفاظاً ذات دلالة تاريخية، وانتهاءً باعتبار محمد شحرور جواز تأرجح الحد بين اجتهادين أعلى وأدنى.. ولا أريد أن أكرر الحديث عن الخصوصية التاريخية التي جعلت ثقافة الغرب تقوم على نسبية الحقيقة، ولا أريد أن أفصل مناقشة رأي كل كاتب فيما يتعلق بالنصوص القطعية الثبوت، القطعية الدلالة التي تعرض لها، ولكنني أرد موجزاً مختصراً فأتساءل: هل يجوز لطله حسين أن يرد

(١) انظر لبيان حقيقة فكر الدكتور محمد شحرور - بالتفصيل -: " النزعة المادية في العالم الإسلامي: نقد كتابات جودت سعيد، محمد إقبال، محمد شحرور على ضوء الكتاب و السنة "؛ للأستاذ عادل التل.

نصوصاً قطعية الثبوت قطعية الدلالة في شأن وجود إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - وفي شأن بنائهما الكعبة لا لشيء سوى لوجود أساطير مشابهة قبلها الرومان عن بناء روما من باينياس بن بريام صاحب طروادة اليونان؟ ولماذا يربط حسين أحمد أمين بين حد السرقة والأموال المنقولة ولا يربط ذلك بفعل السرقة الشنيع، وما يشتمل عليه من ترويع وتخويف واعتداء على المسروق، وما يصوره من طمع السارق ودناءته وتطلعه إلى ما في يد الغير بغير حق مشروع؟ ولماذا يعتبر نصر حامد أبو زيد الكلمات : السحر والحسد والجن والشياطين ألفاظاً ذات دلالات تاريخية؟ فهل نفى العلم بشكل قطعي وجود حقائق عينية لتلك الألفاظ حتى نعفي عليها ونعتبرها ألفاظاً لا حقائق لها وذات دلالات تاريخية؟ ولماذا يُخضع محمد شحرور الألفاظ القرآنية للتحليل اللغوي المعجمي، مع أن الإسلام أخرج كثيراً من الألفاظ من معناها اللغوي وجعلها مصطلحات أعطاهها معاني أخرى، أمثال : الصلاة، الزكاة، الأيمان، الكفر، الحد.. إلخ، وعليه أن يحترم هذه المصطلحات عند أي بحث علمي؟

والآن أعود إلى نسبية الحقيقة التي تتصادم مع النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة، الذي يؤدي إلى ثبات الحقيقة، وأتجاوز الظروف التاريخية التي جعلت نسبية الحقيقة جزءاً أساسياً من ثقافة الغرب، والتي تختلف عن ظروفنا التاريخية، وأتساءل : هل حقاً ليس هناك ثبات في الحقيقة؟ ومن أين جاء النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة في ثقافتنا الإسلامية؟ وما سنده الواقعي في صيرورة الكون؟

إن الإجابة عن الأسئلة السابقة تقتضي أن نقرر أن هناك ثباتاً في الحقيقة، وإلا لما سميت حقيقة، وبشكل أدق جاء الثبات في الحقيقة من ثبات بعض النواميس التي تحكم الكون، ومن الفطرة التي قال الله عنها : ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِحَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينَ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٠) [الرُّوم: ٣٠].

ومن مظاهر الفطرة الثابتة إلى مدار التاريخ : التعبد، وحب التملك، والتجاذب بين الذكر والأنثى، وإعلاء قيم الصدق والأمانة، وإسفال قيم الكذب والخيانة... إلخ، لذلك جاء النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة في الشريعة ليعبر عن تلك الحقائق الثابتة المنغرس في الفطرة، فكانت أحكام العقيدة وأحكام العبادات ثابتة، لأنها تتعلق بفطرة التعبد، وكانت أحكام فرضية الزكاة وتحريم الربا، وتشريع حد السرقة ثابتة، لأنها تتعلق بفطرة حب التملك، وكانت أحكام الخطبة والزواج والطلاق ثابتة ؛ لأنها تتعلق بفطرة التجاذب بين الذكر والأنثى، وكانت أحكام مدح الصادقين وإجمال مشوبتهم ثابتة ؛ لأنها تتعلق ببعض الأخلاق الفطرية.

في النهاية نقول : طالما أن هناك فطرة ثابتة لا تتغير، فهناك حقائق ثابتة لا تتغير، وهذا ما قادت الظروف التاريخية أوروبا لإنكاره، وليس بالضرورة أن يكون الصواب مع أوروبا^(١).

(١) مقال للأستاذ: غازي التوبة بعنوان: (بين نسبية الحقيقة والنص القطعي الثبوت والدلالة) في مجلة المجتمع (العدد ١٣٣٧)، وانظر: كتابي " ثقافة التلبس " (ص ١١٣ - ١٢٨).

ثم قال تركي الحمد تحت عنوان (الخصائص العامة للثقافة العربية) بأن (هناك ثقافة عربية واحدة، وهناك ثقافات عربية فرعية) ^(١) كما أن هناك (ثقافة إنسانية شاملة) ^(٢) وهناك (ثقافات قومية مختلفة ذات تباين وتمايز واضح) ^(٣) وهناك (الثقافات الوطنية (القطرية) والمختلفة والمتباينة) ^(٤) وهناك (ثقافات فرعية متباينة في ذات الإطار الوطني) ^(٥).

ثم يقول تركي : (ما نريد قوله إن المسألة ليست قطعية ومطلقة أو أحادية الجانب بحيث يمكن القول مثلاً إن هنالك ثقافة عربية واحدة ولا شيء عداها (التيارات القومية)، أو إن هنالك تراث إنساني وحسب (التيارات الأممية)، أو إن هنالك تراث ديني وحسب (التيارات الدينية)، أو إن هنالك ثقافة وطنية وحسب (التيارات القطرية)، بل إن المسألة متشابكة ذات أبعاد تعددية وليست أحادية. نعم هناك ثقافة عربية واحدة ذات خصائص محددة ومعينة مشتركة، ولكن إلى جانبها، أو في إطارها، هناك ثقافات فرعية لا يمكن حصرها. فعلى المستوى الأفقي هنالك ثقافات وطنية (قطرية) متميزة، وفي ذات الأقطار هنالك ثقافات إقليمية متميزة هي الأخرى، وعلى مستوى الإقليم هنالك تمايز أيضاً، وهكذا. وعلى المستوى الرأسي (سواء على مستوى الجامعة

(١) الثقافة العربية (ص٢٥).

(٢) المصدر السابق (ص٢٦).

(٣) المصدر السابق (ص٢٦).

(٤) المصدر السابق (ص٢٦).

(٥) المصدر السابق (ص٢٦).

القومية أو الجامعة الوطنية وما هو أقل من ذلك) هنالك ثقافات متميزة أيضاً : ثقافة قبلية، مدنية، جماهيرية نخبوية، فلاحية، عمالية، طلابية، أكاديمية... الخ. موطن الداء والعلة ليس في التمايز والاختلاف بين الثقافات على اختلاف أنواعها، إذ أن ذلك من طبيعة الوجود البشري على هذه الأرض، ولكن الداء والعلة يكمنان في الوقف " الصفري " أو الأحادي من هذه الثقافات وتمايزها. وبذلك نعني أنه عندما توضع المسألة على أن الاعتراف بإحدى هذه الثقافات لا بد وأن يكون على حساب الثقافات الأخرى.

ولتوضيح المسألة نقول : عندما يقول الأممي بثقافة إنسانية معينة شاملة : (إسلامية، مسيحية، بروليتارية . . . ، الخ) فإن ذلك لا عيب فيه ولا تثريب، ولكن عندما يقول بأحادية هذه الثقافة وإطلاقها، ونفي ما عداها فإننا والحالة هذه بصدد موقف دوغماتي شوفيني مناقض لواقع الأمور وطبيعتها، ونفس الشيء يمكن أن يُقال عن الموقف القومي أو الوطني القطري أو نحو ذلك، عندما ينحو منحىً أحادياً صفرياً. هذه هي العلة وهذا هو الداء^(١).

ثم يقول : (خاتمة القول : هنالك ثقافة عربية مشتركة، كما أن هنالك ثقافة وإراثاً إنسانياً مشتركاً، ولكن في ظل هذه الثقافة المشتركة هنالك ثقافات فرعية أخرى (أفقية ورأسية) متميزة ومتعددة. ويجب الاعتراف بمثل هذه التعددية الثقافية إذا كان المراد الانطلاق من أرض الواقع وآليات هذا الواقع للتحكم في

(١) المصدر السابق، (ص ٢٦ - ٢٨).

تحديد مسار هذا الواقع من أجل تحقيق الأهداف والغايات المرجوة. أما إذا بقيت الأحادية هي المنهج، والدوغما هي المعتقد، والشوفينية هي منطق الايديولوجيا، فإننا في هذه الحالة لن ندرك الواقع ولن نستوعبه ونفهمه وبالتالي لن نستطيع التحكم فيه وفي مساره ومن ثم لا أهداف تتحقق ولا غايات تتجسد، بل تبقى طواحين الهواء ودون كيشوت^(١)(٢).

قلت : لم يأتِ تركي الحمد بجديد في هذا الموضوع، فالجميع - كباراً وصغاراً ! - يعلمون أن هناك أدياناً وثقافاتٍ متباينة تعيش على هذه الأرض، في زماننا هذا، وفي الأزمان الماضية، منذ أن تفرق الناس أشتاتاً بعد أن كانوا مجتمعين على دين واحد، وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسل.

يقول الله تعالى ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣].

قال ابن عباس رضي الله عنهما - : (كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين)^(٣).

فالناس كانوا مجتمعين على دين وثقافةٍ واحدة قبل أن يسلك بهم الشيطان ذات اليمين وذات الشمال، ويغويهم عن دينهم.

(١) دون كيشوت الذي يشير إليه تركي رجل موسوس، مغرم بالفروسية والبطولة، حارب طواحين الهواء يعتقد أنها الأعداء فقدفته هو وحصانه ورمحه بعيداً!

(٢) المصدر السابق، (ص ٢٨ - ٢٩).

(٣) تفسير ابن كثير (١/٢٥٧).

مما ترتب عليه أن بعث الله الرسل فيهم لتدعوهم إلى ما كانوا عليه من توحيد ربهم، وتردهم إلى الصراط المستقيم، وتبشر المتقين، وتنذر الضالين.

ثم كان خاتمهم محمد ﷺ الذي أرسله الله رسولاً إلى الإنس والجن - جميعاً -، وختم به الوحي، فلا يقبل من أحدٍ ديناً بعده سوى دين الإسلام.

قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ، ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لِنَاسٍ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] ، وقال : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠] ، وقال : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] ، وقال : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

أما قول الحمد بأنه (يجب الاعتراف بمثل هذه التعددية الثقافية).

فماذا يعني بهذا الاعتراف؟

إن كان يعني الاعتراف (بوجود) هذه التعددية، فهذا لم ولن يعارضه فيه عاقل، لأنه واقع بلا ريب، يراه الجميع.

وإن كان يعني الاعتراف (بصحة) هذه التعددية، فهذا يحتاج إلى تفصيل :

١ - إذا كان يعني بصحة تلك التعددية، أي صحة مايعتقده

أهل الأرض من ثقافات وأديان مخالفة لدين الإسلام، فهذا - والعياذ بالله - كفر صريح، لأنه رضئ واعتراف بصحة (الكفر) وما عليه أهله، وهذا مناقض للمعلوم من دين الله بالضرورة: وهو صحة الإسلام وبطلان ما عداه من أديان، سواء أكانت أديان المشركين على مختلف أصنافهم، أم أديان أهل الكتاب (اليهود والنصارى) التي حرّفوها ثم جاء الإسلام بنسخها^(١).

وهذه - والله - من أعظم المصائب أن يقع فيها كاتب مسلم تربى في بلاد التوحيد، ودرس وتعلم الكتاب والسنة، ثم بعد هذا يدعوننا إلى الاعتراف (بصحة) ما عليه أهل الكفر من عقائد وثقافات، وهو - كما سبق - كفر صريح تجب التوبة منه.

٢- أما إن كان يعني (بصحة التعددية) أي صحة ما عليه (بعض) تلك الأمم من تطور مادي لا دخل له بأمر الدين، فقد أخطأ في العبارة، وكان الأولى به أن يُطالب أمته - كما سبق - بالاستفادة مما عليه الآخرون من تطور مادي، وهو مبذول للجميع يستطيع أن يناله من اتخذ له الأسباب الموصلة إليه، دون رضئ بأديان الكفار وثقافتهم!.

والذي أظنه أن الحمد لا يعني هذا، وإنما يعني الاعتراف بما عند الآخرين من أديان وثقافات وأن لا نحاول أن نكون آحادئ النظرة فدعوهم إلى ديننا (الإسلام)!!.

(١) انظر: " الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان "؛ للشيخ

بكر أبو زيد - رحمه الله - .

وهذا واضح من عبارته، لأنه عمم التعددية الثقافية، ولو كان يعني التطور المادي - مثلاً - لخصص ذلك بالدول المتقدمة (دنيوياً) أو استخدم لفظ (الحضارة) بدلاً من (الثقافة) على أقل تقدير.

إذن : فتركي الحمد يدعو إلى الاعتراف بوجود أديان الكفار على مختلف أجناسهم، ويدعو المسلمين إلى عدم تغيير هذا الواقع بدعوتهم إلى الدين الحق.

وأيضاً : يدعوهم إلى عدم الاعتزاز بالإسلام وأنه الدين الصحيح، وإنما هو مجرد دينٍ من الأديان، لا ينبغي لأهله الفخر به ! كما سيأتي في كلامه.

بعد هذا قام الحمد بوصف ثقافتنا العربية المعاصرة بعدة خصائص في نقاط متتالية.

يقول تركي : (إذا نظرنا إلى الثقافة العربية وما يتفرّع عنها من ثقافات فرعية رأسية وأفقية، نجد أنها كلها ورغم تمايزها وعند مستوى معين من التجريد تتّصف بالخصائص التالية :

أولاً : ماضوية في مقابل المستقبلية)^(١)

ومعنى هذا عند تركي : (أن المستقبل في حالة الثقافة العربية وآلية إدراكها يقع هناك في الماضي، وليس هناك في المستقبل التاريخي المحسوس والمحكوم بآليات الواقع وديناميكية التحول والتغير. والعقل العربي المنبثق عن هذه الثقافة القياسية والمنبث في

(١) الثقافة العربية... (ص ٢٩).

مختلف أوجه الفعل الإنساني (العقل السياسي، الاجتماعي، الاقتصادي، والتاريخي... الخ) ينقل هذه الآلية إلى كافة تفصيلات الحياة العربية، بحيث إنك قد تجد أحدهم يرفض استخدام الملعقة في الطعام مثلاً لأن الأوائل (النموذج المتسامي) لم يفعلوا ذلك بكل بساطة. نعم إن هذا مثال موغل في المبالغة، ولكنك تجد أمثلة مشابهة تؤكد القياسية والمدرسية في الثقافة العربية بشكل عام، وما بعض التيارات الإسلامية المغالية في إسلاميتها، حسب فهمها وزعمها، إلا التعبير الأشد تطرفاً لهذه الخصيصة من خصائص الثقافية العربية، وإلا فإن المسألة عامة وشاملة وإن اختلفت درجة الاقتراب أو الابتعاد^(١).

قلت : هذه هي الخصيصة الأولى من خصائص ثقافتنا عند تركي الحمد، وهي أنها (ماضوية)، أي أنها تعيش في الماضي، وتقيس أحداث الحاضر والمستقبل على الماضي، وهو (النموذج المتسامي)، ويعني به عصر النبي ﷺ وصحابته الكرام - رضوان الله عليهم - !

وتعليقاً على هذه الخصيصة أقول :

أولاً : إن هذه (الماضوية) التي جعلتها وصمة عار في جبين ثقافتنا هي ما يدعونا الله إليه في كتابه الكريم ؛ وذلك في قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]، فهو تعالى يطلب منا أن يكون رسول الله ﷺ قدوتنا وأسوتنا في أقوالنا وأعمالنا، ويحذرنا

(١) المصدر السابق (ص ٣١ - ٣٢).

سبحانه من مخالفة أمره ﷺ ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِيتٌ﴾ [النساء: ١٤].

ورسول الله ﷺ عاش في ذاك الماضي الذي تزدرية، وهكذا خلفاؤه الكرام الذين أمرنا ﷺ باتباع سنتهم، وبقية الصحابة والسلف الصالح الذين أمرنا باللاحق بركبهم.

فإن كنت يا تركي تزدري ثقافتنا بأنها (ماضوية)، أي أنها تتخذ من رسول الله ﷺ وهو الذي عاش في (الماضي) أسوة وقدوة لها في أقوالها وأعمالها فقد هويت بنفسك في مكانٍ من الضلال سحيق، عندما اجترأت على القول المزدري لشريعة الإسلام.

وإن زعمت أن (بعض) المعاصرين قد يجتهد في أمور يزعم أنها غير جائزة؛ لأن السلف لم يعملوها؛ كالأكل بالملعقة، وهو المثال الذي ذكرته، وهو مثال في غاية الندرة لا يكاد أحد يفعله - فلا أدري لماذا قمت بتضخيمه وإبرازه؟! -

فهو اجتهاد فردي يُطالب صاحبه بالدليل الشرعي عليه، وهل هو من الابتداع في الدين، أو أنه من العوائد التي لا تخالف الشرع وتتبع عرف الناس، وهذا مبحث طويل ليس هذا موضوع التعرض له.

وإنما الاعتراض هو على تعميمك هذا المسلك النادر حتى وصمت به ثقافتنا كلها.

ثانياً : إنك ازدريت ثقافتنا (الإسلامية) بأنها (ماضوية) أي تعترز بالإسلام وبنبيها ﷺ وبصحابته وبالسلف الصالح، ونسيت أن

الثقافات الأخرى التي تقدمت دنيوياً، والتي قد اشرب عنقك إليها هي أيضاً ثقافات ماضوية، فهام اليهود يفخرون بدينهم وبعاداتهم في زيهم ومأكلهم ومشربهم، وهي تسبق الإسلام بمئات السنين، ولم تتخذ من هذه الماضوية مطعناً فيهم أو ازدراءً بثقافتهم، ومثلهم النصاري الذين درست عندهم، هم أيضاً ماضويون باتخاذهم (النصرانية) ديناً لهم، وإقامتهم كنائسها (وتبشيرهم) بها، والاعتزاز بمبادئها وأعيادها، ولم ينلهم منك ما نال أمة الإسلام من الازدراء بثقافتهم.

بل هذه الثقافات (الماركسية) و (البعثية) و (القومية) وهي ما تدندن حوله ! لا تزال تفخر بروادها الذين أبلى التراب أجسادهم، وتردد مقولات (ماركس)^(١)، و(عفلق)^(٢) و(ساطع الحصري)^(٣) وكأنها قرآن منزل من عند الله ! ولم ينلهم منك أي ازدراء لهذا التمجيد والدعوة لاحتذاء أفكار (الماضيين).

أما نحن المسلمون فيغيظك - يا تركي - أننا نتبع أفضل رسول بعثه الله إلى الناس، بخير رسالة نزلت فيهم، فتزعم أن هذا

(١) المنظر الأول للماركسية، يهودي الديانة! وإن ادعى التنصل من ذلك، فهل يعي الحمد هذا؟

(٢) نصراني ماركس، استطاع الترويج لمبادئ حزب البعث حتى تسلط الحزب على رقب المسلمين في سوريا والعراق، ثم ادعى صدام حسين أن شيخه قد مات على الإسلام، ولكنه كان يخفي إسلامه!

(٣) المنظر الأول للقومية العربية التي اتخذها ديناً، أصله من حلب وعاش في اليمن ثم تنقل في بلاد الشام والعراق، ولا يزال القوميون يخضعون له. انظر لمعرفة أفكاره: " نظرات شرعية في فكر منحرف " .

مما يعيننا ويعيب ثقافتنا.

فلا حول ولا قوة إلا بالله.

أما إن زعمت بأن ثقافتنا (الماضوية) قد دخلتها البدع والخرافات. فليس الحل بأن ننسخ من جميع هذه الثقافة ونلغي ارتباطنا بها - والعياذ بالله -، وإنما الحل يكون بتطهير هذه الثقافة من البدع والزيادات فيها، والدعوة إليها صافية نقية كما أنزلت على محمد ﷺ.

ثالثاً : نقول لك بأن الماضي - سواء كان زماناً أو أفعلاً أو أقوالاً - لا يُذم لأجل أنه (ماضي) فهذا لا يقوله عاقل، وإلا لذمنا كل ما مر من حياتنا ولو للحظات. فحياتنا الماضوية مذمومة، وحياة آبائنا مذمومة، وحياة آبائهم مذمومة... وهكذا، وهذا - كما سبق - لا يقوله عاقل.

فالذي يوصف بالذم هو ما وقع في هذا الماضي من أقوال أو أفعال ذميمة، أما الأقوال والأفعال النافعة فهي مما يُمدح أينما وقعت، سواء في الماضي أو الحاضر، والله سبحانه قد أثنى على أمم قد عاشوا في الماضي لأنهم آمنوا وعملوا الصالحات فقال : ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨].

وعاب على أمم عاشوا في (الماضي) ؛ لأنهم كفروا وعملوا السيئات، فأهلكهم، وقال عنهم : ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٥٢].

الحاصل : أن صفة (الماضوية) ليست صفة ذم مطلقاً، وليست

- أيضاً - صفة مدح مطلقاً، وإنما الذم والمدح يتبع الأقوال والأعمال، فما كان من الأقوال والأعمال نافعاً يرضاه الله فهو ممدوح في أي زمانٍ كان، وما كان منها ضاراً لا يرضاه الله فهو مذموم في أي زمان كان.

أما إن قال تركي : أنا لا أذم الماضي لمجرد كونه ماضياً، وإنما أذم ثقافتنا لأنها اتخذت الماضي مثلاً ومقياساً تقيس به حياتها.

فأقول : هذه أشد وأدهى لأنك عبتنا لأننا نتخذ من ديننا ميزاناً لأقوالنا وأعمالنا، ومعنى هذا أنك تطالبنا بأن نتنكر للإسلام ولا نؤمن به، ولا نلتزم بأوامره وننتهي عن نواهيها، وهذا كفر مخرج من الملة - ولا حول ولا قوة إلا بالله -.

ثم أخبرك أنت وأمثالك ممن يدعي أن الالتزام بالإسلام مما يعوق الأمة عن التقدم، وهو ما تلمحون إليه ولا تصرحون، أخبرك بأن هذه شبهة باطلة، لأن دين الإسلام يدعو إلى اتخاذ كافة الوسائل المشروعة للارتقاء بأهله في سلم الحضارة المادية، فالله يقول : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وهذه القوة تشمل كل أمر دنيوي يرقى الأمة، ويجعل أعداءها يهابونها ويقدرونها ولا يستهينون بها، من اعتناء بالتقنية الحديثة، والصناعات المتنوعة... إلخ الأمور المادية التي تُرهب العدو وتُعز الأمة.

فهل عارض الإسلام (الصحيح) يوماً ما مثل هذا؟ هل عارض الإسلام مثلاً إنشاء المصانع وتشبيد آلات الحرب أو النقل،

وتطوير وسائل الاتصال المتنوعة ؟

لا.. لم يعارض هذا، وإنما عارض انتشار الفساد الفكري والأخلاقي في ديار الإسلام تحت دعاوي (التقدم) و(التطور).
ثم قال تركي واصفاً ثقافتنا بالصفة الثانية : وهي أنها (أسطورية في مقابل الواقعية)^(١) !

ومعنى هذا عنده (أن ما يُميز الثقافة العربية في هذا المجال هو ميلها إلى " أسطرة " الوقائع التاريخية إن صح التعبير بشكل أكبر، وخاصة في أعقاب ما يُسمى بعصور الانحطاط وحتى هذه اللحظة تقريباً، إذ أن " الثبات " هو أيضاً من خصائص الثقافة العربية على اختلاف وجوهها ومستوياتها وتفرعاتها وذلك في ما يتعلق بنيتها الأساسية. فالعقل العربي (من ثم الثقافة العربية) يميل إلى أن يصبغ أحداثاً تاريخية معينة بـ " الفرادة " والتفرد، ورفعها إلى مصاف الرمز المتسامي الذي لا يتكرر، فتتحول هذه الأحداث وأبطالها إلى " أساطير " (بعد الاختزال والإضافة) لا يمكن أن تتكرر في التاريخ المعلوم، ولكنها تبقى أملاً وحلماً مانحاً قيمة معينة يُهتدى بها، ولكن لا يمكن الوصول إليها بشكل مطلق)^(٢).

قلت : يقصد تركي بالأحداث التاريخية المعينة التي جعلتها الأمة كالأساطير هي أحداث الفتوحات الإسلامية منذ عهد النبي

(١) الثقافة العربية.. (ص ٣٢).

(٢) المصدر السابق (ص ٣٢-٣٣).

ﷺ، وعهد أصحابه ﷺ مروراً بالفاتحين من أمثال قتيبة بن مسلم، وموسى بن نصير، وطارق بن زياد، ومحمود بن سبكتكين، ونور الدين زنكي، وصلاح الدين وغيرهم من الأبطال. والأمة - كما يعلم كل أحد - لم تجعل بطولات هؤلاء العظماء أساطيراً! إنما افتخرت بها، وتغنت بتلك لأمجاد الماضية التي اعتر فيها أهل الإسلام، وذل فيها أهل الكفر و (النفاق!).

والأمة لم تقل بأن تلك الأحداث لا يمكن الوصول إليها ولا إلى مثلها، فإن هذا من اختراعات تركي الحمد، بل الأمة تحاول استعادة تلك الأمجاد والبطولات في كل زمان ومكان؛ لأن الجهاد " ماضٍ إلى يوم القيامة " فلا مانع من أن تكون تلك البطولات مثلاً يحتذى في واقع المسلمين، ولا مانع أن يتكرر مثلها.

فلا أدري بعد هذا ماذا يعني تركي بقوله بأن ثقافتنا (أسطورية وليست واقعية)؟ أم أنها كذبة من كذباته يتكرر بها في كتابه^(١).

ثم قال تركي مبيناً الصفة الثالثة من صفات ثقافتنا بأنها: (أحادية في مقابل التعددية)^(٢).

أي: (إنها ثقافة تنظر إلى نفسها على أنها تتمتع ب- "فراة"

(١) قد يقال بأنه يقصد بالنموذج المتسامي الذي لا يمكن الوصول إليه: "الصحابة ﷺ"، الذين هم أفضل الأمة بشهادة القرآن والسنة، وهذا مما يغيب تركي! قد يقال هذا، ولكن (الرجل) كما قلت في المقدمة مُظلم العبارة، لا يُصْرَح بما يريد!

(٢) الثقافة العربية... (ص ٣٤).

معينة تميزها عن غيرها من الثقافات. مثل هذا الموقف لا غبار ولا تشريب، إذ أن التمايز صفة من صفات الثقافات في تعددها واختلافها. غير أن الثقافة العربية، كما تطرح نفسها من خلال الخطاب والممارسة، تتجاوز مسألة التمايز لتقول بالفرادة ومن ثم، كنتيجة منطقية، القول بعلوية الثقافة العربية على ما عداها من ثقافات^(١).

ثم يقول : (إن ما يُميّز الثقافة العربية وانعكاساتها السياسية والاجتماعية على وجه الخصوص، هو أن الشمولية العربية تطرح نفسها (من خلال الخطاب والممارسة) على أنها أبدع ما بالإمكان مقارنة بالآخرين وتربط هذه الأحادية والشمولية بالمرجعية " الرمزية الماضوية " فتمنحها بالتالي نوعاً من القداسة والفردية والعلوية)^(٢).

ثم يقول : (إن كل ثقافة تلجأ إلى آلية الدفاع عن الذات بشكل من الأشكال، وهذا حق مشروع، ولكن الملاحظ أن الثقافة العربية في دفاعها عن ذاتها تلجأ إلى عمليات النكوص والارتداد إلى الماضوية البحتة (انظر الخاصية الأولى) والرفض المرضي لكل وافد أو ما يعتقد أنه وافد لا يتواءم مع النموذج - المرجع (انظر الخاصية الثانية) المحدد أيديولوجياً بشكل دوغماتي مغلق. والحقيقة أن الثقافة العربية في تعاملها مع " الآخر " تقع في نوع من " الشيزوفرانيا " والازدواجية القلقة من حيث إنها تعرف في

(١) المصدر السابق (ص ٣٤-٣٥).

(٢) المصدر السابق (ص ٣٦).

داخلها أن هذا الآخر متفوق عليها ولكنها، وفق آليات الدفاع، ترفض هذا التفوق وتحاول أن تبرز ضعفها (المرحلي) بكافة التبريرات الأيديولوجية والقول بأن تفوق " الآخر " هذا هو مسألة مرحلية لا تلبث أن تنتهي وتعود الأمور إلى مجراها الطبيعي الذي هو علوية الثقافة العربية في نهاية المطاف. ومن ناحية أخرى، فإن الثقافة العربية (الذهنية العربية) تنظر إلى الآخر على أنه " نموذج " يمكن الاستفادة منه، ولكنها في ذات الوقت ترفضه وتحاول التمسك بأصالتها التي هي في حقيقة الأمر تلك النزعة الماضوية (النكوصية) المتحدث عنها سابقاً. بمعنى أنها، أي الثقافة العربية، تريد ولا تريد في نفس الوقت، وهذا يُدخلنا في إشكالية ليس من السهل حلها، وإن لجأ البعض إلى محاولات التلفيق والتوفيق التي، وكما يقول الواقع المعاش، لم تنجح كثيراً في مسعاها^(١).

قلت : خلاصة هذا الكلام الطويل أن تركي الحمد يخبرنا بأن لا ننظر إلى ثقافتنا (وهي الإسلام !) على أنها أفضل الثقافات ! أو أنها متفردة على غيرها ! بدليل أن الغرب قد تفوق علينا ! ولا زلنا - كما يقول تركي - نبرر هذا التفوق بأنه مرحلي، وسرعان ما تعود الأمور إلى وضعها الطبيعي وهو أن تعلو ثقافتنا عليه.

وقد احتوى هذا القول السابق من تركي الحمد على خلط وجهل، حيث زعم أن علينا أن لا ننظر إلى ثقافتنا بأنها متفردة وأنها أعلى من غيرها، فقارن بين الكفر والإسلام، ثم فضل الكفر وأهله عليه، لأنهم تقدموا (مادياً) ونحن لم نتقدم بعد، فلهذا هم

(١) المصدر السابق (ص٣٧).

أفضل منا، وثقافتهم (ومن ضمنها دينهم!) أفضل من ثقافتنا (ومن ضمنها الإسلام!) والعياذ بالله.

ونسي أن تقدم الغرب (مادياً) لا يعني صحة ثقافته وأديانه، كما أن تخلف بلاد المسلمين (مادياً) لا يعني بطلان ثقافته ودينه (الإسلام)، لأن هذا التقدم أو التخلف (المادي) لا دخل له بالأديان والثقافات، فهو مبذول للجميع، من اخذ بأسبابه وجدَّ وثابر فقد حاز سبق فيه، ومن تكاسل عن أسبابه، وركن واعتمد على غيره فقد باء بالتخلف.

ولهذا نجد أن بعض البلاد غير الغربية -كاليابان مثلاً - قد وصلت إلى قمة التقدم (المادي) وتفوقت على الغرب فيه، لأنها اتخذت الأسباب الموصلة إليه من استثمارٍ أمثل للطاقات التي أودعها الله في الأرض، ودعم لكل صاحب عقل مبدع في مجال التقنية، دون وضع معوقاتٍ أو تشبيط كما يحصل في بلاد المسلمين، ولهذا فقد وصلت إلى ما تريد.

وهكذا غيرها من الدول التي تخالف (الغرب) في ثقافته، كروسيا أو كوريا أو الصين.

الحاصل : أن ربط التقدم (المادي) بالأديان هو جهل عن حقيقة الواقع.

ثم يُقال : بأن من تقدم (دنيوياً) وكان غارقاً في الكفر فهو مذموم عند الله. وقد عاب سبحانه على أقوام مضوا كانوا متقدمين (دنيوياً) وعمرروا الأرض ما لم نعمرها، وكانوا أشد منا قوة وبطشاً، ومع هذا فقد عابهم الله، ولم يعبأ بتقدمهم ولا

بحضارتهم ، لأن المعول عليه عنده سبحانه هو اتباع أمره واجتناب نهيه ، أما الحضارة والتقدم فهي موهبة لمن أدرك أسبابها وتمثل بقول الشاعر :

وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرِ يَحَاوِلُهُ

واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

قال سبحانه : ﴿أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ [الرُّوم: ٩] ، وقال تعالى : ﴿أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ [غَافِر: ٢١] .

وهؤلاء الكفار المعاصرون هم كأسلافهم الماضين مذمومون عند الله تعالى لكفرهم وإعراضهم عن دين الإسلام ، ولن تنفعهم حضارتهم المادية عند الله شيئاً ، قال تعالى : ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ [القَمَر: ٤٣] .

فلا يجوز شرعاً وصفهم بعلو أو رفعة أو عزة لأن الله يقول ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ [المَنَافِقُونَ: ٨] .

فالعلو والعزة هي للمؤمنين ، وإن كانوا غير متقدمين دنيوياً ، قال تعالى : ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٣٩] .

فوصف الله عباده المؤمنين بالعلو والعزة، ووصف الكافرين بالذلة، وأخبر بأنهم : ﴿شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦] ؛ لأن المقياس عنده تعالى هو الإيمان والكفر.

وأما أمور (الدنيا) فهي حاصلة لمن أراد الله تحصيله إياها بفعله أسبابها.

قال سبحانه : ﴿كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠].

وليس معنى هذا أن نرضى بواقعنا (المادي) غير المتطور، فنكون كلاً على الناس من شرق وغرب، وإنما نجد ونسعى في سبل الفلاح الدنيوي وننافس القوم في تحصيل أسباب القوة.

والحاصل : أن تركي الحمد قد خلط بجهل بين أمور الدين وأمور الدنيا، فجعل التخلف الدنيوي دليلاً على التخلف الديني ! وجعل التقدم الدنيوي دليلاً على التقدم الديني ! ففضل الكافرين على المسلمين، ولم يرتض للمسلمين أن ينظروا لإسلامهم على أنه المهيمن على سائر الأديان.

ثم قال تركي مواصلاً حديثه عن ثقافتنا بأنها : (رغبوية في مقابل التاريخية)^(١).

ويعني بهذا (إسقاط رغبات الذات على أحداث التاريخ الفعلي لا المفترض، والنظر إلى أي حدث وكل حدث على أنه يسير في صالح هذه الذات، وهذا ما نراه واضحاً بشكل خاص في

(١) الثقافة العربية... (ص ٣٨).

الخطاب العربي المعاصر بشكل أخص الذي يرى، مثلاً، في كل حادثة وأي حادثة دليلاً أو مؤشراً على سقوط الغرب أو انتصار قيم الثقافة العربية وغير ذلك^(١).

ثم يقول : (مسألة الرغبةوية في الثقافة العربية المعاصرة خاصة، تقودنا إلى آلية أخرى من آليات دفاع هذه الثقافة عن ذاتها في وجه الآخر المتفوق والعدو بالضرورة، ألا وهي ما نسميه النزعة التبريرية في هذه الثقافة. فعندما تبدو معالم ضعف معين وانكسار محدد فإن السبب في ذلك، مثلاً، ليس ذات الثقافة وبعض محدداتها ولكن أمور طارئة شكلية إذا ما استبعدت فإنه لا ريب أن ذلك العقل والثقافة راجعان إلى موقعهما الذي يجب أن يكونا فيه من علوية مفترضة. وإذا لم يحدث ذلك فإن الخلل أيضاً لا يمكن في بنية العقل والثقافة ولا يعني ذلك ضرورة مراجعة هذه البنية. بقدر ما أن أصابع الاتهام تشير دوماً إلى " الآخر " العدو دائماً والذي يمنع معالجة هذه الأمور الطارئة والشكلية. بمعنى آخر، تتحول العملية في نهاية المطاف إلى قناعة دوغماتية بأن شرط العلاج الأول هو اختفاء " الآخر " (غائية رغبةوية) وبدون ذلك فإن كل محاولة للعلاج لا بد وأن تبوء بالفشل (فعل تبريري). أما ذات العقل ومكوناته وذات الثقافة المفترزة لمثل هذه التصورات ومحدداتها فإنها تبقى بعيدة عن أي اتهام وبمنأى عن أي تحليل وتعليل ونقد)^(٢).

(١) المصدر السابق (ص ٣٩).

(٢) المصدر السابق (ص ٤٠ - ٤١).

قلت : أما مسألة سقوط الغرب (أو الكفار عموماً) فهي بأمر الله تعالى الذي لو شاء إسقاطهم لأسقطهم، ولكنه يقيهم لحكمة - وجميع أفعاله تعالى ذات حكمة- فهو سبحانه يقول عن الكفار في كل زمان ومكان ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنْصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٤].

فحکم بقائهم كثيرة، إليك شيئاً منها :

١- أن يبلو المؤمنين بهم - كما سبق -، فيعلم الصابرين والمجاهدين، ويشيهم على جهاد الكفار والانتصار لدينه، كما في الآية السابقة.

٢- أن الدنيا ليست دار جزاء، وإنما هي دار ابتلاء، ولو كانت دار جزاء لأهلك الله جميع الكافرين في طرفة عين. قال سبحانه ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمْ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً﴾ [الكهف: ٥٨]. وقال : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكْنَا عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر: ٤٥].

فالدنيا يموج فيها المؤمن والكافر، ويسعى كل منهم سعيه الذي سيلاقيه يوم الحساب.

٣- أن لا يبقى لهم نصيب ولا حظ في الآخرة، حيث وافاهم الموت وقد أخذوا نصيبهم من الاستمتاع في الدنيا، فلم يعد لهم عنده تعالى إلا النار مثوى لهم خالدين فيها.

يقول سبحانه : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ مَلَأْنَا لَهُمْ حَيْرًا

لَأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٧٨﴾ [آل عمران :
 .[١٧٨]

ويقول : ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ
 بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة : ٥٥].

ويقول : ﴿لَا يَغْرَنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ
 ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ [آل عمران : ١٩٦-١٩٧].

قال ابن القيم رحمته الله (إن ابتلاء المؤمنين بغلبة عدوهم لهم،
 وقهرهم، وكسرهم لهم أحياناً فيه حكمة عظيمة، لا يعلمها على
 التفصيل إلا الله عز وجل.

فمنها : استخراج عبوديتهم وذلهم لله. وانكسارهم له،
 وافتقارهم إليه، وسؤاله نصرهم على أعدائهم، ولو كانوا دائماً
 منصورين قاهرين غالبين لبطروا وأشروا. ولو كانوا دائماً مقهورين
 مغلوبين منصوراً عليهم عدوهم لما قامت للدين قائمة، ولا كانت
 للحق دولة، فاقتضت حكمة أحكم الحاكمين أن صرّفهم بين غلبهم
 تارة، وكونهم مغلوبين تارة، فإذا غلبوا تضرعوا إلى ربهم، وأتابوا
 إليه، وخضعوا له، وانكسروا له، وتابوا إليه، وإذا غلبوا أقاموا
 دينه وشعائره، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، وجاهدوا
 عدوه، ونصروا أوليائه.

ومنها : أنهم لو كانوا دائماً منصورين، غالبين، قاهرين،
 لدخل معهم من ليس قصده الدين، ومتابعة الرسول. فإنه إنما
 ينضاف إلى من له الغلبة والعزة، ولو كانوا مقهورين مغلوبين دائماً
 لم يدخل معهم أحد. فاقتضت الحكمة الإلهية أن كانت لهم الدولة

تارة، وعليهم تارة. فيتميز بذلك بين من يريد الله ورسوله، ومن ليس له مراد إلا الدنيا والجاه.

ومنها : أنه سبحانه يحب من عباده تكميل عبوديتهم على السراء والضراء، وفي حال العافية والبلاء، وفي حال إدالتهم والإدالة عليهم. فله سبحانه على العباد في كلتا الحالين عبودية بمقتضى تلك الحال. لا تحصل إلا بها، ولا يستقيم القلب بدونها، كما لا تستقيم الأبدان إلا بالحر والبرد، والجوع والعطش، والتعب والنصب، وأضدادها، فتلك المحن والبلايا شرط في حصول الكمال الإنساني والاستقامة المطلوبة منه، ووجود الملزوم بدون لازمه ممتنع.

ومنها : أن امتحانهم بإدالة عدوهم عليهم يمحصهم، ويخلصهم، ويهذبهم. كما قال تعالى في حكمة إدالة الكفار على المؤمنين يوم أحد ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٩) **إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** (١٤٠) **وَلِيُمَجِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمَحَقَ الْكٰفِرِينَ** (١٤١) **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصّٰدِقِينَ** (١٤٢) **وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَوَّنَ الْمُوتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نٰظِرُونَ** (١٤٣) ﴿آل عمران: ١٣٩-١٤٣﴾.

فذكر سبحانه أنواعاً من الحكم التي لأجلها أديل عليهم الكفار، بعد أن ثبتهم وقواهم وبشرهم بأنهم الأعلون بما أعطوا من الإيمان، وسلاهم بأنهم وإن مسهم القرع في طاعته وطاعة

رسوله، فقد مس أعداءهم القرح في عداوته وعبادة رسوله. ثم أخبرهم أنه سبحانه بحكمته يجعل الأيام دولاً بين الناس، فيصيب كلاً منهم نصيبه منها. كالأرزاق والآجال.

ثم أخبرهم أنه فعل ذلك ليعلم المؤمنين منهم، وهو سبحانه بكل شيء عليم قبل كونه وبعد كونه، ولكنه أراد أن يعلمهم موجودين مشاهدين، فيعلم واقعاً.

ثم أخبر أنه يحب أن يتخذ منهم شهداء، فإن الشهادة درجة عالية عنده، ومنزلة رفيعة لا تُنال إلا بالقتل في سبيله، فلولا إدالة العدو لم تحصل درجة الشهادة التي هي من أحب الأشياء إليه، وأنفعها للعبد.

ثم أخبر سبحانه أنه يريد تمحيص المؤمنين، أي تخليصهم من ذنوبهم بالتوبة والرجوع إليه واستغفاره من الذنوب التي أدل بها عليهم العدو، وأنه مع ذلك يريد أن يمحق الكافرين ببغيهم وطغيانهم، وعدوانهم إذا انتصروا.

ثم أنكر عليهم حسابانهم وظنهم دخول الجنة بغير جهاد ولا صبر. وأن حكمته تأبى ذلك. فلا يدخلونها إلا بالجهاد والصبر، ولو كانوا دائماً منصورين غالبين لما جاهدتهم أحد، ولما ابتلوا بما يصبرون عليه من أذى أعدائهم.

فهذا بعض حكمه في نصره عدوهم عليهم، وإدالته في بعض الأحيان^(١).

(١) إغاثة اللهفان؛ لابن القيم (٢ / ١٨٩ - ١٩١).

هذا عن مسألة انتفاش الكفار - والغرب منهم - في هذه المرحلة من الزمان، أما المستقبل فإن كل مؤمن يجزم ويؤمن بأن دين الإسلام سيهيمن على كل الأديان، لقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصَّف: ٩].

وسيكون هذا - والله أعلم - في زمن عيسى عليه السلام عندما يأذن الله بنزوله من السماء فينزل ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام.

قال عليه السلام : «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها»^(١).

قلت : أما (تلميح) تركي الحمد بأن الخلل قد يكون في ثقافتنا، فهو لم يوضح كعاداته ما يعني بهذه الثقافة التي هي سبب تخلفنا؟

إن كان يعني بالثقافة (الإسلام) ؛ فقد سبق توضيح أن الإسلام يحث أبناءه ويحرضهم على الأخذ بأسباب التقدم الدنيوي، وهذا لا يخفى إلا على جاهل يريد أن لا يفهم ! وإن كان يعني بالثقافة شيئاً آخر في سلوكياتنا ومفاهيمنا فنرجو من هذا المفكر ! أن يوضحه لنا.

(١) أخرجه البخاري (٢١٠٩) ومسلم (١٥٥).

بعد هذا عقد تركي الحمد فصلاً بعنوان (الثقافة العربية والثقافة العالمية) ملخصه أن العالم بعدها تحول إلى قرية صغيرة بفضل الاتصالات نشأ عن ذلك ثقافة (عالمية) يتفق عليها كل البشر، ومثّل لهذا ب- (العقلانية، والعلم التجريبي، وضرورة التحول الدائم (الحدثة إن شئت)، والتقنية وما يقف وراءها من عقل وذهن، ونحو ذلك) وهذه الثقافة قد (علت وسادت حتى أصبحت ثقافة عالمية بغض النظر عن المصدر والجذور، وبغض النظر عن مشاعر الحب أو الكره، القبول أو الرفض لمثل هذه الثقافة).

ثم بين أن اليابان قد استفادت من أسس هذه الثقافة العالمية دون أن تفقد شخصيتها الخاصة.

ثم قال : (أما إذا جئنا إلى المنطقة العربية والثقافة العربية السائدة فإننا نجد أن العلاقة مع هذه الثقافة العالمية أو الثقافة الغربية إن شئت فالمسألة سيّان، أقول : إذا جئت إلى المنطقة العربية والثقافية فإنك ستجد مثل هذه العلاقة تشكل إشكالية معينة بل ومعضلة عويصة منذ أول احتكاك للعرب مع الغرب الحديث وحتى هذه اللحظة. ما الخطب هنا وما الذي جعل هذه " الفرادة " للثقافة العربية في تعاملها مع ثقافة هذا العالم المعاصر (الثقافة الغربية) بشكل لا يوجد تقريباً في الثقافة الأخرى عند تعاملها مع مثل هذه الثقافة ؟ في اعتقادي فإنه وبالنظر إلى خصائص الثقافة العربية والعقل العربي المتحدث عنها سابقاً فإنه يمكن الوصول إلى جواب معين أعتقد أنه مرضٍ وكافٍ. من خلال هذه الخصائص السابقة يتبين لنا أن الثقافة العربية تعتقد " العلوية " في ذاتها وإن كانت تدرك حسيّاً أنها ليست كذلك في هذه المرحلة من التاريخ

على الأقل. الإحساس بالعلوية هذا يجعل الثقافة العربية تتوقع على ذاتها وعلى أصولها المُدَّعاة "الثابتة" خشية الاحتراق ومن ثم الذوبان في الثقافة العالمية الجديدة مما يفقدها "أصالتها" وبالتالي أحقيتها في العلووية وقدرتها على السيادة والصدارة. إنه هاجس العلووية والصدارة والسيادة العالمية للثقافة العربية هو ما يعيقها عن الاندماج في العصر والاستفادة من منجزات الثقافة الحديثة^(١).

(وقد يقول قائل : وما العيب في أن تطلب الثقافة العربية الصدارة؟ أليست اليابان المعاصرة في طريقها إلى السيادة العالمية في ظل النظام الدولي الجديد الآخذ في التكوين؟ وهذا سؤال مبرر ومشروع، ولكننا نقول : إن النهضة اليابانية والتي ابتدأت في عصر الميجي انطلقت دون أن تكون أسيرة مفاهيم ثقافية كالتي رأيناها عند الحديث عن خصائص الثقافة العربية. وهي ذات المفاهيم التي عرقلت حركة النهضة العربية الحديثة. هذا لا يعني القول بالانفصال المطلق في التجربة اليابانية بين القيم الثقافية الوطنية ومحاولات النهضة، ولكن المعنى منصرف هنا إلى القول إن النهضة اليابانية لم تكن أسيرة هذه المفاهيم، بمعنى النظر إليها نظرة ثبوت وسكون وقدسية، وإلا فإن إعادة تشكيل هذه المفاهيم كان أحد الحوافز التي أدت إلى النهضة اليابانية الحديثة. هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فإن الثقافة اليابانية لم تكن أسيرة مفهوم الصدارة والعلوية والسيادة الواجبة كمضمون للنهضة (الموقف الأيديولوجي) بل إنها اتجهت اتجاهًا براغماتياً شبه صرف أدى في

(١) الثقافة العربية (ص ٤٧).

النهاية إلى سيادة يابانية من نوع معين وبشكل معين^(١).

قلت : عجب أمرك يا تركي ! تطالب المسلمين بأن لا يعتزوا بإسلامهم، وأن لا يروه خاتمة الأديان الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه وتطالبهم بأن يساوا أنفسهم مع الكافرين، إن لم يكونوا أقل منهم - عندك - .

ثم تقترح عليهم أن يتخلوا عن دينهم وينساقوا مع الثقافة العالمية (المزعومة) لكي يتقدموا ويتحضروا ! هذا هو ملخص فلسفتك السابقة.

والذي يعجب المرء منه أنك لا زلت تخلط بين مسألة التقدم (المادي) وبين مسألة الأديان، فمن كان عندك متقدماً في أمور الدنيا فهو خير من غيره. ولو كان يدين بدين (الإسلام) ! .
ومن كان مسلماً متأخراً في أمور الدنيا فهو شر من الكافرين - والعياذ بالله - .

وأجهل من هذا أنك ربطت التقدم (المادي) بالتخلي عن الإسلام، والأخذ بهذه الثقافة العالمية التي اخترعتها. والعقلاء جميعاً يعلمون أن التقدم (المادي) لا دخل له بالثقافات، وإنما هو مبذول للجميع، فمن أخذ بأسبابه حصل عليه، ومن آثر الدعة والكسل حُرّمه - كما سبق - .

ودليل هذا أننا نجد بلاداً (غير غربية) قد نالت من هذا التقدم (المادي) حظاً لا بأس به، بالرغم من تباين ثقافتها كاليابان،

(١) الثقافة العربية (ص ٥٠-٥١).

والهند، وكوريا وغيرها.

بل نجد بلاداً إسلامية - والله الحمد - بدأت تفيق من غفوتها وتسعى حثيثاً إلى حجز مكانها في هذا التقدم. كالباكستان وماليزيا مثلاً.

ودليل هذا - أيضاً - أننا نجد كثيراً من الخبراء الذين ساهموا في تطور أرقى بلاد الغرب (مادياً) وهي أمريكا، هم ممن يدينون بثقافات غير ثقافتها، وإنما وهبهم الله مواهب عقلية استطاعوا بها استثمار طاقات الأرض وكنوزها، ولما لم يجدوا من يعينهم في ديارهم لجؤوا إلى بلاد الكفر، فكانوا عوناً لها على تقدمها.

الحاصل : أن التقدم (المادي) لا علاقة له ألبته بالأديان والثقافات، وإنما هو حاصل لمن استثمر مابثه الله في هذا الكون من طاقات ومخزونات.

والإسلام - كما سبق - يدعو إلى هذا الاستثمار ويحث أبناءه عليه، فما على بلاد المسلمين وقد حباها الله الكنوز المدفونه في الأرض إلا أن تستثمر هذا كله، وتتوكل على الله وحده، وتشجع النابغين من أبنائها، وتفتح لهم مجال الانطلاق في هذا التقدم، دون أن تحذر منهم ! أو تثبطهم، أو تضع في دربهم العراقيل. فإنها بهذا كله واصله - بلا شك - إلى ماوصل إليه الآخرون، وجامعة بين سعادة الدنيا والآخرة، وغيرها من الكفار وإن وصلوا إلى هذا التقدم فمثواهم النار وبئس المصير، ولو رغمت أنوف (المنبهرين) !

فليت الدكتور الحمد يفهم هذا، ولا يربط التقدم المادي لنا

بالتخلي عن (الإسلام) والأخذ بالثقافة العالمية التي اخترعها من عند نفسه. والله المستعان.

بعد هذا عقد الحمد فصلاً بعنوان (الثقافة العربية والسلوك السياسي العربي) ملخصة أن السلوك السياسي هو عبارة عن ترجمة للثقافة التي يحملها المجتمع.

ولتوضيح هذا ضرب الحمد مثالين :

أولهما : قضية حرب الخليج (١٤١٠هـ)، حيث استخدم صدام في شعاراته أثناء الحرب، لغة (ماضوية) تتحدث عن الدين وعن الصراع بين الإسلام والصليبية... الخ.

في لغة لا تعبر عن الواقع.

المثال الآخر : تعامل العرب مع قضية فلسطين، حيث الرفض والتعالي على الواقع حتى خسرنا كل شيء.

ثم قال الحمد : (الماضوية والرمزية - الأسطورية - خلقت بالنسبة لقضية فلسطين انطباعاً، بل اعتقاداً ميتافيزيقياً هلامياً معيناً من أن فلسطين لا بد وأن تتحرر في يوم ما، وينتهي الوجود الإسرائيلي برمته، كيف، أين، ومتى؟ هذه أسئلة عقلانية لا تجد إجابة لها لدى النخب فما بالك بالجماهير. هنالك مجرد حلم " رغبوي " بذلك يسقط على واقع الحال فتنبثق عنه ثلة من الرموز والأساطير. عندما يُقبل ذلك "المنقذ" من الغيب تتحرر فلسطين، كما أقبل صلاح الدين وطرد الصليبيين من فلسطين، وكما جاء قطز والظاهر بيبرس وهزموا أبناء التتار. هنالك بعد ميتافيزيقي غيبي بالنسبة لهذا المنقذ المفترض، تعبر عنه الثقافة العربية عموماً

والشعبية خصوصاً أفضل تعبير حين تربط الأشياء بالزعامة الفردية وقدرتها على الانقاذ الخارق^(١).

قلت : أما أن صدام حسين استخدم شعارات (ماضوية) فيعني بها تركي أن صداماً قد استغل الشعارات الإسلامية عند مواجهته للغرب، وهذا أمر واقع، والذي دعاه لهذا هو محاولته كسب تعاطف الجماهير الإسلامية المتعطشة لجهاد أعداء الله، لاسيما مع تنامي المد الإسلامي في كل البلاد - والله الحمد - .

فلهذا لجأ صدام إلى دغدغة الشعوب باستخدام اللغة التي يؤمنون بها، ويتمنون عودتها، ولكنه لم يُفلح كثيراً في هذا لأن الشعوب الإسلامية قد انتشر بينها الوعي الإسلامي فلم تعد تخذعها الشعارات الجوفاء دون الأفعال، والكثير يعلم أن صداماً وحزبه (البعث) هم أكفر وأضر على الأمة من اليهود والنصارى؛ لأنه حزب علماني النشأة وخصم لدود للإسلام - كما سيأتي إن شاء الله -، ولولا مصلحة صدام ومن معه من أعضاء حزب البعث في استخدام الشعارات الإسلامية لكانوا قد داسوا تلكم الشعارات - والعياذ بالله - تحت أقدامهم، ولكنهم أناس يدورون مع مصلحتهم، فهم قد أيقنوا أن الشعوب الإسلامية لم تعد كما كانت بالأمس تحركها الشعارات القومية، وإنما آمنت وأيقنت بعد أن جربت تلكم الحلول (القومية) المنابذة للإسلام بأن الحل الوحيد لمشاكلنا جميعاً هو الالتزام بالإسلام وعودة الحكم الإسلامي إلى ديار المسلمين بعد أن عُطِّل وأُبعد عن الواجهة - إلا ما رحم الله -

(١) الثقافة العربية (ص ٦٥).

وأما من تعاطف مع صدام وأيده وانساق مع شعارته، ففي ظني أنه إنما فعل ذلك ليس حباً في صدام وحزبه، وإنما بغضاً لأهل الصليب.

أما سخريتك باعتقاد المسلمين بأن فلسطين سوف تتحرر يوماً ما، ووصمك هذا الاعتقاد بأنه غير واقعي، وإنما أسطوري غيبي أو ميتافيزيقي كما تقول، فهذا دليل جهلك بدينك وبأحاديث نبيك ﷺ، أو إعراضك عنها وعدم تصديقها.

فقد قال ﷺ مبشراً بهذا: " لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر. فيقول الحجر والشجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي خلفي فتعال فاقته. إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود" (١).

وهذا الذي جعل الشعوب الإسلامية تؤمن بأن يوم تحرير فلسطين آت لا ريب فيه، لأنها تصدق بقول نبيها ﷺ الذي قال الله فيه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣)﴾ [النجم: ٣].

وليس معنى هذا أن تركز الأمة إلى أن يأتي اليوم الموعود، وإنما الواجب عليها أن تحرص على الالتزام بدين نبيها ﷺ كما أنزل عليه، دون بدع أو تحريف، وتجاهد أحفاد القردة إلى أن يأتي وعد الله.

ومما سبق من سخريتك بهذا الحديث وبما جاء فيه، دليل

(١) أخرجه مسلم (٢٩٢٢).

على عدم إيمانك بالغيب الذي أخبر به الله وأخبر به رسول الله ﷺ، والله الهادي.

ثم عقد الدكتور فصلاً بعنوان (الحالة الثقافية العربية : خلاصات ونتائج) قال فيه :

(نحن أمة لا تعرف ماذا تريد، وإن عرفت فعن طريق الأسطورة والحلم البحث المجرد)^(١).

(نحن أمة لا تعرف ماذا تريد، لأنها أمة محكومة بمفاهيم ثقافية ذات خصائص تُقيد من حرية الفعل والحركة لديها بمفاهيم وتصورات لا تعبر عن الحركة في التاريخ بقدر ماتعبر عن السكون واللاتاريخية)^(٢).

(العالم يتحدث عن المستقبل ويغير من الحاضر، ونحن لا نتحدث إلا عن الماضي، وننقسم حول هذا الماضي المتصور شيعاً وأحزاباً متناحرة في قضية لا وجود لها أصلاً، وإن وجدت فلا أثر لها في تحولات المستقبل في هذا العالم، وإذا أردنا أن ندرك حقائق الأمور في هذا العصر حاولنا ذلك من خلال تصورات ومسميات لا علاقة لها بالعصر وثقافته، أي أننا نسبل الماضي على الحاضر فنخسر المستقبل)^(٣).

قلت : لا زال الدكتور يتحدث بلغة رمزية عائمة، فلم يبين

(١) الثقافة العربية (ص ٧١).

(٢) الثقافة العربية (٧٢).

(٣) الثقافة العربية (ص ٧٢-٧٣).

الدكتور ماهي الأسطورة التي لا زلنا نعيش فيها ؟ وما هو الماضي الذي يعيب علينا اتباعه ؟ وما هي المفاهيم الثقافية التي تقيدنا ؟

إن كان يعني بذلك : الإسلام (الصحيح) الذي أنزل على محمد ﷺ، فبئس ما سولت له نفسه، حيث زعم أن اتباع الإسلام يورث الأمة التخلف ويعيقها عن الحركة.

وإن كان يعني بذلك شيئاً آخر فليبينه (بوضوح) لا رمز فيه، لأنه في مقام النصح للأمة، فلماذا الخوف ؟ ولماذا التعتعة ؟ ولماذا التخفي خلف العبارات (المطاطة) ؟

أما تلميحه إلى أننا نختلف حول الماضي، فهو يعني بذلك اختلاف أهل السنة مع أهل البدع وعلى رأسهم الرافضة، حول قضية الصحابة والخلافة، وهي قضية قد مضت، وهدى الله فيها أهل السنة إلى القول الوسط، والذي يحفظ للصحابة ﷺ مكانتهم مع ترديد قوله الله تعالى ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

أما وقد خاض أهل البدع في هذه القضية وتجروا على أعراض خير الخلق بعد الرسل، فكان من واجب أهل السنة توضيح الحق في هذه المسألة، وإعادة الأمور إلى نصابها الصحيح ؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة، وتبين الحق في هذه القضية (الماضية) ليس مما يعيب أهل السنة الذين هم أهل الإسلام، فاللوم ليس عليهم، إنما على أهل البدع الذين آثروا تفريق الأمة وتحزبها بالخوض في أحداث قد مضت

وانتهت ولم يقولوا : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مِمَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٤].

فاللوم منصب على المبتدعة - وعلى رأسهم الرافضة - ، فهم الأحق بتقريع الدكتور حتى يرعوا عن بدعتهم ويعودوا إلى الإسلام ، ليكونوا عوناً لإخوانهم أهل السنة في نشر دعوة الحق ، والترقي في مراقي التطور والتقدم.

ثم عقد الدكتور خاتمة لكتابه سماها (نحو ثقافة عربية جديدة)، ومن يطلع على هذه الخاتمة يتوقع أن يسعفنا الدكتور فيها بخلاصة ما يريد قوله للأمة بعد أن أنهكته اللغة (الرمزية) طوال بحثه ! ولكن القارئ لخاتمته يفاجأ بأن الدكتور لا زال يتخبط ويتعثر في سبيل التوضيح عن مراده ويستخدم نفس اللغة السابقة التي سار بها طوال بحثه.

يقول الدكتور ما نصه بأن (لكل النهضات الإنسانية المعروفة تاريخياً ابتدأت بنوع من الثورة الاستمولوجية^(١) ! التي غيرت من نظرة الإنسان إلى نفسه، وإلى مجتمعه، وإلى العالم من حوله)^(٢)

(١) قال الأستاذ منذر الأسعد في تعريفها : " إستمولوجيا: فرع من الفلسفة العامة يبحث في أصل العلوم الإنسانية وطبيعتها ومداها ومدارسها المختلفة. وبعض المفكرين المعاصرين يذهبون إلى أن الإستمولوجيا تبحث في ما يتعلق بفلسفة العلوم ومبادئها الأولى. أما عن طبيعة المعرفة ومداها فتتناقض آراء المفكرين الغربيين بين الأوهام والتطرف المادي الإلحادي، وحيث يصل الشك أحياناً إلى الزعم باستحالة الحصول على معرفة يقينية. ومعظم هؤلاء ينكرون الوحي كمصدر للمعرفة! (المغني الوجيز - ص ١٢).

(٢) الثقافة العربية (٧٧).

(فكانت النهضة، وكان الإبداع، وكان الفعل الحضاري)^(١).

(وعندما نقول مثل هذا الكلام، فإن ذلك لا يعني الانفصال التام أو القطيعة المطلقة بين الثقافة السائدة والثقافة اللاحقة)^(٢).

ثم يقول تركي : (كل الطروحات النهضة العربية تقريباً - الإسلامية منها والقومية - تدور في فلك التراث ولكنها لا تنطلق منه، بمعنى أنها تدور في النسق التراثي ولا تبني أنساقاً جديدة)^(٣).

(لأجل ذلك، فإن المفاهيم والتصورات والقيم الماضية (التراث) تبقى حاملة لمضمونها السابق في الأنساق السابقة وذلك لانعدام النسق الجديد، ومن ثم تفقد فاعليتها لأنها تنتمي إلى زمان غير الزمان ومكان يختلف عن المكان. ومهما حاولنا تحديث هذه المفاهيم والتصورات والقيم بإعطائها مضامين جديدة عن طريق التوفيق وإعادة التفسير والتأويل فإن ذلك لا يجدي إذا كان النسق العام للأشياء (ومنه النسق الاستمولوجي والثقافي عامة) وبنية العقل ذاتها ثابتة لا تتغير، وهذا النسق لا يكون إلا بالانطلاق من حيث انتهى الآخرون (وفق ما تقضي به التجارب النهوضية الناجحة) سواء كان هؤلاء الآخرون هم " الآخر " الغربي أو التراث ذاته وليس الفرق في كل ذلك. بمعنى آخر، إن المطلوب هو سيطرة الحاضر على الماضي وليس سيطرة الماضي

(١) الثقافة العربية (ص ٧٧).

(٢) الثقافة العربية (ص ٧٨ - ٧٩).

(٣) الثقافة العربية (ص ٨٢).

على الحاضر)^(١).

ثم ختم تركي دراسته بقوله : (من أجل الاندماج في العصر الحديث، ومن أجل أن يكون للعرب دوراً في هذا العالم وإيجابية معينة لا بد أن تكون البداية على مستوى الثقافة، مستوى العقل، مستوى الخطاب، قبل أي شيء آخر، وذلك من خلال نسق جديد للمعرفة يستوعب الحديث ولا يرفض القديم، ولكنه لا يغرق فيه أو يسجن نفسه فيه في ذات الوقت. كيف يكون هذا النسق وكيف تكون محدداته وبُناه؟ مسألة لا أجيب عنها وحدي، ولا أستطيع الإجابة، وليس لي حق الإجابة وحدي، إنها مسألة مطروحة ومتروكة لكل قطاعات الانتلجنسيا^(٢) العربية كي تقدم رؤاها ورؤياها وفق إحساس بالمسؤولية معين، ووفق نظرة منفتحة متفتحة ليست أسيرة أي نوع من أنواع الدوغما والثقافة المدرسية^(٣)، وذات منهج متوازن يوائم ما بين الأمل والألم، الحلم الواقع، وهذه هي خصائص الانتلجنسيا الجديدة التي على عاتقها يقع الجزء الأكبر من مسؤولية بناء ثقافة عربية جديدة فهل توجد مثل هذه الانتلجنسيا؟ وهل ستوجد مثل هذه الثقافة الجديدة وتكون نهضة عربية حقيقية أم أن الانقراض هو المصير؟ هذه هي المسألة^(٤).

(١) الثقافة العربية (ص ٨٢-٨٣).

(٢) معناه: الفئة المثقفة (المغني الوجيز) للأسعد (٩٢).

(٣) !!

(٤) الثقافة العربية (٨٦-٨٧).

قلت : كما هي عادة الدكتور فإنه يستخدم لغةً هي أشبه بالألغاز أو لغة (المجدوبين) من غلاة الصوفية، وإلا فما معنى قوله (كل الطروحات النهوضية العربية تقريباً... تدور في فلك التراث) ثم يوضح هذا بقوله (بمعنى أنها تدور في النسق التراثي ولا تبني أنساقاً جديدة) ! فما هذا اللغو الكلامي الذي لا طائل تحته؟ فليس الفهم وادعاء (العقلانية) يكون باستخدام هذه المعميات، وأن يخبط المرء خبط عشواء، لا يدري ما يقول، فهذا لا يعجز المرء صنعه، فالجميع يجيد مثل هذا التلاعب بالألفاظ وتعمية المعاني تحت دعاوى التحليل والتفكير العقلاني !

وإنما الفهم والذكاء يكونان باستخدام لغة واضحة يتم من خلالها تشريح المشكلة القائمة، ثم طرح الحلول التي يرى الكاتب أنها مناسبة لها، لكي يستفيد من كلامه من يخاطبهم هذا المفكر، بدلاً من تصديق رؤسهم بمثل هذا اللغو غير المثمر.

ثم أقول : ماذا يقصد الدكتور بأن كل الطروحات العربية والإسلامية تدور في فلك التراث؟ هل يعني أنه يطالب بأن يُنبذ التراث؟! والتراث كما نعلم يدخل في مسماه عند الإطلاق : الكتاب والسنة. فهل يقصد الدكتور هذا؟ وما هي الأنساق الجديدة التي يريد الدكتور أن نبنيها لتتقدم ونتحضر بزعمه؟

هلاً وضح ذلك.

الذي يعلمه العقلاء أننا نحتاج - لتتطور ونتقدم مادياً - إلى أن نتمسك بما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة في أحكامنا وسلوكنا، وعبادتنا، ثم نفتح آفاق المعرفة (المادية) لأفراد الأمة

لكي يُسهموا فيها بما يستطيعون، مع دعمهم، وتسهيل مهمتهم، ورفع العوائق عن دربهم، فبهذا نحصل على سعادة الدارين :

الدنيا: بترقينا فيها مع التزامنا بديننا وعدم التفریط فيه.

والآخرة: بديننا الذي استقمنا عليه، فأوصلنا - بعد رحمة الله

- إلى جنة رب العالمين.

نعم ! بهذه البساطة يمكن علاج مشاكلنا التي لبّسها علينا الدكتور، ودعانا إلى نبد ديننا تحت دعاوى (نقد العقل) أو (الثورة الابستمولوجية) ! إلى آخر هذا الهراء.

وكما قلت - سابقاً - يخلط الدكتور كثيراً بين التقدم (المادي) وبين الدين والتزامه، فيرى أننا لتتقدم (مادياً) لا بد أن نتخفف من ديننا - والعياذ بالله - ونسي مدعي العقل أن لا علاقة بين الاثنين - كما سبق -

أما خاتمة دراسة الدكتور فهي أيضاً لغز معمى يضاف إلى قائمة ألغازه السابقة، فهو يطالبنا بأن تكون (البداية على مستوى الثقافة، مستوى العقل، ومستوى الخطاب، قبل أي شيء آخر، وذلك من خلال نسق جديد للمعرفة، يستوعب الحديث، ولا يرفض القديم، ولكنه لا يغرق فيه أو يسجن نفسه فيه، في ذات الوقت)^(١).

كيف يكون هذا؟ وما هو هذا النسق الجديد؟

يقول الدكتور: (لا أستطيع الإجابة، وليس لي حق الإجابة

وحدى) (١) !

كيف لا تستطيع الإجابة، وأنت الذي نظرت، وحللت، ودرست حالتنا الثقافية الراهنة، ثم لما جدَّ الجد، وجاء وقت تقديم الحل لمشاكلها تسللت لوأذاً هرباً من الجواب ! كيف تدعي أنك مفكر، وأنت لا تستطيع تقديم حلٍّ لمشكلة أنت أنشأتها، وهولتتها، وبنيت عليها كتابك؟

حقيقةً، هذا من العجائب أن يختم الدكتور كتابه بهذه الخاتمة، وهذا دليل على أن فكر الدكتور من النوع (الهدمي) لا (البنائي).

فهو كالأستاذ الذي يخطئ طالبه في أجوبته، فإذا طالبه الطالب بالحل الصحيح عيَّ وسكت !
فهل يُعقل مثل هذا؟!

أو أن المسألة مجرد هدم لبناء هذه الأمة، ولو لم يُقدم لها البديل، كما يفعل أبالسة الحداثة عندما يهدمون ولا يبنون، ويُقيِّضون ولا يشيدون، والهدم - كما يعلم الجميع - من أسهل الأشياء، أما بناء الأمم فهو أمر لا يستطيعه إلا أفذاذ الرجال، ولا أظن الدكتور (الهدمي) منهم !.



نقد كتاب

(دراسات أيولوجية في الحالة العربية)

هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من الدراسات والمقالات التي كتبها الحمد في أوقات متفاوتة، وفي أماكن متفرقة، ومناسبات مختلفة.

وعند تأملي لها وجدت أنها لا تخرج في محتواها عن الكتاب السابق للدكتور الحمد (الثقافة العربية أمام تحديات التغيير). لهذا فقد اخترت التعليق على أبرز ما فيها مما يحتاج إلى مراجعة وتعقيب.

🌸 **المسلمون ليسوا أفضل البشر عند الحمد !**

يقول الحمد عن لحظة (التقاء) المسلمين بحملة نابليون على مصر : (إن تلك اللحظة التاريخية تشكل في محيطها العام نوعاً من الحَجَرِ أَلْقِي في بركة ساكنة من الماء محدثاً بذلك دوائر ودوائر ما زالت تتفاعل وتتداخل حتى هذه اللحظة، دون أن تهدأ ودون أن يعود إلى البركة هدوءها واستقرارها. لقد بينت هذه اللحظة الفريدة البسيطة في عرف الزمان لسكان هذه المنطقة من العالم، أن العالم غير العالم الذي عهدوه وخبروه وأن الكون يحتوي غيرهم من الشعوب وغيرهم من الأمم ليسوا بتلك الدونية التي كانت " مفاهيمهم " المتوارثة تصورها لهم بمعنى من المعاني، نستطيع

القول إن هذه اللحظة التاريخية قد بينت لهم أنهم ليسوا وحدهم في الكون وأن هذا الكون (العالم) أوسع مما يتصورون أو تصوره لهم المفاهيم السائدة حوله. بل لقد بينت هذه اللحظة أنهم ليسوا أسياد الكون كما كانوا يعتقدون بل ليسوا أفضل من فيه^(١).

قلت : لزال الحمد مصراً على تفضيل (الكفار) على (المسلمين)، وتفضيل (ثقافتهم) على (ثقافتنا) (وهي الإسلام) ولا زال لم يفهم - وأظنه لا يريد أن يفهم - أن التطور (المادي) الذي حظي به الغرب لا يعود إلى أديانهم أو ثقافتهم، وإنما يعود إلى استغلالهم خزائن الأرض والكون (المبدولة لكل أحد) واندفاعهم في سبيل استثمارها دون معوقات أو مثبطات، بل بتشجيع العقول (النابعة) عندهم، وتسهيل مهمتها لنتج وتثمر... إلى أن أدركوا هذا التطور (المادي) المشاهد الذي هو ليس حكراً عليهم.

بل - كما سبق - كل من بذل أسبابه سينال منه ما قدره الله ﴿كَلَّا نُمَدُّ هَتُولَاءَ وَهَتُولَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ [الإسراء: ٢٠].

فلا أدري لماذا يتجاهل تركي هذا؟ ولماذا يُضخم الموضوع تضخيماً مبالغاً فيه، ويصور أن تحقيقه لن يكون إلا بأن تتخلى الأمة عن دينها (وهو يسميها مفاهيمها المتوارثة).

وقوله بأن المسلمين ليسوا أفضل من في العالم، هو قول (خطير)، لا يخفى حكمه على من عرف مبادئ الإسلام. حيث

(١) دراسات أيديولوجية في الحالة العربية (ص ٨).

فضّل (الكافرين) على (المسلمين). نعوذ بالله من المهانة التي تجعل المرء يستصغر نفسه وأمته أمام أعداء الله، فينظر إليهم نظر المتسول المستشرف لما عندهم من (مفاهيم) و(ثقافات).

وليعلم الحمد أن الغرب وإن تطور (مادياً) فهو باقٍ على (نصرانيته) القديمة، معترز بها. وهكذا اليهود، وهكذا غيرهم من (الوثنيين).

فلم يتغير شيء على وجه الأرض منذ ظهر الإسلام، كما يزعم الحمد، لأن الكل باقٍ على (ديانته) ومعترز بها، بل ومنافح عنها. وإنما الذي تغير أن هذه الأمة تأخذ بأسباب التطور (المادي) لتطور، وتلك تقصر عنها فتبقى في مكانها.

❁ الحضارة (المادية) مرتبطة بأديان وثقافات الكفار عند الحمد:

لا يرتضي الحمد لنا أن نأخذ بحضارة الغرب (المادية) لأنها مرتبطة (بثقافتهم)، فإما أن نأخذهما جميعاً، أو نذرهما جميعاً.

يقول الحمد : (إن التاريخ العربي الحديث والمعاصر يبين أن عملية " التوفيق " هذه هي عملية كمية وليست كيفية. بذلك نعني محاولة دمج ما لا يدمج ومزج ما لا يمزج، وذلك وفق مقولة " نأخذ منهم ما يتفق وقيمنا ونترك الباقي " وقد ترجمت هذه العبارة في كثير من الأحيان على أساس " استيراد " المنتجات المادية لحضارة الغرب المعاصر دون التعرض لمسألة القيم والأيدولوجيا (وفق الفهم الشمولي). بمعنى آخر فإن هذا الموقف يفصل ما بين منتجات الحضارة المادية وما بين منتجاتها أو إفرازاتها الثقافية

والأيديولوجية، ويدعو إلى أخذ الأولى ورفض الثانية.

وهذا الموقف، في رأينا، يشكل استحالة منطقية واجتماعية في آن واحد. فالحضارة أية حضارة، هي عبارة عن كل واحد، ليست إفرازاتها المادية إلا نتاج لإفرازاتها الثقافية والأيديولوجية، وهذه بدورها ليست إلا إفرازاً للنتاج المادي، وذلك في وحدة جدلية فاعلة ومنفعلة في آن معاً. والاستحالة تنبع، من الناحية السوسيولوجية، من استحالة الجمع "الكمي" بين الشق المادي لحضارة ما والشق الثقافي الأيديولوجي لحضارة أخرى^(١).

قلت : يحاول الحمد من خلال هذا القول أن يسد جميع المنافذ على الأمة، ويحاول أن يقودها إلى ما يريد.

فإن هي التزمت بدينها وصمها بالتخلف والانغلاق، وفضل غيرها عليها.

وإن هي حاولت أن تستفيد من حضارتهم (المادية) صاح بها بأنها لن تستطيع هذا لأن حضارتهم (المادية) مرتبطة بثقافتهم، فإما أن تأخذها جميعاً، أو تتركها جميعاً

فماذا تفعل الأمة بعد أن سدَّ الحمد عليها المنافذ؟ سيأتي ما يريده منها.

أما هنا فلنناقش قوله بأننا لا نستطيع أخذ التطور (المادي) دون أخذ الأيدلوجيا أو الثقافة.

(١) دراسات أيديولوجية... (ص ٧٦).

فأقول : ما المانع من أن نفعل هذا؟

ثم ما هو هذا التطور (المادي) الذي سيرتبط بالثقافة؟

ويعلم الجميع أن قمة الحضارة المادية اليوم هي في :

- بلوغ الذروة في مجال الفضاء : صناعة طائرات مدنية أو
حربية، صناعة صواريخ متنوعة، إطلاق أقمار صناعية
ومركبات فضائية.

- بلوغ الذروة في إنتاج أنواع الأسلحة الحربية المتنوعة.

- إنشاء المصانع المختلفة المتطورة : صناعات حربية،
صناعات استهلاكية، صناعات ثقيلة... الخ

- التفوق في عالم الاتصالات والحاسب : إنشاء شبكاته،
صناعة أجهزة الاتصال السلكية واللاسلكية، أنظمة وأجهزة
الحاسب الآلي، الإنترنت.

- التفوق في الزراعة : أجهزة زراعية متطورة، تخطيط نافع لما
يُزرع في كميته ونوعيته ..

وهذه - في ظني - من أبرز ملامح التطور (المادي) المعاصر
الذي من حصّله فقد فاق غيره في القوة، وأصبحت له سيادة
ومهابة.

فما دخل كل هذا بالأيديولوجيا والثقافة!؟

وهل كل ما سبق سوى نتاج عقول بشرية استفادت مما بثه الله
على سطح وفي أعماق الأرض، وفي الكون من طاقات كامنة
تنتظر من يتوصل إليها فيستغلها، فاستطاعت أن تسخرها لخدمة

أوطانها.

فما الذي يمنعنا من :

- ١- استقدام خبراء وفنيين يكونون نواةً لمن بعدهم في استغلال طاقات وكنوز بلادنا.
- ٢- تشجيع النابغين من أبنائنا، وجلب ما يحتاجونه من مواد ومعدات لكي ينتجوا ويحققوا أهدافهم كما فعل غيرنا.
- ٣- ومن ثمّ نحصل ما حصله غيرنا بعد أن أسسنا البنية التحتية السليمة.

وأعود فأقول : ما دخل كل هذا بالأيدلوجيا والثقافة التي يوهمنا الحمد بأنها مرتبطة بهذا التطور (المادي)؟!

هل يخشى الحمد أن تسير الأمة على هذا الدرب فتصل إلى ما وصل إليه غيرها دون أن تفقد هويتها أو تفرط في دينها؟! فأراد أن يسد عليها هذا المنفذ، لكي تضطر إلى الاستجابة إلى (فكرته) التي تدعو إلى (الشك) في كل شيء و(هدم) كل شيء، لنبدأ مشوارنا من جديد - كما زعم ! -.

هل يدعو الحمد إلى نقد الكتاب والسنة الصحيحة؟! ❁

يقول الحمد موضحاً فكرته :

(إن المطلوب في هذه المرحلة التاريخية الحرجة (وكل فترة تاريخية هي فترة حرجة في حقيقة الأمر) هو سيادة العقل النقدي لدى المثقف العربي خاصة ومثقف العالم الثالث عموماً، وذلك يعني أول ما يعني التخلص بوعي كامل من محددات العقل

(الدوغماتي)^(١) بكافة تفرعاته الأيديولوجية والخطابية، سواء ما كان منها يتجه شرقاً أو غرباً، وما يتجه منها إلى أعماق التاريخ يستفتيه، أو ما يسيح منها في عالم الجغرافيا يستنطقه. وعندما نقول سيادة العقل النقدي والتخلص من العقل الدوغماتي، فإن ذلك يفرض علينا بادية ذي بدء التخلص من فرضية نجدتها سائدة في حنايا العقل العربي قديمه وحديثه، ألا وهي فرضية الحقيقة المطلقة في مقابل النسبية وحركية الحياة والتاريخ، فمن الملحوظ أن المثقف العربي على اختلاف مواقعه الأيدلوجية والمعرفية والاجتماعية، يشكل البحث عن الحق والمطلق ثابت الثوابت في نظيره وخطابه، سواء كان ذلك بشكل واع أو غير واع. ولأجل ذلك، كما أرى، فإن حياتنا الثقافية والعقلية وإن كانت ظاهرياً تتصف بالتعددية إلا أنها هيكلية ليست إلا انبثاق لعقلية واحدة ونظرة أحادية واحدة للكون والمجتمع، ولأجل ذلك عجزت

(١) الدوغماتية: مصطلح نصراني كاثوليكي، مشتق من كلمة (دوجما) ومعناها: المبدأ ذو الصحة المطلقة، ويرتبط هذا المصطلح بالإلهام الذي تزعمه الكنيسة لنفسها، ويدخل في نطاقه الادعاء المثير للسخرية وفحواه أن بابا الفاتيكان معصوم، وذلك بموجب دوجما صدرت عام (١٨٧٠م)! وأصبحت الدوغماتية وصفاً يُطلق على الحركات الشمولية كالشيوعية والفاشية.

وفي نطاق بباغوية اللادينيين العرب أصبحوا يفترون على الإسلام بالصاق الدوغماتية به ظلماً وعدواناً، مع أنهم هم الأجدر به، لأن الافتناع بالإسلام أمر اختياري يلي التفكير والتدبر قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦] (البقرة: ٢٥٦).

فالدوغماتية - فعلاً - هي نقل مصطلح كنسي وتعميمه ليشمل الدين الذي يرفض الإكليروس وادعاء العصمة لأي مخلوق سوى الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام.، وهو الدين الذي لا تتناقض مبادئه مع أي حقيقة علمية! (المغني الوجيز) للأسعد (ص ١٦١ - ١٦٢).

النهضة العربية المعاصرة عن تحقيق النهضة، وعجزت الثورة عن تحقيق الثورة، وعجزت الأصالة عن تحقيق الأصالة، وكذلك الحداثة عجزت عن تحقيق الحداثة.

إن المطلوب إذن هو عقل نقدي، وهذا لا يكون إلا بإلغاء محددات العقل الدوغماتي من حياتنا، ولا يكون ذلك إلا باعتناق النسبية وديمومة الحركة، وكل ذلك لا يكون إلا بنوع من الثورة المفاهيمية في الحياة العقلية العربية. ثورة مفاهيمية شبيهة بتلك الثورة التي استهلها عصر النهضة الأوروبية حيث كان الانقلاب الجذري في نظرة الإنسان إلى نفسه وإلى مجتمعه وإلى الكون من حوله. بمعنى آخر، فنحن بحاجة إلى نوع من النظرة النقدية التي تعيد موضعة الإنسان بالنسبة إلى نفسه (مفهومه عن نفسه) وبالنسبة إلى مجتمعه، وبالنسبة إلى الكون الذي يعيش فيه. وعندما نقول نظرة نقدية أو عقل نقدي فإن البعض قد يعتقد أن ما نقوله هنا ليس إلا جزءاً من موقف القبول المطلق بالغرب ومفاهيم الغرب، والذي انتقدناه بدءاً وإن ذلك سوف يؤدي إلى انقطاع كامل وجذري مع التراث والتاريخ الخاص بنا كأمة وجماعة. نرد هنا فنقول إن المسألة ليست كذلك، فالنظرة النقدية أو العقل النقدي يقف دائماً موقف (المرتاب) أو الشاك تجاه ما يأتيه من هنا أو هناك، من أعماق التاريخ أو من مجاهل الجغرافيا، فيصيغ كل ما يأتيه وفق ما تقتضيه حركة التاريخ والمجتمع غير ناسف في ذلك عمومية المفهوم أو خصوصية المجتمع الذي يعمل فيه. إن القبول المطلق أو الرفض المطلق أو التلفيق الكمي هي مواقف دوغماتية في جوهرها حيث أنها تأخذ كلاً أو ترفض كلاً دون مراعاة عامل

الحركة في التاريخ والمجتمع^(١) !

إذن؛ فالحمد يريد من الأمة :

- ١- أن يسود فيها (العقل).
- ٢- أن تتخلص من (العقل الدوغماتي بكافة تفرعاته الأيدلوجية والخطائية ..) أي أن تتخلص من كل ما يقيد هذا العقل، ولو كان قول الله - عز وجل -، وقول رسوله ﷺ ! فإن هذين - كغيرهما عند الحمد - سيخضعان - حتمًا - للعقل النقدي الذي يبشّر به ويدعونا إليه! وإلا فلماذا لم يستثنهما؟!
- ٣- أنه ليس لدينا (حقيقة مطلقة)، لأن كل شيء قابل للنسبية والتطور ! فكما أن كل شيء يتطور فكذلك الحقيقة تتطور ! فليس شيء ثابتاً عند الحمد، ولو كانت أقوال الله ورسوله ﷺ، وإن لم يُصرّح بهذا !
- ٤- يطالبنا الحمد لتحقيق (العقل النقدي) أن نكون من (الشاكين) (المرتابين)، فلا نقبل أي شيء دون عرضه على هذا العقل النقدي، فإن قبله قبلناه، وإن رفضه رفضناه، ولو كان قول الله وقول رسوله ﷺ، فلا بد من الشك والارتياب فيهما لكي نتطور ! ولا أدري عقل من الذي ستحتكم الأمة إليه؟ عقل تركي الحمد؟ أو عقلي؟ أو عقل فلان أو علان؟^(٢)

(١) دراسات أيدلوجية ... (٧٧).

(٢) انظر للمزيد: " نقض أصول العقلانيين " على موقع (صيد الفوائد)، و " موقف المدرسة العقلية من السنة " للأمين الصادق الأمين، و " العقلانيون " لعلي حسن عبد الحميد، " والعقلانية هداية أم غواية " لعبد السلام البسيوني.

وصدق الله إذ قال عن الكافرين والمنافقين : ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾ [سبأ: ٥٤] فهذا نهاية ما يدعوننا إليه الحمد من (الشك)، و(الارتياب) أن يحال بيننا وبين ما نشتهي - والعياذ بالله -

ثم إن الحمد في دعوته إلى (العقل النقدي) لم يأت بجديد، وإنما مردد لما قام به طه حسين تقليداً لديكارت من الشك في كل شيء ولو كان نصاً من القرآن أو من السنة الصحيحة !

فجاء الحمد مردداً هذه الفكرة (البائدة) في بلادنا، التي لم ترض بغير الإسلام بديلاً، ولو كره الشاكون المرتابون.

❁ الحمد يزعم أن حياة الرسول ﷺ متناقضة !!

يقول الحمد تحت عنوان (أيدلوجيا المثقف التقليدي) : (إن الأيديولوجيا التقليدية، والتي يحملها الشيخ كما في كتابات العروي، أو السلفي كما في كتابات الجابري، هي أيديولوجيات تقرأ الحاضر في الماضي، وتنفي البعد الزمني في قراءتها. بمعنى آخر، ووفق تعبير الجابري فإنه : " عندما يقرر السلفي أن العرب والمسلمين عامة لن ينهضوا إلا بمثل ما نهضوا به بالأمس، مستعيداً مقولة الإمام مالك " لا يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها " ، فهو يفكر في النهضة داخل مجال خاص، داخل منظومة مغلقة هي تلك التي يقدمها له النموذج الحضاري العربي الإسلامي في القرون الوسطى والتي تشكل إطاره المرجعي الوحيد... " (١) بمعنى آخر، فإن أيديولوجيا التقليدي تتضمن

(١) الجابري، الخطاب العربي المعاصر، ص ٩٢.

استلاباً زمنياً معيناً، يتلخص في أن المثقف التقليدي (الشيخ، السلفي) إنما يعيش في " حلم زاه " مفصول الجذور عن الواقع المعاش واللحظة التاريخية الراهنة. أي أن الأيديولوجيا التي يحملها التقليدي هي بمعنى من المعاني وفق المفهوم الماركسي الكلاسيكي : وعي زائف وغيوم تحجب الحقيقة التاريخية الفاعلة. وكل شيء وفق أيديولوجيا هذا المثقف خاضع لإطاره المرجعي، أو نموذج المثالي وفق مفهوم ماكس فيبر، الذي هو في غالب الأحيان لا يتجاوز فترة حياة الرسول والمرحلة الراشدة، رغم تناقضاتها العديدة إذا درست وفق منهج تاريخي موضوعي^(١)!!

قلت : مقولة الإمام مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يفهمها (العروي - الجابري - الحمد)^(٢)، فالإمام مالك يبين في كلمته تلك بأن المسلمين لن تصلح أحوالهم، وعلى رأسها الأحوال الدينية، إلا بأن يتمسكوا بالإسلام الذي جاء في القرآن والسنة الصحيحة، وهو الذي كان زمن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ دون أن يزيدوا عليه ببدع وخرافات ومقولات كلامية ما أنزل الله بها من سلطان، ودون أن يفرطوا فيه وينقصوا منه.

لأنه تعالى يقول ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب : ٢١].

ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول " ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها

(١) دراسات أيديولوجية... (ص ٩٠).

(٢) انظر لبيان حال (العروي والجابري): كتاب الأستاذ أنور الجندي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (كتاب العصر تحت ضوء الإسلام).

في النار إلا واحدة " قالوا : يارسول الله ومن هم ؟ قال : " من كان على ما أنا عليه وأصحابي " ^(١) وهذا في أمر (الدين) كما هو معلوم لكل عاقل يريد أن يفهم، وهو الذي يقصده الإمام مالك ^(٢).

أما أمر (الدنيا) فهي خاضعة للتطور، وعلى الأمة أن تسعى لتحصيلها والاستفادة من تطورها.

أما إن كان العروي والجابري والحمد يقصدون أن الحق قد يكون في غير (الإسلام) أي في غير (الكتاب) و (السنة الصحيحة)، وأنه ليس مقصوداً عليهما، وأن من حصر الحق في ما جاء به الإسلام فهو (مثقف تقليدي)، فهذا - والعياذ بالله - ردة عن دين الله، حيث اعتقدوا أن غيره من الأديان أو الثقافات الأخرى قد تكون أفضل منه، أو أنها مُصيبة وهو مخطئ، نعوذ بالله من ذلك.

فهذا طعن بدين الإسلام، وعدم رضئ بما جاء فيه، بل شك وارتياب في مبادئه الثابتة بالكتاب والسنة، بل شك وارتياب بالكتاب والسنة نفسيهما ! كما لا يخفى على عاقل يفهم ما يلمحون إليه.

ومما يؤكد هذا : اتهام الحمد في آخر كلامه (حياة الرسول ^(٣)) والمرحلة الراشدة) بأن فيها تناقضات عديدة !! (إذا دُرست وفق

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) وصححه ابن القيم في مختصر الصواعق (٢/٤١٠).

(٢) فتطبيق مقولته ﷺ ليس مستحيلاً كما يدعي الحمد في كتابه (ص ١٠٣).

(٣) صلى الله عليه وسلم. والحمد من عادته المطردة أن لا يصلي ولا يُسلم على نبي الله ﷺ عند ذكره!.

منهج تاريخي موضوعي) !! وأترك للقارئ الحكم على هذا القول مما يعرفه من ضروريات الإسلام.

ولا ندري ماهو المنهج التاريخي (الموضوعي) الذي سيطبقه الحمد على حياة أشرف أنبياء الله ﷺ حتى يبين تناقضها !؟ أهو منهج الشك، أم منهج (بقايا) الشيوعيين !؟

لقد خبت وخسرت بقولك هذا عندما اتهمت حياة نبيك ﷺ بأنها متناقضة، ولا ندري متناقضة مع ماذا؟ وصدق الله إذ يقول
لنبيه: ﴿إِنَّكَ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ ﴿الكوثر: ٣﴾.

الحمد يتهم آل سعود بالاستغلالية والنفاق !!

يقول الحمد: (إن تعاليم الشيخ^(١) لعبت - وتلعب - دوراً محورياً في التاريخ السياسي للجزيرة العربية بشكل عام، فقد أعطت الوهابية الأسرة السعودية المالكة أساساً أيديولوجياً لإضفاء الشرعية على مطالبها وطموحاتها السياسية في السيطرة والسلطان)^(٢) !

إذن؛ فال سعود - عند الحمد - منذ محمد بن سعود ﷺ وإلى اليوم (خادم الحرمين) وفقه الله لطاعته، مروراً بالملك عبد العزيز ﷺ قد استغلوا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ أي الدعوة السلفية، لتحقيق طموحاتهم في الحكم.

فهم لم يناصروها حباً في الإسلام أو في الدعوة السلفية،

(١) محمد بن عبد الوهاب ﷺ.

(٢) دراسات أيديولوجية... (ص ١٤٠).

وإنما طعماً في مُلك زائل يتسلطون به على رقاب المسلمين !
فهو يُشَبَّه آل سعود بالمنافقين الذين يُبطنون مالا يُظهرون -
والعياذ بالله - .

ونسي - هداه الله - جهاد محمد بن سعود وأبنائه وأحفاده
(عبد العزيز - سعود - عبدالله) في سبيل هذه الدعوة السلفية
ونشر مبادئها، بل وتعلمها وتعليمها، وعدم التنازل عنها في أحلك
الظروف، مع أن بإمكانهم مهادنة أعداء الدعوة مع الاحتفاظ
بملكهم.

ونسي - أيضاً - جهود تركي بن عبد الله وابنه فيصل في سبيل
إعادة مبادئ الدعوة ونشرها بين الناس، والذود عنها، وعدم الرضا
بغيرها، مع أنهم - كأسلافهم - يستطيعون مهادنة الأعداء، الذين
سيقبلون ذلك، مع الاحتفاظ بملكهم دون أن تمسه يد مغتصب.

ونسي أيضاً جهاد الملك عبد العزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في سبيل إنشاء دولة
(سلفيه) معاصرة، تحرص على نشر الدعوة السلفية، ولا ترضى
عنها بديلاً من أفكار وثقافات كان يعج بها العالم العربي
والإسلامي آنذاك.

نسي الحمد كل هذا واتهم آل سعود بالنفاق، لأنه لم يرتض
مشربهم ولا مبادئهم، وإنما نفسه تنزع إلى غيرهم من (شياطين)
حزب البعث والماركسية - كما سيأتي - .



نقد

مضامين ثلاثية تركي الحمد

ثلاثية تركي الحمد تسمى (أطياف الأزقة المهجورة) وهي من ثلاث حلقات أو روايات متسلسلة تحكي قصة بطل واحد هو (هشام العابر).

الحلقة الأولى : بعنوان (العدامة)^(١)

الحلقة الثانية : بعنوان (الشميسي)^(٢)

الحلقة الثالثة : بعنوان (الكراديب)^(٣)

١ - العدامة :

بطل هذه الثلاثية هو (هشام بن إبراهيم العابر) شاب صغير السن يعيش مع والديه في مدينة الدمام في فترة الثمانينات الهجرية. وأما أصلهم فيعود إلى القصيم !.

وكان هذا الفتى الصغير مولعاً بالقراءة ومتابعة ما يدور من

(١) وسأعتمد على الطبعة الثانية الصادرة عام (١٩٩٨م) عن دار الساقى ببلبنان. والعدامة حي مشهور من أحياء مدينة الدمام.

(٢) وسأعتمد على الطبعة الأولى، الصادرة عام (١٩٩٧م) عن دار الساقى ببلبنان. والشميسي شارع وحي مشهور في مدينة الرياض.

(٣) وسأعتمد على الطبعة الأولى، الصادرة عام (١٩٩٨م) عن دار الساقى ببلبنان، والكراديب رمز للسجن.

حوله من أحداث وأفكار في تلكم الفترة الصاخبة بالشعارات، فاعتنق لأجل هذا الفكر القومي الماركسي الذي كان متوهجاً ساحراً لكل متفتح على الحياة، لا سيما بعد نجاح هذا الفكر (على اختلاف درجاته) في الاستيلاء على البلاد العربية، مما زاد من رصيد معتنقيه الذين رأوا فيه خير موحد للأمة العربية التي مزقتها الاستعمار.

لهذا : اعتنق هشام هذا الفكر وآمن به، ثم استطاع تنظيم (حزب البعث بالسعودية !) أن يضمه إليهم كعضو جديد في الحزب بعدما أعجبوا به وبأفكاره.

استمر هشام يحضر اجتماعات الحزب (السرية)، ويشارك في نقاشاتهم وفي إعداد التقارير لهم عن الأحوال السياسية الجارية.

كما أنه استطاع أن يضم صديقه (عدنان العلي) إلى هذا الحزب، إلا أنه رغم هذا يود التخلص من الارتباط بعضوية الحزب، مع البقاء على أفكاره دون أن يشعر بأي تقييد.

سافر هشام إلى الرياض لتقديم أوراقه إلى كلية التجارة مؤملاً أن يدرس شيئاً عن الأفكار والأنظمة السياسية المختلفة. فاضطر للسكن في بيت خاله (المتدين).

كان أولاد خاله يختلفون عنه كثيراً في أسلوب حياتهم وطريقة عيشتهم، حيث كانوا مقبلين على اللهو - الذي غالبه مُحَرَّم - والتمتع بالحياة، ولم تكن الأفكار الفلسفية والأحداث السياسية تستهويهم، لا سيما (عبدالرحمن) الذي تميز عنهم بحبه للمغامرات (النسائية) مع شربه الخمر (أو العرق).

تغيرت أحوال هشام بسبب ابن خاله عبدالرحمن الذي أغراه بالتمتع بشبابه ومعاقره الخمر والنساء، فانساق هشام معه تدريجياً إلى أن سقطت جميع المثل التي كان يراها في السابق من عينيه بفضل رعاية والديه له في الدمام. فأقبل على حياته الجديدة بنهم شديد وبعلاقات نسائية متتالية.

كان هشام قد سافر من قبل مع أهله إلى بلدهم الأصلي (القصيم) لزيارة جده وجدته.

وهناك تعرف هشام على (عبد المحسن التغيري) الذي عرف هشاماً على بقية زملائه من خلال (كشتات) البر. وهم (محمد الغبيرة) و(دعيس الدعيس) و(سليم السنور) و (صالح الطرثوث) و(مهنا الطعيري) وكانوا جميعاً من المهووسين بجمال عبد الناصر وبقوميته لا سيما (مهنا الطعيري).

عاد هشام إلى الدمام مواصلاً ترقب أخبار الاعتقالات التي حدثت لأفراد الحزب والأحزاب والتنظيمات الأخرى المعارضة للحكومة السعودية، ومواصلاً أيضاً غزله المتبادل مع بنت الجيران (نورة).

وبهذا انتهت الرواية الأولى من ثلاثية تركي الحمد.

لتبدأ بعدها أحداث الرواية الثانية (الشميسي).

٢ - الشميسي :

تكاد تكون أحداث رواية الشميسي مخصصة لحال هشام في مدينة الرياض، وهذا ما يوحي به اسمها (الشميسي)، الذي هو

اسم شارع شهير في مدينة الرياض.

سجل هشام في كلية التجارة وانتقل إلى السكن عند خاله في الرياض، وكثرت ملبسته للمحرمات من شراب ونساء بواسطة (عبد الرحمن) ابن خاله.

ثم ارتبط بعلاقة غير شرعية مع جارة خاله (سارة) أو (سوير) وأصبح يتردد عليها.

تفاجأ هشام بالتزام صديقه عدنان، الذي اختار سبيل الخير مسلكاً له، وارتبط مع شباب صالحين أثناء قدومه للدراسة الجامعية في الرياض - أيضاً -.

انتقل هشام للسكن في عزبة مع (عبد المحسن التغيري) الذي قدم الرياض من القصيم، لكي يأخذ - أي هشام - حريته الكافية التي كانت مقيدة نوعاً ما في منزل خاله.

انتهت امتحانات نصف العام، فذهب هشام إلى الدمام لزيارة أهله مواصلاً علاقته العاطفية مع (نورة) بنت الجيران بعد أن علم بزواجها.

رجع هشام إلى الرياض مواصلاً - أيضاً - مغامراته النسائية لا سيما مع (سوير) التي حملت منه .

جاء والده فجأة لزيارة الرياض لإخباره بأنه مطلوب من قبل رجال الأمن (المباحث).

وبعد أخذ ورد قرر الوالد إخفائه عن أعين الأمن عند أحد زملائه إلى حين استصدار جواز مزور له لكي يتمكن من الهرب

إلى بيروت^(١) عن طريق البحرين، ولكن رجال الأمن كانوا له بالمرصاد، حيث قبضوا عليه وحققوا معه، ثم قرروا ترحيله إلى جدة لمواصلة التحقيق (الجاد!) معه.

بهذا الحدث انتهت رواية الشميسي، وهي الحلقة الثانية من ثلاثية تركي الحمد، لتبدأ بعدها أحداث الحلقة الأخيرة من الثلاثية وهي رواية (الكراديب).

٣- الكراديب :

هذه الرواية مخصصة أحداثها لبيان أحوال هشام العابر في السجن في جدة بعد أن حُقق معه، ولكنه أبى الاعتراف بانتسابه إلى تنظيم (حزب البعث)، فقرروا أن يلبث في السجن إلى حين، حيث تعرف من خلال السجن على (عارف) وهو أحد الشيوعيين، فبدأت بينهما نقاشات حول أفكار بعضهما، مع شد وجذب، لأن كل واحد منهما يؤيد فكرته لتصحيح الأوضاع في البلاد.

اعترف هشام بما يريد السجانون فنقلوه من مكانه إلى مكان آخر أفضل منه. حيث تعرف - أيضاً - على (وليد) الذي يؤمن بالقومية كحل لأفراد الأمة، و (عبد الله) الذي ينتمي إلى (الجبهة الديمقراطية) وهي جبهة منفصلة عن حزب البعث، (ولقمان) الذي ينتسب إلى الإخوان المسلمين!.

استمرت النقاشات بين هؤلاء الأربعة، وكلٌ منهم يحاول أن يبين صحة نظره واختياره هذا المسلك الذي سلكه، وارتضاه دون

(١) كانت ملجأ لمعارضتي الدولة السعودية ذاك الزمان.

غيره.

بعد مدة من الزمن تم الإفراج عن هشام الذي عاد فوراً إلى الدمام، ولكنه وجد كل شيء حوله قد تغير ولم يعد يحمل ذكرى الماضي، لا سيما وأبوه قد انتقل إلى بيتٍ جديد بدل بيتهم القديم الذي عاش فيه سنين الأولى.

بعد أخذ ورد قرر أهله أن يعود إلى مواصلة دراسته في الرياض، فعاد إليها مندهشاً من مدى تغيرها عن عهده القديم بها، في مبانيها وفي أفرادها (وهو ينظر بعينين فقدتا بريقهما، إلى أزقة كانت مأهولة، فلم تعد إلا أزقة مهجورة تجوبها أطراف لاهية فيها، ولكنها لا تريد أن تموت)^(١)، وبهذا انتهت أحداث الحلقة الأخيرة من ثلاثية تركي الحمد.

❁ ملامح بطل الثلاثية : هشام العابر :

لنتبين ملامح (هشام العابر - أو تركي الحمد)^(٢) في هذه الرواية سأقتطف بعض العبارات من الثلاثية تكون لنا صورة متكاملة لشخصيته (صفاته وطموحاته) لتأتي بعدها مناقشته في أفكاره :

١- هو شاب يحب القراءة : لاسيما قراءة الكتب (المحرمة) الفلسفية والماركسية.

(١) الكرايب (ص ٢٨٨)

(٢) قال تركي الحمد في مقابله مع جريدة اليوم بتاريخ ٨ / ٨ / ١٤١٩ هـ عن ثلاثيته : (فيها الكثير مني).

(لقد خرج إلى الدنيا وهو لا يعرف إلا هواية واحدة، ولذة واحدة هي القراءة، ويقرأ أي شيء، وكل شيء تقع عليه يده)^(١)

(أخذت القراءات الفلسفية والسياسية تجذبه كثيراً منذ أن أهده أحد أصدقاء والده كتاب "طبائع الاستبداد ومصارع الاستبعاد" لعبد الرحمن الكواكبي، حتى أنه كان يقضي ليالي بطولها في قراءة النصوص الماركسية والقومية والوجودية وغيرها من التيارات الفلسفية والسياسية مما تقع عليه يده في المكتبات المحلية، أو يحصل عليه مما هو غير متاح في المكتبات)^(٢)

(في المرحلة الثانوية أهمل الدراسة إهمالاً تاماً، ولولا خشيته من جرح كبرياء والده وقلب أمه لما درس إطلاقاً، وتفرغ لعالمه الجديد من القراءة واكتشاف النصوص المحرمة)^(٣)

(لم تعد الكتب المتوفرة في المكتبات المحلية ترضي شغفه بالعالم الجديد الذي اكتشف، فكان في كل رحلة مع والديه إلى الدول المجاورة، الأردن أو سوريا ولبنان يجلب معه بعضاً من تلك الكتب الممنوعة والمحرمة، والتي تكون زاده المعرفي طوال الفترة اللاحقة)^(٤).

(كان ينفق كل مصروفه على الكتب الماركسية غير المتاحة في بلده، وخاصة مؤلفات آرنستوتشي غيفارا، وريجس دوبريه، وفرانز

(١) العدامة (ص٩).

(٢) العدامة (ص٩).

(٣) العدامة (ص١٠).

(٤) العدامة (ص١٢).

فانون، بالإضافة إلى مؤلفات ماركس وانجلز وبليخانوف ولينين وتروتسكي وستالين، التي تشكل الزاد الفكري الرئيسي. أما ما كان يهزه من الداخل فعلاً، فقد كانت مؤلفات غيفارا التي كانت تدغدغ شيئاً ما داخل ذاته. كانت هذه الكتب، بالإضافة إلى الأعمال الأدبية والروائية العالمية الخالدة، تباع بأرخص الأسعار على أرصفة الشوارع في عمان ودمشق وبيروت، وعلى عربات أشبه بعربات الخضار. التهم خلال رحلاته، وبعد العودة، كل روايات مكسيم غوركي خاصة، وأهم الروايات الخالدة في الأدب الروسي عامة. قرأ " أنا كرنا " و " البعث " لليو تولستوي، " والجريمة والعقاب " و " الأخوة كارامازوف " لفيكتور دوستويفسكي، و " الدون الهاديء " لميخائيل تشولوكوف. وقد أثارت فيه رواية " الأم " لغوركي أحاسيس وانفعالات عنيفة متداخلة، من الغضب إلى الحماس إلى البكاء إلى العطف إلى القسوة إلى الرقة، مما جعله يعيد قراءتها مرات ومرات. بكى عدة مرات مع العم توم في كوخه، وعاش مع لانغ وزوجته في أرضهما الطيبة، وتعاطف كثيراً مع مدام بوفاري بنفس القدر الذي حنق فيه على سكارليت أوهايرا. وكان يختلس لحظات طويلة يقرأ فيها ألبرتو مورافيا وبلزاك وأميل زولا، لا حياءً في ذات هذه الأعمال دائماً، ولكن بحثاً عن مشهد جنسي هنا، أو وصف لعلاقة حميمة هناك، ويتصور في لحظة حلم يقظة أنه البطل في كل هذه العلاقات. أما ذلك الوصف الأخاذ للحياة الاجتماعية في هذه الأعمال، فلم يكن يهيمه كثيراً، إذ كان يعتقد أن الأدب الروسي لا يعلى عليه في هذا المجال، كما قرأ بعض روايات

تشارلز ديكنز، وأعجبته خاصة " قصة مدينتين " ، التي اعتبرها، مع " الأم " أفضل أعمال يمكن كتابتها. كان ينفق مصروفه على هذه الكتب^(١).

٢- هو يريد أن يكون مفكراً طليقاً، لا يتقيد بأي دين أو مذهب سوى (العلم!).

(يذكر ذات مرة أنه دخل في مجادلة مع مدرس الدين حول نظرية النشوء والارتقاء لدارون، حين شتم هذا المدرس النظرية واصفاً إياها بالفكر والإلحاد، وشتم صاحبها واصفاً إياه باليهودية والمؤامرة اليهودية على الإسلام والمسلمين. يذكر يومها أنه قال للمدرس إن هذه النظرية إنتاج علمي، والعلم هو سيد العصر شئنا أم أبينا. قد يخطيء دارون وقد يصيب بشأن أصل الإنسان وأصل الأنواع ولكن التطور حقيقة تفرض نفسها، كما أن دارون ليس يهودياً لا أباً ولا أمماً. يومها اتخذ منه مدرس الدين موقفاً عدائياً، وأصبح لا يناديه إلا بالفاسق. ولكن ذلك لم يكن يهمله كثيراً بل لم يكن يهمله على الإطلاق، مع ذلك الحماس وذلك الانطلاق الذي وجدته في عالمه الجديد)^(٢).

(أريد أن أكون مفكراً طليقاً، لا مناضلاً سياسياً في تنظيم)^(٣).

٣- هو ماركسي المذهب، ليس كالماركسيين، بل يحب

(١) العدامة (١٢-١٣).

(٢) العدامة (ص ١٤-١٥).

(٣) العدامة (ص ٢٦).

المزج بين الماركسية والقومية العربية :

(أعجبه كتابات ياسين الحافظ وكذلك المنطلقات، إذ وجد فيها مزيجاً أخاذاً ومثيراً من الماركسية والقومية. وجد فيها شيئاً كان يشعر أنه ينقص الكتابات الماركسية التي قرأ، وكذلك الكتابات القومية على اختلافها. فقد سبق له أن قرأ " في سبيل البعث " لميشيل عفلق، وبعض كتابات منيف الرزاز وصلاح البيطار، والكتابات الناصرية القليلة مثل فلسفة الثورة، لجمال عبد الناصر، وكتابات أنور السادات حول ثورة يوليو وعبد الناصر، وكذلك " بصراحة " محمد حسنين هيكل التي ينشرها في جريدة الأهرام كل يوم جمعة، ويستمع إليها من خلال إذاعة " صوت العرب " من القاهرة، فقد كانت الأهرام ممنوعة من الدخول في بلده. كانت الكتابات الماركسية تركز على المسألة الاجتماعية والأممية، وبقدر ما كان متحمساً للمسألة الاجتماعية ومؤمناً بها، بقدر ما كان متردداً بشأن المسألة الأممية. إنه يشعر أنه قومي حتى النخاع، والقومية تسري في عروقه. وتهزه خطابات جمال عبد الناصر، وتثمله الشعارات القومية التي يطلقها البعثيون والناصريون والقوميون العرب. لكن رغم ذلك، كان يحس أن هنالك شيئاً ناقصاً، كان يشعر أن هؤلاء لم يعطوا المسألة الاجتماعية حقها من الاهتمام، وخاصة قضايا مثل الصراع الطبقي والاشتراكية العلمية والحمية التاريخية. ولذلك اعتقد أن الفكر الماركسي، رغم بعض التحفظات، هو الذي من الممكن أن ينير الطريق ويعطي فلسفة متكاملة للحياة. أعجبه كتابات الحافظ والمنطلقات لأنها تمزج المسألة القومية بالاجتماعية. جامعة ما يشعر بميل إليه

في فلسفة واحدة^(١) .

(لا تعجبني أفكار عفلق والبيطار والرزاز. أعتقد أنها عاطفية أكثر من اللزوم، رغم إيماني بإطارها العام. نحن بحاجة إلى فلسفة متكاملة. وأعتقد أن الماركسية هي الحل رغم النواقص التي من الممكن إكمالها)^(٢) .

(إذا كان ما في المنطلقات هو فكر البعث، فإني أجد نفسي فيه، فهو يمزج القومية بالماركسية . . . وهذه هي قناعاتي)^(٣) .
(أحس بالهلع والنفور من كل ما يمت إلى التنظيم وفكره بصلة. وبقيت علاقته الحميمة بالماركسية)^(٤) .

هو يتبنى فكراً ماركسياً لا يعتقد بدور البطل في التاريخ، بل هي التناقضات المادية والاجتماعية التحتية، وانعكاساتها الفوقية السياسية والثقافية)^(٥) .

(الماركسية . . . هي الفكر العلمي الشامل القادر على منحنا مفاتيح التاريخ والمجتمع والسياسة، ومن لديه هذه المفاتيح لا خوف عليه ولا هو يحزن)^(٦) .

(الحقيقة أنني ميال إلى الفكر الماركسي)^(٧) .

(١) العدامة (٦١-٦٢).

(٢) العدامة (٦٣).

(٣) العدامة (ص ٦٤).

(٤) العدامة (ص ٢٢٤).

(٥) العدامة (ص ٢٧٨).

(٦) العدامة (٢٨٣).

(٧) العدامة (ص ٥٧).

(سوف يتعلم الماركسية على أصولها)^(١).

(من قال لك أنني شيوعي؟... أنا اشتراكي)^(٢).

(أنا أميل إلى الماركسية، ولكنني لست شيوعياً)^(٣).

ولكن هشاماً برغم هذا الحسم (الماركسي) لتوجهه إلا أنه بقي متردداً متحيراً في أمره، تصارعه أفكار شتى حول هذا الكون، وخالقه، وأحداثه، مما لم يستطع أن يستوعبه فأصبح ينادي بتفاهة هذه الحياة وأهلها، وعبثية أحداثها وأقذارها، مع ترقب وتوجس لهجوم الموت (الغادر!) عليه :

(ليست الحياة إلا حفلة ماجنة يُدخن فيها الحشيش ويؤكل الخبز مغموساً بالنبيد والعرق الراشح من أجساد أدمنت الجنس، وأدامها الهوى، ومزقت نفسها بوحشة أخلاقية. نحاول أن نضفي المثال والجمال على هذه الحفلة العابثة، ولكن كل شيء ينكشف ولو بعد حين، وتقف الحقيقة عارية من جديد، كما ولدت عارية من قديم... العدم يقف بالمرصاد، والمجهول يتربص من بعيد، والعجز يقيد المجتمع)^(٤).

(الموت قادم لا محالة .. إنه مصير ملموس، وليس كمصير الأمة أو الطبقة مشكوك فيه بقدر ما هو مشكوك في الأمة والطبقة ذاتهما. فلماذا الاحتياط، ولماذا الخوف؟... ولماذا هذه اللعبة

(١) العدامة (ص ١٠٥).

(٢) الشميسي (ص ١٢٣).

(٣) الشميسي (ص ٢٤).

(٤) الكرايب (ص ١٨٦).

السمجة، لعبة القط والفأر... ما نحن إلا ممثلون في مسرحية،
وسواء طال دور أحدنا في هذه المسرحية أم قصر، فإنه لا يلبث أن
ينتهي، وتنتهي كل المسرحية في النهاية...

ثم بعد تردد طفيف.

- ولو كان لي من الأمر شيئاً^(١) في البداية، لما اخترت
الاشتراك في المسرحية من الأساس^(٢).

(هل ما يجري هو حكمة خافية لاندريةها، أو أنه مجرد عبث
اعتدنا عليه فأصبح نظاماً، أم هو مزيج منهما، أم لا هذا ولا
ذاك؟ أين المعنى في كل ذلك وما هو النظام؟ لا أحد يدري،
ولن يدري أحد)^(٣).

(يالهذا الموت الجبان الغادر... إنه يأخذ أجمل ما في الحياة
ويضحك ويهجرنا حين نريده، ويحل ضيفاً ثقيلاً حين لانريده...
ليت موسى لم يفقاً عين عزرائيل حين أتى لقبض روحه، ولكنه
قصم ظهره أو دق عنقه... ولكن حتى لو مات عزرائيل، هل يموت
الموت؟ ويقلع عن أفكاره هذه ويقتنع بأهمية الموت لا استمرار
الحياة، ولكنه يكرهه، ولا زال يعتقد بجبنه وغدره)^(٤).

(عليك الرحمة يا ابن آدم. ظننت نفسك أكرم الكائنات، الذي
طرد من أجله عابد الأزل من الرحمة والملكوت، فاكشفت أنك

(١) هكذا! والصحيح: شيء.

(٢) الكرايب (ص ١٩٣).

(٣) الكرايب (ص ٢١٥).

(٤) الكرايب (٢٤٢). وسيأتي خطأ تسمية ملك الموت بعزرائيل.

أتفه من ذبابة وأحقر من بعوضة يا لك من معتوه يا ابن آدم، أردت أن تكون إنساناً كما أراد لك من أنسك، ولكنك وجدت نفسك في عالم تداس فيه كصرصار تائه، وتسحق فيه كذبابة وقحة^(١).

قلت : هذه أبرز ملامح (هشام العابر) : فهو يحب القراءة منذ صغره في الكتب (المحرّمة) الفلسفية والماركسية، التي كانت ممنوعة - لضررها - في بلاده (السعودية)، ولهذا كان يحرص على تحصيلها من عدة منافذ.

ولأجل قراءته هذه الكتب فقد تعلق قلبه بالفكر الماركسي والفكر القومي الذي كان عالياً صوته شديداً هيجانه في تلك الفترة، فحاول أن يمزج بين (القومية والماركسية) متأثراً ببعض قيادات ومنظري (حزب البعث).

ولأجل هذا انضم (هشام) - على كرهٍ وتمنع - إلى هذا الحزب، لأنه يود أن يكون مفكراً طليقاً، بدلاً من حصره في صرامة التنظيمات.

وكانت نظرتة إلى الحياة سوداوية تشاؤمية، لأنه لم يعرف لها هدفاً، ولم يفقه حكمة الله من خلقها، وجعل الخلق يتوارثونها، ولم يعد يرى منها سوى أنها حياة لا قيمة لها، تجري أحداثها وأقدارها بعبثٍ لا حكمة فيه.

قلت : ويتضح بعد هذا الموجز عن هشام العابر (أو تركي الحمد !) وأفكاره أن الحديث - دون تطويل - سيكون حول :

(١) الكرايب، (٢٥٢).

- ١ - نقض مبادئ الماركسية التي نادى بها الحمد^(١).
- ٢ - نقض مبادئ القومية العربية التي نادى بها الحمد.
- ٣ - نقض مبادئ حزب البعث، الذي انظم إليه الحمد.
- ٤ - نقض مبدأ الإنسانية التي نادى بها الحمد.
- ٥ - بيان عقيدة أهل السنة في (القدر) مع توضيح حكمة الله من خلق الخلق.
- ٦ - بيان تنقص الحمد في ثلاثيته :
 - أ - الله.
 - ب - وملائكته.
 - ج - وكتبه .
 - د - ورسله.
 - هـ - ودينه.
 - و - وعباده الصالحين.
- ٧ - مباحث أخرى.



(١) أقول (الحمد) وليس (هشام العابر)، لأن هشاماً لم يكن سوى تركي! كما سبق.

نقد مبادئ الماركسية^(١)

تُنسب هذه النحلة إلى مؤسسها (اليهودي) كارل ماركس الذي ولد في ألمانيا عام ١٨١٨م وهلك عام ١٨٨٣ م. وهو ينحدر من أبوين يهوديين ينتميان إلى الحاخامات العالمين بشريعة اليهود. (وبعد أن انتهى من التعليم الثانوي بمسقط رأسه التحق عام ١٨٣٥م بجامعة بون ثم انتقل إلى برلين حيث درس التاريخ والفلسفة والاقتصاد.

وفي أثناء دراسته ببرلين اتصل بجامعة الشباب الأحرار الذي كانوا يعتنقون الفلسفة الهيجلية، وبعد ذلك انتقل كارل إلى الصحافة والتحق بتحرير جريدة رانيش نسياتنج الراديكالية إلى أن عطلت الجريدة بسبب دعوتها الثورية.

وفي عام ١٨٤٤م تزوج كارل من جيني فون فستنالين التي عاشت أحداث أسرته المتقلبة إلى أن ماتت عام ١٨٨١ م وما لبث

(١) لخصت هذا المبحث من: " مذاهب فكرية معاصرة " لمحمد قطب، و" الشيوعية " مقال لعبد القادر شيبه الحمد، في مجلة الجامعة الإسلامية (سنة ٢ عدد ٣) " والإسلام والمذاهب الاشتراكية " للدكتور محمد تقي الهاللي. مقال في مجلة الجامعة الإسلامية (سنة ٣ عدد ٢)، و " التصور الماركسي للإسلام " للدكتور محمد بلتاجي، مقال في مجلة أضواء الشريعة (عدد ٨)، و" الشيوعية في الميزان " للشيخ محمد عبد السميع، مقال في مجلة الجامعة الإسلامية (سنة ١٠ عدد ٢).

أن لحق بها بعد عدة شهور من وفاتها وذلك عام ١٨٨٢م.

وكان كارل ماركس قد هاجر وزوجته جيني إلى باريس عام ١٨٤٤م حيث التقى بصديقه ورفيق حياته الشخصية والمذهبية فريدريك إنجلز الذي شاطره الرأي والتفكير، وشاركه في عدد من مؤلفاته منها : العائلة المقدسة، والمثالية الألمانية، كما التحق كلاهما بالحلف الشيوعي وهو منظمة للاجئين الألمان في فرنسا، حتى طردا كلاهما من باريس فارتحلا إلى بروكسل الألمانية. وفي عام ١٨٤٧م أصدر كلاهما - ماركس وإنجلز - كتابهما المشهور " البيان الشيوعي " وهو في جملته يتضمن تحريضاً للعمال على الثورة ضد الطبقة الرأسمالية.

وبعد عودة قصيرة إلى ألمانيا هاجر ماركس وأسرته وزميله فريدريك إنجلز إلى إنجلترا. وفي لندن تابع ماركس إصدار مؤلفاته وأفكاره.

ثم عكف بعد ذلك على أشهر مؤلفاته وأكبرها وهو كتاب " رأس المال " ، وقد ضمّنه خلاصة أفكاره وتصوراته في الاقتصاد بما يشرح فيه تحليلاً مفصلاً عن المال وسيطرة الأثرياء والمستغلين، وعن العمل المضيق المستغل لحساب البورجوازيين والرأسماليين فيما يسمى بفائض القيمة. وقد صدر الجزء الأول من " رأس المال " عام ١٨٦٧م. أما الجزءان الآخران فقد اضطلع إنجلز بمهمة تجميع المسودات لهما إلى أن تم نشرهما بعد وفاة ماركس.

❁ مصادر فلسفته :

استفاد ماركس من عدة مصادر لدعم فلسفته ونظريته ومن أبرزها :

١- الفيلسوف الألماني (هيجل) أخذ منه مبدأ التناقض في الحياة، أو (الديالكتيك).

(وقد أخذ ماركس الإطار الجدلي الهيجلي، بيد أنه لم يقبل القول بأن الفكر أو العقل أو الروح أو المطلق المثالي هو الذي يؤثر على الحياة والواقع المادي؛ فقد ذهب على نقيض ذلك إلى أن مجموعة الظروف المادية هي التي تؤثر في الفكر والعقل، ثم انتقل من ذلك إلى اعتبار أن (عوامل الإنتاج الاقتصادي) خاصة هي التي تؤثر في كافة العلاقات والتطورات الفكرية والاجتماعية والسياسية التي تتكون منها حركة التاريخ؛ فهذه العلاقات والتطورات كلها أثر من آثار ظروف الإنتاج الاقتصادي).

أهداف الماركسية ومبادئها :

(تقوم النظرية الماركسية على مجموعة من الأسس والمبادئ يمكن تلخيصها في النقاط الآتية :

١- إلغاء الملكية الفردية إلغاء باتاً وإحلال الملكية الجماعية بدلاً منها.

٢- إلغاء الطبقات بإقامة دكتاتورية البروليتاريا وإبادة الطبقات الأخرى.

٣- كفالة الدولة لجميع " المواطنين " في مقابل تكليف القادرين منهم بالعمل رجالاً ونساء.

- ٤- المساواة في الأجور.
- ٥- إلغاء الدين !.
- ٦- تطبيق مبدأ " من كلِّ بحسب طاقته، ولكلِّ بحسب حاجته " .
- ٧- إلغاء الصراع من المجتمع البشري بإلغاء الباعث عليه وهو الملكية الفردية.
- ٨ - إلغاء الحكومة في المستقبل، وإقامة مجتمع متعاون متعاطف بغير حكومة).

🌸 نقد مبادئ الماركسية :

نحاول فيما يلي نقض كل واحد من هذه المبادئ في إيجاز دون تفصيل :

١- (فأما من حيث إلغاء الملكية الفردية، فقد تم ذلك وبصورة حادة في المرحلة الأولى من التطبيق على عهد لينين وجزء من عهد ستالين. أما إحلال الملكية الجماعية محلها، فقد تكشف عن أسطورة ضخمة ليس لها وجود حقيقي ! فلا أحد من طبقة البروليتاريا يملك شيئاً في الحقيقة أو يحس بملكية شيء. إنما الدولة - كما نصت النظرية - هي المالك الحقيقي لكل شيء، والدولة - عند التطبيق - شيء والشعب شيء آخر. ومهما قيل من " نيابة " الدولة عن البروليتاريا في الملكية والإشراف عليها فهو مجرد كلام للاستهلاك النظري. أما الواقع فهو أن الدولة أصبحت كابوساً ثقيلاً بدكتاتوريتها البشعة التي لا تدع للناس فرصة للإحساس بوجودهم، فضلاً عن أن يحسوا بأنهم يملكون شيئاً على الإطلاق !

فجو الإرهاب الدائم الذي تمارسه الدولة على الشعب بحجة المحافظة على النظام من أعدائه، وجو الجاسوسية الذي يعيش فيه إلى حد أن الوالد لا يأمن ولده، ولا الزوج يأمن زوجته، ولا الأخ يأمن أخاه - ضمناً ألا يجتمع اثنان على سر خشية أن يكون السر مؤامرة على " النظام " ! - هذا الجو الذي يمكن أن يؤخذ فيه الإنسان بالظنة فيحاكم ويحكم عليه بالإعدام أو الاعتقال في ثلوج سيبيريا أو بأي عقوبة أخرى " رادعة " .. وهو جو لا يسمح بوجود " التعاطف " بين الشعب والدولة، ذلك التعاطف الذي يحس فيه أن الدولة نائبة عنه في الملكية والإشراف عليها.. فالنيابة لا تكون بالحديد والنار والتجسس.. إنما يخضع الشعب للدولة بعامل الإرهاب المسلط عليه، ويفقد في النهاية أي شعور بملكية شيء على الإطلاق ! ولا يبقى له إلا شعوره بالحرمان !).

(لقد زعمت النظرية الشيوعية أن الأصل في الإنسان هو الملكية الجماعية، وأن الملكية الفردية هي انحراف شريع وقعت فيه البشرية بعد اكتشاف الزراعة، وأن الشيوعية الثانية سترد الإنسان إلى أصله " فيستمع " بالملكية الجماعية، ويشفى من هذا الانحراف الخطير الذي أفسد إنسانيته وأشاع الظلم في المجتمع البشري لقرون عديدة من الزمان !

ثم فرضت " الدولة " الأمر فرضاً بالحديد والنار..

فهل شفيت النفوس من الداء وسلمت من الانحراف، وارتدت إلى أصلها الملائكي المزعوم؟!

إن الذي حدث بالفعل - أشرنا إليه من قبل - أن " النظام "

تراجع في عهد ستالين ثم في عهد خروشوف عدة تراجعات.

ففي المرحلة الثانية من عهد ستالين كان " النظام " في حاجة إلى زيادة الإنتاج، ومن ثم أعلن ستالين أنه من أراد من العمال - بعد وحدة العمل الإجبارية الأولى - أن يقوم بوحدة ثانية إضافية فسيكون له عليها أجر إضافي يستطيع به أن يحسن أحواله المعيشية فيشتري أنواعاً من الطعام أفخر، أو كميات أكبر، وأنواعاً من الملابس أرقى مما توفره وحدة العمل الإجبارية.

وموضع الدلالة : أن الدولة حين احتاجت إلى زيادة الإنتاج لم تجد وسيلة إليه إلا إثارة الحافز الفردي والالتجاء إليه. ولو كانت ترى - أو تعتقد في دخيلة نفسها - أنه يمكن زيادة الإنتاج دون الالتجاء للحافز الفردي لفعلت، خاصة وهي تملك الحديد والنار وتستخدمهما - بإسراف - في جميع المجالات، ذلك أن الالتجاء للحافز الفردي - أيًا تكن مبرراته التي تلقى أمام الناس - هو تراجع عن أصل من أصول النظرية، وهو الأصل القائل بأن الملكية الفردية ليست شيئاً فطرياً وأن الأصل في الناس هو الملكية الجماعية !

موضع الدلالة إذن أن كل بطش الدولة لم يستطع أن " يشفي " الناس من الحافز الفردي ويضع الحافز الجماعي مكانه. ومعنى ذلك أن الحافز الفردي - الوثيق الصلة بالملكية الفردية - عميق في الفطرة إلى حد لا يمكن انتزاعه، ولو استخدمت في انتزاعه كل وسائل البطش والإرهاب).

٢- (أما إنشاء مجتمع غير طبقي، وإلغاء جميع الطبقات ما

عدا طبقة البروليتاريا وإقامة دكتاتورية البروليتاريا، فقد اختلف التطبيق فيها اختلافاً واسعاً عن النظرية !

ولسنا نتحدث هنا عن " محاسن " إنشاء مجتمع غير طبقي، ولا كون هذا الأمر واجباً أو غير واجب، ممكناً أو غير ممكن، إنما نتحدث عن الواقع التطبيقي لنرى مقدار قربه أو بعده عن الشيء الذي قالوا إنه واجب أن يكون.

لقد زالت طبقة الإقطاعيين نعم، وحال تطبيق الشيوعية في الدولتين الشيوعيتين الكبيرتين دون ظهور الطبقة الرأسمالية، وما كان منها موجوداً في الدول الأخرى التي اعتنقت الشيوعية فقد أزيل إما بنزع الملكية الفردية وإما بالإبادة الثورية.

ولكن ما الذي حدث بعد ذلك؟!!

الذي حدث بالفعل أن " طبقة " جديدة بكل تعريف الطبقة ومواصفاتها قد برزت في المجتمع الشيوعي تحت اسم جديد بالمرّة هو " الحزب " !

والفارق بين أفراد الحزب - بدرجاته المختلفة - وبين أفراد الشعب هو ذات الفارق بين أية طبقة كانت مالكة وحاكمة من قبل وبين الشعب ! فأدنى درجات الحزب - وهي العضوية العادية - تنشئ لتوها فارقاً ضخماً في كل شؤون الحياة. وليست العبرة بوجود الملكية الفردية أو عدم وجودها، فلم يكن منشأ الطبقة في المجتمعات الطبقيّة هو مجرد وجود الملكية الفردية كما زعم التفسير الجاهلي للتاريخ، إنما كان ما يترتب على الملكية من سلطان ونفوذ، انطلاقاً من مبدأ أن الذي يملك هو الذي يحكم.

أي أن الطبقة في الواقع - وإن نبعت في المجتمعات الجاهلية من الملكية الفردية كما يقول التفسير المادي - إنما هي طبقة السلطان والنفوذ، التي تنبع من قدرة هذه الطبقة على التشريع لحساب نفسها وإلزام الآخرين بالخضوع لهذا التشريع.

وقد ألغيت الملكية الفردية من المجتمع الشيوعي، ولكن السلطان والنفوذ الذي تركز في "الحزب" قد جعل منه طبقة متميزة، لها كل سمات الطبقة ومميزاتها سواء في نوع المعيشة - أي المتاع - أو في النفوذ والسلطان).

(إن تركيز النفوذ في "الحزب" و"الدولة" و"الزعيم" هو الذي ينشئ ذلك الفارق الضخم بين "اللاشيئية" و"الشيئية" في المجتمع الشيوعي.. ولذلك يصبح أكبر مطمح للفرد لعادي في المجتمع الشيوعي أن يضع قدمه - مجرد وضع - ولو على أدنى درجة من درجات ذلك البناء الشاهق الذي يمثل السلطان، فيتغير وجوده كله، بل يصبح في الحقيقة موجوداً بعد أن لم يكن له وجود).

٣- (أما كفالة الدولة لكل فرد من أفراد المجتمع فهي الشيء الوحيد الذي برزت به الشيوعية في عالم الواقع على كل جاهليات التاريخ.

لا يوجد فرد لا يأكل ولا يلبس ولا يسكن من كل أفراد الشعب. وهذا هو الواجب الذي نكلت عنه الدولة الإقطاعية والدولة الرأسمالية على السواء. وإذا كانت الدولة الرأسمالية الحديثة قد اقتربت من أداء هذا الواجب شيئاً من الاقتراب

بالضمانات الاجتماعية والإعانات التي تصرف للمتعطلين من نقاباتهم أو من الدولة، وبالرعاية الصحية المجانية، وبالخدمات المجانية العامة .. الخ، فإنها لم تبلغ بعد الحد الذي التزمت به الدولة الشيوعية، فضلاً عن كونها قد فعلت ما فعلت لا بدافع إنساني ولكن خوفاً من الشيوعية، من جهة، وخوفاً من الضرر الذي يلحقها إذا لم تستجب لطلبات العمال المطالبين بهذه الحقوق.

ولكن لنا على هذه الكفالة مجموعة من الملاحظات. إذا قسناها على الكفالة التي قررها الإسلام لكل فرد من أفراد الأمة قبل ذلك بثلاثة عشر قرناً من الزمان !

تكفل الدولة الشيوعية أفرادها على الحد الأدنى الذي وصفناه من قبل، ومع ذلك لا تكفلهم وهم كرماء على أنفسهم ولا على دولتهم ! ولا نتحدث الآن عن تكليفهم بالعمل - رجالاً ونساء - مقابل كفالتهم، أي أن الدولة لا تفضل عليهم بالكفالة، إنما هي تجندهم لحسابها وتستصفي جهدهم كله قبل أن تعطيهم ضرورات حياتهم، وتهدهم تهديداً صريحاً بقولها : من لا يعمل لا يأكل...

لا نتحدث الآن عن هذا، فالعمل على أي حال هو الأصل في حياة الإنسان وليست البطالة هي الأصل.. ولكننا نقول إن الدولة الشيوعية بإلغائها الملكية الفردية والعمل الحر، وتحويل كل الناس أجراء للدولة، إنما تستذلهم في الواقع بلقمة الخبز، فلا يملكون أن يتوجهوا بكلمة نقد واحدة للقائمين بالأمر خوفاً على لقمة الخبز أن تضيع.. وذلك بخلاف الإرهاب بالحديد والنار

والتجسس، الذي يزيد من مذلة الناس وانكماشهم وخضوعهم للظلم الواقع عليهم دون التفوه بكلمة أو إشارة تدل على عدم الارتياح فضلاً عن الاحتجاج الصريح.

ولقد زعمت الشيوعية أن الذل الوحيد في الأرض هو عمل الإنسان أجيراً لإنسان آخر، وزعمت أنها هي التي ستخلص الناس من الظلم وتمنع الاستغلال حين تمنع تأجير جهد الإنسان لإنسان آخر.

نعم... ولكن ما الفرق بين تأجير جهد الإنسان لإنسان آخر، وتأجيره "للدولة" التي هي شخص معنوي في الكلام فقط، ولكنها في الواقع مجموعة من البشر يحملون من السلطان ما يجبرون به الناس على أداء العمل الذي يطلبونه منهم، وما يعاقبونهم به إذا قصرُوا في أدائه؟ وأيها أذل - في عالم الواقع - : الأجير الذي يملك ولو ذرة واحدة من الحرية في اختيار شخص «السيد» الذي يبيع له جهده، والمساومة على زيادة هذا الأجر، والاحتجاج على انخفاضه إذا رآه كذلك، أم الأجير الذي لا يملك ذرة من الحرية في تلك الأمور كلها، لا اختيار نوع العمل ولا مكانه، ولا اختيار «السيد» الذي يخدمه - فهو مفروض عليه بالحديد والنار - ولا حق الاحتجاج على الأجر المنخفض ولا طلب زيادته .. وإن فتح فمه بكلمة يموت جوعاً، إن لم يمت بوسيلة أخرى غير الجوع؟!!

وأية سفسطة تلك التي تقول إن الذل لا يكون قائماً حين تكون «الدولة» هي التي تسخر الناس للعمل، وهي التي تمنح

الأجور؟! ما تعريف الذل؟! وما اسم ذلك الإحساس الذي يحسه الإنسان حين يجد أنه لا يملك حريته في أي أمر من الأمور، وأن عليه أوامر ينبغي أن يطيعها، وواجبات ينبغي أن يؤديها، دون أن يكون له حق الاعتراض على شيء من الأشياء!؟

أم يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً؟!؟

يحلونه إذا كان صادراً منهم ومحققاً لمصلحتهم، ويحرمونه إذا صدر من غيرهم أو لم يكن في صالحهم؟)

٤ - (أما قضية المساواة في الأجور ؛ فلا تزيد على أن تكون واحدة من الأساطير الكثيرة التي بددها التطبيق.

في عهد لينين والجزء الأول من عهد ستالين طبقت روسيا مبدأ المساواة في الأجور لجميع العمال في الاتحاد السوفيتي. ولكن هل كانت هناك مساواة عامة في الأجور بالنسبة لكل العاملين؟

هل كان أجر المهندس كأجر العامل؟ وأجر الطبيب كأجر الممرض؟ وأجر الجندي كأجر الضابط؟

إن هذا بداهة مستحيل !

ومع استحالته فقد ظلت النظرية الشيوعية تنافح عن قضية المساواة وتندد بقضية التفاوت في الأرزاق !

ثم جاء اليوم الذي انهارت فيه المساواة حتى في صفوف العمال أنفسهم، بعد أن كانت منهاراً ما بين العمال وغيرهم من العاملين. فقد لجأ ستالين - كما أسلفنا- إلى إباحة العمل بعد

الوحدة الإجبارية الأولى لقاء أجر إضافي ينفق في «الكماليات».. وهكذا ضاعت المساواة تماماً ولم يعد لها وجود!).

٥ - أما إلغاء الدين فهو الأمر الذي نجح فيه الماركسيون في بلادهم !! فقالوا بأنه (أفيون الشعب) ومخدرها.

(وفي التطبيق اشتد الماركسيون في محاربة الدين. فلم يكتفوا بتحريم الحديث فيه، ومعاقبة من يضبط «متلبساً» بالحديث في الدين مع شاب أو فتاة دون الثامنة عشر، بل بالغوا في الاحتياط فوضعوا في مناهجهم الدراسية درساً للإلحاد في مكان درس الدين ! فحيث يضع البشر كلهم درساً للدين في مدارسهم - مؤمنين وغير مؤمنين - يتحدثون فيه عن الله، يضع الشيوعيون في مدارسهم درساً يقال للتلاميذ فيه إنه لا إله، والكون مادة (أي بلا خالق).

ولا مكان للمتدينين في الدولة الشيوعية. وقد قتل ستالين وحده ثلاثة ملايين ونصف مليون من المسلمين في عهده، لأن الشيوعية كانت قد طلبت معونة المسلمين في الثورة ضد قيصر. ووعدتهم بأن تجعل لهم مكانة خاصة إذا نجحت الشيوعية، وترك لهم حرية ممارسة حياتهم الإسلامية، فلما طالبوا بتحقيق الوعد، حققه ستالين لهم على هذا النحو بالقتل والتعذيب والتشريد الجماعي).

٦ - أما تطبيق مبدأ (من كلِّ بحسب طاقته، ولكلِّ بحسب حاجته).

٧ - وإلغاء الصراع في المجتمع بإلغاء الملكية الفردية.

٨ - وإلغاء الحكومة.

فكل هذه الأمور لم تستطع الدول الماركسية (جميعها) تحقيقها إلى الآن، ولن تستطيع في المستقبل لأمرين :

أولهما : أن هذه الأمور (خيالية).

وثانيهما : أن الدول الماركسية بدأت تتساقط واحدة تلو الأخرى، وعلى رأسها (الأم) روسيا، والله الحمد والمنة.



نقد مبادئ القومية العربية

القومية العربية حركة سياسية فكرية متعصبة، تدعو إلى تمجيد العرب، وإقامة دولة موحدة لهم، على أساس من رابطة الدم والقربى واللغة والتاريخ، وإحلالها محل رابطة الدين، وهي صدىً للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوروبا.

ظهرت بدايات الفكر القومي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين متمثلة في حركة سرية تألفت من أجلها الجمعيات والخلايا في عاصمة الخلافة العثمانية، ثم في حركة علنية في جمعيات أدبية تتخذ من دمشق وبيروت مقراً لها، ثم في حركة سياسية واضحة المعالم في المؤتمر العربي الأول الذي عُقد في باريس سنة ١٩١٢م.

ظلت الدعوة إلى القومية العربية محصورة في نطاق الأقليات الدينية العربية غير المسلمة، وفي عدد محدود من أبناء المسلمين الذين تأثروا بفكرتها - كتركي الحمد ! -، ولم تصبح تياراً شعبياً عاماً إلا حين تبني الدعوة إليها الرئيس المصري جمال عبد الناصر، حين سخر لها أجهزة إعلامه، وإمكانات دولته.

يُعد (ساطع الحصري ت ١٩٦٨م) داعية القومية العربية الأبرز، وأهم مفكريها وأشهر دعائها، وله مؤلفات كثيرة تُعد الأساس الذي تقوم عليه فكرة القومية العربية، ويأتي بعده في الأهمية النصراني (ميشيل عفلق) مؤسس (حزب البعث).

يرى دعاة القومية العربية أن أهم المقومات التي تقوم عليها القومية العربية هي :

١- اللغة العربية.

٢- الدم.

٣- التاريخ.

٤- الأرض.

٥- الآلام والآمال المشتركة.

أما الذين فإنه مستبعد من مقومات القومية العربية! بل يُحارب! لأنه بزعمهم يُفرق العرب ولا يوحدهم!

وفي هذا يقول شاعرهم (القروي) :

هبوني عيداً يجعل العُرب أمة

وسيروا بجثمانني على دين برهم!

سلامٌ على كفرٍ يوحد بيننا

وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم!^(١)

يقول الشيخ ابن باز رحمته الله :

(من خبر أحوال القوميين وتدبر مقالاتهم وأخلاقهم وأعمالهم، عرف أن غرض الكثيرين منهم من الدعوة إلى القومية

(١) وقد رد الشيخ عبدالرحمن الدوسري رحمته الله على قصيدته الكفرية هذه في (٤٩٨)

بيتاً، يقول في مطلعها :

يقول طويغيتٌ كفورٌ مُسيرٌ بهدم من الماسون أحيث مجرم

انظر: "حياة الداعية الشيخ عبدالرحمن الدوسري" ؛ للشيخ سليمان الطيار

(ص ٢٦٠ - ٢٧٠).

أمور أخرى يعرفها من له أدنى بصيرة بالواقع وأحوال المجتمع، ومن تلك الأمور: فصل الدين عن الدولة، وإقصاء أحكام الإسلام عن المجتمع، والاعتياض عنها بقوانين وضعية ملفقة من قوانين شتى، وإطلاق الحرية للنزعات الجنسية والمذاهب الهدامة - لا بلغهم الله مناهم -، ولا ريب أن دعوة تفضي إلى هذه الغايات يرقص لها الاستعمار طرباً، ويساعد وجودها ورفع مستواها وإن تظاهر بخلاف ذلك - تغريراً للعرب عن دينهم، وتشجيعاً لهم على الاشتغال بقوميتهم، والدعوة إليها والاعراض عن دينهم^(١).

وقال ﷺ ناقضاً هذه الفكرة الجاهلية :

(من المعلوم من دين الإسلام بالضرورة أن الدعوة إلى القومية العربية أو غيرها من القوميات، دعوة باطلة، وخطأ عظيم، ومنكر ظاهر، وجاهلية نكراء، وكيد سافر للإسلام وأهله، وذلك لوجوه :

الأول : أن الدعوة إلى القومية العربية تفرّق بين المسلمين، وتفصل المسلم العجمي عن أخيه العربي، وتفرّق بين العرب أنفسهم ؛ لأنهم كلهم ليسوا يرضونها، وإنما يرضاها منهم قوم دون قوم، وكل فكرة تقسم المسلمين وتجعلهم أحزاباً، فكرة باطلة تخالف مقاصد الإسلام وما يرمي إليه، وذلك لأنه يدعو إلى الاجتماع والوئام، والتواصي بالحق، والتعاون على البر والتقوى، كما يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَآنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٦) وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ نِعَمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ

(١) نقد القومية العربية (ص ١٠).

بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٣] وقال ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِبَصِيرَةٍ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَالْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٥﴾ [الأنفال: ٦٢-٦٣]، وقال تعالى : ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَابًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الرُّوم: ٣١-٣٢].

فانظر أيها المؤمن الراغب في الحق كيف يحارب الإسلام التفرق والاختلاف، ويدعو إلى الاجتماع والوئام، والتمسك بحبل الحق والوفاء عليه، تعلم بذلك أن هدف القومية غير هدف الإسلام، وأن مقاصدها تخالف مقاصد الإسلام.

ويدل على ذلك أيضاً أن هذه الفكرة، أعني الدعوة إلى القومية العربية، وردت إلينا من أعدائنا الغربيين، وكادوا بها المسلمين، ويقصدون من ورائها فصل بعضهم عن بعض، وتحطيم كياناتهم، وتفريق شملهم، على قاعدتهم المشؤمة "فرق تسد" وكم نالوا من الإسلام وأهله بهذه القاعدة النحيسة مما يُحزن القلوب ويدمي العيون^(١).

(الوجه الثاني : أن الإسلام نهى عن دعوى الجاهلية وحذر منها وأبدى في ذلك وأعاد في نصوص كثيرة، بل قد جاءت النصوص تنهى عن جميع أخلاق الجاهلية وأعمالهم إلا ما أقره

(١) المرجع السابق، ص (١٣-١٥).

الإسلام من ذلك، ولا ريب أن الدعوة إلى القومية العربية من أمر الجاهلية ؛ لأنها دعوة إلى غير الإسلام ومناصرة لغير الحق، وكم جرّت دعوى الجاهلية على أهلها من ويلات وحروب طاحنة وقودها النفوس والأموال والأعراض، وعاقبتها تمزيق الشمل وغرس العداوة والشحناء في القلوب والتفريق بين القبائل والشعوب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله : " كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة فهو من عزاء الجاهلية، بل لما اختصم مهاجري وأنصاري فقال المهاجري : يا للمهاجرين، وقال الأنصاري : يا للأنصار قال النبي صلى الله عليه وسلم : " أبدوعي الجاهلية وأنا بين أظهركم " وغضب لذلك غضباً شديداً^(١) انتهى.

ومما ورد في ذلك من النصوص قوله تعالى : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقال تعالى : ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ﴾ [الفتح: ٢٦]، وفي سنن أبي داود^(٢) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية "، وفي صحيح مسلم^(٣) أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٠) ومسلم (٢٥٨٤).

(٢) برقم (٥١٢١).

(٣) برقم (٢٨٦٥).

الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد" ولا ريب أن دعاة القومية يدعون إلى عصبية، ويغضبون لعصبية، ويقاتلون على عصبية، ولا ريب أيضاً أن الدعوة إلى القومية تدعو إلى البغي والفخر؛ لأن القومية ليست ديناً سماوياً يمنع أهله من البغي والفخر، وإنما هي فكرة جاهلية تحمل أهلها على الفخر بها والتعصب لها على من نالها بشيء، وإن كانت هي الظالمة وغيرها المظلوم^(١).

(الوجه الثالث من الوجوه الدالة على بطلان الدعوة إلى القومية العربية: هو أنها سلّم إلى موالاتة كفار العرب وملاحدتهم من أبناء غير المسلمين، واتخاذهم بطانة، والاستنصار بهم على أعداء القوميين من المسلمين وغيرهم. ومعلوم ما في هذا من الفساد الكبير والمخالفة لنصوص القرآن والسنة الدالة على وجوب بغض الكافرين من العرب وغيرهم، ومعاداتهم وتحريم موالاتهم واتخاذهم بطانة.

والنصوص في هذا المعنى كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴿٥٢﴾ [المائدة: ٥١-٥٢] الآية. سبحانه الله ما أصدق قوله وأوضح بيانه، هؤلاء القوميون يدعون إلى التكتل حول القومية العربية مسلمها وكافرها، يقولون: نخشى أن تصيبنا دائرة، نخشى أن يعود الاستعمار إلى بلادنا، نخشى أن

(١) المرجع السابق، ص (٢١-٢٢).

تُسلب ثرواتنا بأيدي أعدائنا، فيوالون لأجل ذلك كل عربي من يهود ونصارى ومجوس ووثنيين وملاحدة وغيرهم تحت لواء القومية العربية، ويقولون : إن نظامها لا يفرق بين عربي وعربي وإن تفرقت أديانهم، فهل هذا إلا مصادمة لكتاب الله ومخالفة لشرع الله وتعد لحدود الله وموالاته ومعاداة وحب وبغض على غير دين الله؟

فما أعظم ذلك من باطل وما أسوأه من منهج !

القرآن يدعو إلى موالاته المؤمنين ومعاداة الكافرين أينما كانوا وكيفما كانوا، وشرع القومية العربية يأبى ذلك ويخالفه ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّٰهُ﴾ [البقرة: ١٤٠] ويقول الله سبحانه : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ءَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١] - إلى قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١] ونظام القومية يقول : كلهم أولياء مسلمهم وكافرهم !!

والله يقول : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ ٱلْدِينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَٱلَّذِي ءَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ ءِبْرٰهِيْمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا ٱلْدِينَ وَلَا تَنفَرُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣] الآية. ويقول سبحانه : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ ءُسُوهُ حَسَنَةً فِي ءِبْرٰهِيْمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللّٰهِ كُفْرًا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ٱلْعَدَاوَةُ وَٱلْبَغْضَاءُ ءَبَدًا حَتَّىٰ تُوْمِنُوا بِٱللّٰهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]. وقال تعالى : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللّٰهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ ٱللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءِءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]. وشرع القومية، أو بعبارة أخرى شرع دعائها يقول : أقصوا الدين عن القومية،

وافصلوا الدين عن الدولة، وتكتلوا حول أنفسكم وقوميتكم حتى تدركوا مصالحكم وتستردوا أمجادكم، وكأن الإسلام وقف في طريقهم وحال بينهم وبين أمجادهم، هذا والله هو الجهل والتليس وعكس القضية، سبحانك هذا بهتان عظيم ! والآيات الدالة على وجوب موالاتة المؤمنين ومعاداة الكافرين والتحذير من توليهم كثيرة لا تخفى على أهل القرآن، فلا ينبغي أن نطيل بذكرها.

وكيف يجوز في عقل عاقل أن يكون أبو جهل، وأبو لهب، وعقبة ابن أبي معيط، والنضر بن الحارث وأضرابهم من صناديد الكفار في عهد النبي ﷺ وبعده إلى يومنا هذا إخواناً وأولياء لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة ومن سلك سبيلهم من العرب إلى يومنا هذا.. هذا والله من أبطل الباطل وأعظم الجهل. وشرع القومية ونظامها يوجب هذا ويقتضيه وإن أنكره بعض دعايتها جهلاً أو تجاهلاً وتلبيساً، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم^(١).

(الوجه الرابع من الوجوه الدالة على بطلان الدعوة إلى القومية العربية : أن يقال : إن الدعوة إليها والتكتل حول رايتها يفضي بالمجتمع ولا بد إلى رفض حكم القرآن، لأن القوميين غير المسلمين لن يرضوا تحكيم القرآن، فيوجب ذلك لزعماء القومية أن يتخذوا أحكاماً وضعية تخالف حكم القرآن حتى يستوي مجتمع القومية في تلك الأحكام.

(١) المرجع السابق (ص ٣٤-٣٧).

وقد صرح الكثير منهم بذلك. وهذا هو الفساد العظيم والكفر المستبين والردة السافرة، كما قال تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] وقال تعالى ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] قال تعالى ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ وَالْجُرُوحَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النساء: ٤٤] وقال تعالى : ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النساء: ٤٤] وقال تعالى ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النساء: ٤٧] وكل دولة لا تحكم بشرع الله ولا تنصاع لحكم الله فهي دولة جاهلية كافرة ظالمة فاسقة بنص هذه الآيات المحكمات، يجب على أهل الإسلام بغضها ومعاداتها في الله، وتحرم عليهم مودتها وموالاتها حتى تؤمن بالله وحده وتحكم شريعته، كما قال عز وجل : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

فالواجب على زعماء القومية ودعاتها أن يحاسبوا أنفسهم ويتهموا رأيهم، وأن يفكروا في نتائج دعوتهم المشؤومة وغاياتها الوخيمة، وأن يكرسوا جهودهم للدعوة إلى الإسلام ونشر محاسنه، والتمسك بتعاليمه، والدعوة إلى تحكيمه بدلاً من الدعوة إلى قومية أو وطنية^(١).

(١) المرجع السابق (ص ٥٠ - ٥١).

نقد مبادئ

حزب البعث العربي الاشتراكي^(١)

حزب البعث العربي الاشتراكي الذي أُعجب به تركي الحمد في ثلاثيته هو حزب قومي علماني، يدعو إلى الانقلاب الشامل في المفاهيم والقيم العربية لصهرها وتحويلها إلى التوجه الاشتراكي، شعاره المعلن (أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة) وهي رسالة الحزب، أما أهدافه فتتمثل في الوحدة والحرية والاشتراكية.

التأسيس وأبرز الشخصيات :

- في سنة ١٩٣٢م عاد من باريس قادماً إلى دمشق كلٌّ من ميشيل عفلق (نصراني ينتمي إلى الكنيسة الشرقية)^(٢) وصلاح البيطار (سني)، وذلك بعد دراستهم العالية محمّلين بأفكار قومية وثقافية أجنبية.
- عمل كل من عفلق والبيطار في التدريس، ومن خلاله أخذوا ينشران أفكارهما بين الزملاء والطلاب والشباب.

(١) لخصتها من " الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة " عن الندوة العالمية للشباب الإسلامي (١/٤٧٤). وانظر للزيادة: " حزب

البعث: تاريخه و عقائده " ؛ للدكتور سعيد بن ناصر الغامدي.

(٢) بعد هلاكه أعلن رفيقه صدام حسين أنه كان قد أسلم! ثم أمر بالصلاة عليه!

- أصدر التجمع الذي أنشأه عفلق والبيطار مجلة الطليعة مع الماركسيين سنة ١٩٣٤ م، وكانوا يطلقون على أنفسهم اسم (جماعة الإحياء العربي).
- في نيسان ١٩٤٧ تم تأسيس الحزب تحت اسم (حزب البعث العربي)، وقد كان من المؤسسين : ميشيل عفلق، صلاح البيطار، جلال السيد، زكي الأرسوزي، كما قرروا إصدار مجلة باسم البعث.
- كان لهم بعد ذلك دور فاعل في الحكومات التي طرأت على سوريا بعد الاستقلال سنة ١٩٤٦ م، وهذه الحكومات هي :
 - ١- حكومة شكري القوتلي : من ١٩٤٦ وحتى ٢٩/٣/١٩٤٩ م.
 - ٢- حكومة حسني الزعيم : استلم السلطة عدة شهور من سنة ١٩٤٩ م.
 - ٣- حكومة اللواء سامي الحناوي : بدأ حكمه وانتهى في نفس عام ١٤٩٤ م.
 - ٤- حكومة أديب الشيشكلي : استمر حكمه حتى سنة ١٩٥٤ م.
 - ٥- حكومة شكري القوتلي : عاد إلى الحكم مرة ثانية واستمر إلى توقيع الوحدة مع مصر سنة ١٩٥٨ م.
 - ٦- حكومة الوحدة برئاسة جمال عبد الناصر : ١٩٥٨-١٩٦١ م.
 - ٧- حكومة الانفصال برئاسة الدكتور ناظم القدسي : وقد دام

الانفصال من ٢٨/٩/١٩٦١م وحتى ٨/٣/١٩٦٣م وقد قاد حركة الانفصال عبد الكريم النحلاوي.

منذ ٨/٣/١٩٦٣م وإلى اليوم وقعت سوريا تحت حكم حزب البعث، مرت هذا الفترة بعدة حكومات بعثية هي :

- حكومة قيادة الثورة : ١٩٦٣م وفيها برز صلاح البيطار رئيساً للوزراء.

- حكومة أمين الحافظ : من ١٩٦٣م وحتى ١٩٦٦م.

- حكومة نور الدين الأتاسي : ١٩٦٦م حيث عملت القيادة القطرية للحزب دوراً بارزاً في الحكم، وقد برز في هذه الفترة كل من صلاح جديد، الذي عمل أميناً عاماً للقيادة القطرية، وحافظ الأسد الذي عمل وزيراً للدفاع.

- حكومة حافظ الأسد، ثم ابنه بشار : من سنة ١٩٧٠م إلى يومنا هذا.

لقد اندمج في سنة ١٩٥٣م كل من (حزب البعث) و (الحزب العربي الاشتراكي) الذي كان يقوده أكرم الحوراني في حزب واحد أسمياه (حزب البعث العربي الاشتراكي).

● وأما عن الجناح العراقي من حزب البعث، فقد استولى على السلطة في العراق بعد أحداث دامية سارت على النحو التالي :

- في الرابع عشر من شهر يوليو عام ١٩٥٨م دخل لواء بقيادة عبد السلام عارف إلى بغداد قادماً من الأردن واستولى على

محطة الإذاعة وأعلن الثورة على النظام الملكي وقتل الملك فيصل الثاني وولي عهده عبد الإله ونوري السعيد وأعوانه، وأسقط النظام الملكي، وبذلك انتهى عهد فيصل ودخل العراق دوامة الانقلابات العسكرية.

- وفي اليوم الرابع والعشرين من شهر يوليو عام ١٩٥٨م أي بعد عشرة أيام من نشوء الثورة وصل ميشيل عفلق مؤسس حزب البعث وزعيمه إلى بغداد وحاول إقناع أركان النظام الجديد بالانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة (سوريا ومصر) ولكن الحزب الشيوعي العراقي أحبط مساعيه ونادى بعبد الكريم قاسم زعيماً أوحده للعراق.

- وفي اليوم الثامن من شهر فبراير لعام سنة ١٩٦٣م قام حزب البعث بانقلاب على نظام عبد الكريم قاسم وقد شهد هذا الانقلاب قتالاً شرساً دار في شوارع بغداد، وبعد نجاح هذا الانقلاب تشكلت أول حكومة بعثية، وسرعان ما نشب خلاف بين الجناح المعتدل والجناح المتطرف من حزب البعث فاغتنم عبد السلام عارف هذه الفرصة وأسقط أول حكومة بعثية في تاريخ العراق في ١٨ نوفمبر سنة ١٩٦٣م وعين عبد السلام عارف أحمد حسن البكر أحد الضباط البعثيين المعتدلين نائباً لرئيس الجمهورية.

- في شهر فبراير سنة ١٩٦٤م أوصى ميشيل عفلق بتعيين صدام حسين عضواً في القيادة القطرية لفرع حزب البعث العراقي.

- في شهر سبتمبر سنة ١٩٦٦م قام حزب البعث العراقي

بالتحالف مع ضباط غير بعثيين بانقلاب ناجح أسقط نظام عارف.

- في اليوم الثلاثين من شهر يوليو عام ١٩٦٨م طرد حزب البعث كافة من تعاونوا معه في الانقلاب الناجح على عبدالسلام عارف، وعين أحمد حسن البكر رئيساً لمجلس قيادة الثورة ومسؤولاً عن الأمن الداخلي.

- وفي ١٥ أكتوبر سنة ١٩٧٠م تم اغتيال الفريق حردان التكريتي في مدينة الكويت، وكان من أبرز أعضاء حزب البعث العراقي وعضواً في مجلس قيادة الثورة ونائباً لرئيس مجلس الوزراء ووزيراً للدفاع.

- وفي شهر نوفمبر من عام ١٩٧١م تم اغتيال السيد فؤاد الركابي، وكان المنظر الأول للحزب، وأحد أبرز قاداته في العراق وقد تم اغتياله داخل السجن.

- وفي ٨ يوليو سنة ١٩٧٣م جرى إعدام ناظم كزار رئيس الحكومة وجهاز الأمن الداخلي وخمسة وثلاثين شخصاً من أنصاره، وذلك في أعقاب فشل الانقلاب الذي حاولوا القيام به.

- وفي ٨ يوليو السادس من شهر مارس عام ١٩٧٥م وقعت الحكومة البعثية العراقية مع شاه إيران الاتفاقية المعروفة باتفاقية الجزائر، وقد وقعها عن العراق صدام حسين وتقضي الاتفاقية المذكورة بأن يوافق العراق على المطالب الإقليمية للشاه في مقابل وقف الشاه مساندته للأكراد في ثورتهم على

النظام العراقي.

- في شهر أكتوبر لعام ١٩٧٨م طردت الحكومة البعثية الخميني من العراق، وقامت في شهر فبراير عام ١٩٧٩م الثورة الخمينية في إيران.

- في شهر يونيو عام ١٩٧٩م أصبح صدام حسين رئيساً للجمهورية العراقية بعد إعفاء البكر من جميع مناصبه وفرض الإقامة الجبرية عليه في منزله.

تقييم لأفكار حزب البعث :

- حزب البعث العربي الاشتراكي حزب قومي علماني انقلابي له أطروحات فكرية متعددة يتعذر الجمع بينها أحياناً، فضلاً عن الاقتناع بها، لقد كُتِبَ عنه كثيراً وتحدث زعماءه طويلاً، ولكن هناك بوناً واسعاً بين ممارسات وأقوال فترة ما قبل السلطة، وممارسات وأقوال فترة ما بعدها.

- الرابطة القومية عنده هي الرابطة الوحيدة القائمة في الدولة العربية التي تكفل الانسجام بين المواطنين وانصهارهم في بوتقة واحدة، وتكبح جماح سائر العصبية المذهبية والطائفية والقبلية والعرقية والإقليمية، حتى قال شاعرهم :

أمنت بالبعث رباً لا شريك له

وبالعروبة ديناً ماله ثاني

- تُعلن سياسة الحزب التربوية أنها ترمي إلى خلق جيل عربي جديد مؤمن بوحدة أمته وخلود رسالتها، آخذاً بالتفكير

العلمي ، طليقاً من قيود الخرافات والتقاليد والرجعية ، مشبعاً بروح التفاؤل والنضال والتضامن مع مواطنيه في سبيل تحقيق الانقلاب العربي الشامل وتقدم الإنسانية ، " والطريق الوحيد لتشييد حضارة العرب وبناء المجتمع العربي هو خلق الإنسان الاشتراكي العربي الجديد الذي يؤمن بأن الله والأديان والإقطاع ورأس المال وكل القيم التي سادت المجتمع السابق ليست إلا دميّ محنطة في متاحف التاريخ " !! كما يقول إبراهيم خلاص - فيلسوف الحزب في العراق - .

من التوصيات العامة لمقررات المؤتمر القومي الرابع للحزب
نقتطف الآتي لبيان نظرهم :

- تقول التوصية الرابعة : " يعتبر المؤتمر القومي الرابع الرجعية الدينية إحدى المخاطر الأساسية التي تهدد الانطلاقة التقدمية في المرحلة الحاضرة ولذلك يوصي القيادة القومية بالتركيز في النشاط الثقافي والعمل على علمانية الحزب ، خاصة في الأقطار التي تشوه فيها الطائفية العمل السياسي " .
- التوصية التاسعة تقول : " إن أفضل سبيل لتوضيح فكرتنا القومية هو شرح وإبراز مفهومها التقدمي العلماني وتجنب الأسلوب التقليدي الرومنطقي في عرض الفكرة القومية ، وعلى ذلك سيكون نضالنا في هذه المرحلة مركزاً حول علمانية حركتنا ومضمونها الاشتراكي لاستقطاب قاعدة شعبية لا طائفية من كل فئات الشعب " .
- أما عن الوحدة فهم يقولون : " ليست الوحدة العربية ، مجرد

تجميع ولصق لأجزاء الوطن العربي بل هي التحام فصهر لهذه الأجزاء، لذا فإن الوحدة ثورة بكل أبعادها ومعانيها ومستوياتها، وهي ثورة لأنها قضاء على مصالح إقليمية عاشت وتوسعت وترسبت عبر القرون، وهي ثورة لأنها تجابه مصالح وطبقات تعارض الوحدة وتقف في وجهها" (المنطلقات النظرية للمؤتمر القومي السادس).

- وأما الاشتراكية فهي تعني "تربية المواطن تربية اشتراكية علمية تعتقه من كافة الأطر والتقاليد الاجتماعية الموروثة والمتأخرة، لكي يمكن خلق إنسان عربي جديد بعقل علمي متفتح، ويتمتع بأخلاق اشتراكية جديدة ويؤمن بقيم جماعية".

- الرسالة الخالدة : يفسرونها بأن الأمة العربية ذات رسالة خالدة تظهر بأشكال متجددة متكاملة في مراحل التاريخ، ترمي إلى تجديد القيم الإنسانية وحفز التقدم البشري، وتنمية الانسجام والتعاون بين الأمم.

هَذَا وَيُمْكِن مِلَّاخِظَةُ مَا يَلِي :

- أن كلمة الدين لم ترد مطلقاً في صلب الدستور السوري أو العراقي.

- كلمة الإيمان بالله على عموميتها لم ترد في صلب الدستور، لا في تفصيلاته ولا في عمومياته، مما يؤكد على الاتجاه العماني لديه.

- في بناء الأسرة لا يشيرون إلى تحريم الزنى ولا يشيرون إلى آثاره السلبية^(١).
- في السياسة الخارجية لا يشيرون إلى أية صلة مع العالم الإسلامي.
- لا يشيرون إلى التاريخ الإسلامي الذي أكسب الأمة العربية مكانة وقدرًا بين الشعوب.
- رغم مطالبة الحزب بإتاحة أكبر قدر من الحرية للمواطنين، فإن ممارساته القمعية فاقت كل تصور وانتهكت كل الحرمات ووأدت كل الحركات، وألجأت الكثيرين إلى الهجرة والفرار بعقيدتهم من الظلم والاضطهاد.
- القوانين في البلاد التي يحكمها البعث علمانية وحنانات بيع الخمر مفتوحة ليل نهار، والنظام المالي ربوي، ودعاة الإسلام مضطهدون بشكل سافر.

الجزور الفكرية والعقائدية :

- ١- يعتمد الحزب على الفكر القومي الذي ظهر وبرز بعد سقوط الدولة العثمانية في العالم العربي، والذي نادى به أوروبا، والذي نادى به منظر القومية العربية في العالم العربي آنذاك ساطع الحصري.

(١) بل يدعون له ويؤيدونه في آدابهم قصصاً كانت أم أشعاراً. كما سيأتي عند الحديث عن (المواقف الجنسية) في ثلاثة الحمد، وأستاذه نجيب محفوظ.

- ٢- يعتمد الحزب على الفكر العلماني إذ ينحي مسألة العقيد الدينية جانباً ولا يقيم لها أي وزن سواء على صعيد الفكر الحزبي أو على صعيد الانتساب إلى الحزب أو على صعيد التطبيق العلمي.
- ٣- يستلهم الحزب تصوراته من الفكر الاشتراكي، ويطرس طريق الماركسية رغم انهيارها، والخلاف الوحيد بينهما أن اتجاهات الماركسية أممية، أما البعث فقومي، وفيما عدا ذلك فإن الأفكار الماركسية تمثل العمود الفقري في فكر الحزب ومعتقدده، وهي لا تزال كذلك رغم انهيار البنيان الماركسي فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي.
- ٤- لقد كان الحزب واجهة انضوت تحته كل الاتجاهات الطائفية (درزية - نصيرية - إسماعيلية - نصرانية) وأخذ هؤلاء يتحركون من خلاله بدوافع باطنية يطرحونها ويطبونها تحت شعار الثورة والوحدة والحرية والاشتراكية والتقدمية، وقد كانت الطائفة النصيرية أقدر هذه الطوائف على استغلال الحزب لتحقيق أهدافها وترسيخ وجودها، إلى أن وصلت إلى الحكم في سوريا^(١).

(١) وقد ذكر تركي الحمد أن أكثر أعضاء البعث الذي ارتبط به هشام العابر في السعودية كانوا من الرافضة، فهم يريدون أن يستغلوا هذا الحزب للوصول إلى الحكم - زعموا -، ثم ينزعوا الحجاب عن وجوههم (الطائفية). والعجب أن ينخدع بهم شباب أهل السنة - كهشام العابر! - الذي سيكون هو وغيره مطية لهم إلى الحكم، ثم سيردد بعد ذلك مقولة (أكلت يوم أكل الثور الأبيض)! فهل آن لنا أن نعي ألعيب أهل البدع؟

❁ الانتشار ومواقع النفوذ :

١- للحزب أعضاء ينتشرون في معظم الأقطار العربية، بعضهم يعمل بشكل علني، وبعضهم الآخر سري ! ويتفاوت وجودهم وتأثيرهم من بلد إلى آخر على حسب طبيعة البلد ونوعية حكمه!

٢- يحكم حزب البعث بلدين عربيين مهمين هما سوريا والعراق^(١)، وقد عجز الحزب عن تحقيق الوحدة بين فصائله، بل إن الصراع بين شطري البعث مستمر وعلى أشده، واتهامات الخيانة بين الطرفين لا تنقضي، وإذا كان هذا هو شأن الحزب في بلدين يخضعان له، فهو من باب أولى عاجز عن تحقيق وحدة الأمة العربية بكاملها.

والبعثيون يتطلعون إلى استلام السلطة في جميع أرجاء الوطن العربي باعتبار ذلك جزءاً لا يتجزأ من طموحاتهم البعيدة، وقد أدت بهم هذه الرغبة العارمة إلى السقوط في حمأة الإنذار المقنع والتهديد السافر والعدوان الصريح، وربما يكون حزب البعث في العراق من أسوأ ما شهدته التاريخ.

ويتنح مما سبق :

أن حزب البعث العربي الاشتراكي حزب قومي سلطوي يحاد الله ورسوله، ويسعى إلى قلب الأوضاع في العالم العربي،

(١) سابقاً. أما الآن فقد وقع العراق تحت حكم الرافضة، بمباركة من حكومة الولايات الأمريكية.

ويتخذ العلمانية وتحقيق الاشتراكية مطلباً يبرر سياسته القمعية،
ورسالته التي يصفها، على خلاف الحقيقة، بالتقدمية، ويجعل من
الوحدة العربية هدفاً ينفذه بالضم والإرغام رغم إدارة الشعوب.

والعلاقة معه يجب أن يحكمها قول الله سبحانه : ﴿لَا تَجِدُ
قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾
[المجادلة : ٢٢].



نقد مبدأ الإنسانية

عندما أعيت تركي الحمد الأفكار والمذاهب، فاحتار في أيها الصحيح ؛ تفتق ذهنه عن فكرة أخرى رآها تحل له مشاكله وتريحه من عناء التفرق والانقسام والخلافات بين الفرق والأديان والمذاهب، تلك الفكرة هي فكرة (الإنسانية)! وهي فكرة (خيالية) يتوهم الحمد أن يعيش الناس - من خلالها - إخوة متحابين، لا تفرق بينهم الأديان، وإنما هم بشر متساوون فيما بينهم كتساوي أسنان المشط.

● يقول الحمد على لسان هشام :

(لماذا لا نتعامل مع الإنسان بصفته إنساناً أولاً، أي صفته الأولى التي خرج بها إلى الحياة، ثم تأتي اللواحق كأن يكون بروليتارياً أو برجوازيّاً عربياً أو أعجمياً؟... نحن نتعامل مع الناس بصفاتها اللاحقة وننسى الصفة الأولى التي أتت بها إلى الحياة، ويخرج منها بها.. لو بحثت في أعماق الناس المستورة لوجدتهم مثل بعضهم ولكن قاتل الله اللواحق...

وضحك عبد الله وهو يقول :

- هل تريد أن تعرج بنا على فرويد وصحبه؟

فضحك هشام أيضاً وهو يقول :

- ولا فرويد ولا عبد المتجلي.. أتدري من يطوف بخيالي

الآن؟

- من يا صاحب الحكمة؟
- غاندي... المهاتما غاندي.
- وبانت نظرات الاستغراب على وجه عبد الله وهو يقول :
- غاندي؟! .. قديس الهند... ما علاقته بكل هذيالك؟
- كل العلاقة...

قال هشام وهو ينفخ الدخان إلى الأعلى :

- عندما كان يتعامل مع النظام العنصري في جنوب أفريقيا، ومع الاستعمار البريطاني في الهند، لم يكن يقسم الناس إلى مستعمرين ومستعمرين، طبقات وفئات وجماعات متصارعة، بل كان يتعامل مع الحس الإنساني المطمور في داخل الجميع... لم يكن يقاوم العنف بالعنف، لأن العنف يأتي بالعنف بشكل تصاعدي، ولكنه كان يتحمل عنف وقسوة الآخرين حتى الدرجة التي يستثير فيها حسهم الداخلي بالتعاطف معه، ومن ثم يدركون أنهم مخطئون وظالمون... وقد نجح^(١)

ويقول : (الإنسان لا يكون نفسه عندما يكون مقيداً بأي نوع من القيود، قيود اجتماعية أو سياسية أو تنظيمية، أو أي نوع من القيود التي تستر جوهر الإنسان فيه^(٢) .

(١) الكرايب (ص٢٢٦)

(٢) الكرايب (٢٣١).

قلت : لقد كذب الحمد على نفسه ثم صدقها ، حيث تخيل أن يعيش الناس متحابين في ما بينهم ، متعاونين متآزرين... ثم ادعى أن هذا هو حال الإنسان قبل الأديان والمذاهب. ولو صدق الحمد مع نفسه لعلم أن الإنسان الأول وهو آدم كان على دين التوحيد الخالص ، وهو الإسلام ، وهكذا أبناؤه وأحفاده إلى أن حدث الشرك في الأرض ، وعندها بدأ الانحراف ، وبدأت المذاهب الباطلة تنتشر بين البشر. وقد قال تعالى مبيناً هذا ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣].

قال ابن عباس : (كان بين نوح و آدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق)^(١).

فلو صدق الحمد مع نفسه لكان مسلماً موحداً ، لأن هذا هو ما كانت (الإنسانية) عليه فيما مضى إلى أن حدث الانحراف ، وهذا هو الموافق للفطرة التي يحملها الإنسان عند ولادته كما أخبر ﷺ : " ما من مولود إلا يولد إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " ^(٢).

أما الدعوة (الإنسانية) التي يدعو إليها الحمد فهي دعوة باطلة لأنها تساوي بين الحق والضلال ، وبين دين الإسلام وغيره من

(١) تفسير ابن كثير (١/٢٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩٣) ومسلم (٢٦٥٨). ولم يقل في الحديث " أو يؤسلمانه " ؛ لأن الفطرة هي الإسلام. وانظر كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ فِي " شِفَاء الْعَلِيلِ " (ص ٤٧٠ وما بعدها) و " أَحْكَام أَهْلِ الذِّمَّةِ " (٢/ ٥٢٣ وما بعدها) حيث أطل في شرحه.

الأديان الباطلة، وبين التوحيد والشرك، وبين المسلمين والمشركين والكافرين، وقد قال تعالى : ﴿أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْجُرِمِينَ﴾ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ [القلم: ٣٥-٣٦].

وقال سبحانه ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (٢٨) [ص: ٢٨].

يقول الشيخ محمد قطب : (ولكن أناساً قد يخدعون بدعوى الإنسانية لما فيها من بريق فيؤمنون بها أو يدعون إليها غافلين عن الحقيقة التي تنطوي عليها، وقد لا يصدقون أصلاً أنها دعوة إلى التحلل من الدين يبثها الشياطين في الأرض لأمر يراد)^(١).

وقال الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ عن الإنسانية : (اتسع انتشار هذه اللفظة البراقة بين المسلمين عامتهم وخاصتهم، ويستملح الواحد نفسه حين يقول : هذا عمل "إنساني" ، وهكذا حتى في صفوف المتعلمين والمثقفين، وما يدري المسكين أنها على معنى " ماسونية " وأنها كلمة يلوكها بلسانه، وهي حرب عليه، لأنها ضد الدين، فهي دعوة إلى أن نواجه المعاني السامية في الحياة بالإنسانية لا بالدين)^(٢).

أما عن مدح الحمد للهندوسي المتعصب غاندي بأنه إنساني

(١) مذاهب فكرية معاصرة (ص ٥٩١).

(٢) معجم المناهي اللفظية (ص ٨٧). قلت: وانظر لبطلان دعوى الإنسانية: "مذاهب فكرية معاصرة"؛ للشيخ محمد قطب، و "الإسلام والدعوات الهدامة"؛ للأستاذ أنور الجندي رَحِمَهُ اللهُ، ورسالة " الإنسانية في فكر المسلمين المعاصر - دراسة وتقويم "؛ للأستاذ محمد إدريس عبدالصمد.

النزعة، فانظر حقيقة هذا في كتاب (مشاهداتي في الهند) للشيخ محمد المجذوب رحمته الله، حيث بين حقيقة هذا الهندوسي الذي خدع كثيراً من المسلمين (بإنسانيته!) وذكر شيئاً من قبائحه.

ومن ذلك أن المسلمين في الهند نشطوا في دعوة طائفة (المنبوذين) في الهند إلى الإسلام، وكادوا يستجيبون لهم لولا تدخل الهندوسي (غاندي) ! يقول المجذوب : (كان لغاندي أثره الكبير في تجميد تلك الحركة أيامئذٍ، إذ فتح للمنبوذين أبواب المعابد التي كانت مغلقة في وجوههم، وتعهد لهم برد الكثير من الاعتبار الإنساني إليهم بعد الاستقلال إذا هم حافظوا على انتمائهم للنحلة الهندوسية، وإنما فعل ذلك خشية أن تزداد بهم قوة المسلمين)^(١).



(١) مشاهداتي في الهند (ص ٥٩).

تركي الحمد وعقيدة القدر

من القضايا التي أُلح عليها تركي الحمد في ثلاثيته كثيراً قضية (القدر)، حيث حاول الحمد أن ينقل جهله وعدم فهمه لهذه القضية إلى القراء، فيوحي لهم في مواضع كثيرة من ثلاثيته بأن هذا القدر المزعوم هو مجرد عبث ! وأنه لا فرق في ذلك بين أفعال الله - عز وجل - وأفعال الشيطان !!! - تعالى الله عما يقوله الحمد علواً كبيراً -.

وهذا الأمر قد جعله يتناثر بشكل مفتعل في كلمات (هشام العابر) وأحاديثه مع نفسه خلال الأجزاء الثلاثة.
فمن ذلك :

١- قوله عن هشام : (عصر ذلك اليوم ذهب مبكراً إلى منزل عبد الكريم، ولم تكن الشلة قد وصلت بعد. كان عبد الكريم مسترخياً وقد مد رجله أمامه، ولا يرتدي إلا سروالاً نصفياً وفانيلة بيضاء نصف كم، ويحتسي الشاي الذي لا يفارقه أبداً، وقد أمسك برواية "الغريب" لألبير كامو وهو مستغرق في قراءتها. كان باب "الحوش" مفتوحاً كالعادة في مثل هذا الوقت، ولذلك لم يشعر عبد الكريم إلا وهشام يقف أمامه وهو يقول : "يا عيني على الأفخاذ الندية... " ، ألقى عبد الكريم الرواية من يده وابتسم محيياً هشام، ثم دعاه للجلوس فيما هو ينهض وقد حمل صينية الشاي قائلاً :

"دقيقه واحدة ويكون الشاي جاهزاً" ، ثم انطلق إلى داخل المنزل. وما هي إلا دقائق وعاد عبد الكريم وقد ارتدى ثوباً أبيض، أو كان أبيض فقد كان مليئاً بالبقع الصفراء والبنية، وجلس مقابل هشام وقال دون مقدمات " أنا يا أخي لا أفهم... هل هناك فعلاً أشخاص مثل الغريب الذي يتحدث عنه كامو، أم أن المسألة مجرد إبداع مؤلف أو تعبير عن حالته النفسية في لحظة ما؟... شخص عبثي لهذه الدرجة! لا يأبه بوفاة أمه ولا بمحاكمته وموته هو شخصياً!... أعتقد أن هذه مبالغة... أليس كذلك؟" ومد هشام إحدى رجليه، وشبك ذراعيه خلف رأسه، واستند إلى الحائط وهو يقول: "ربما يكون مثل هذا العبث مبالغة بالنسبة لنا، ولكن لو عرفت الظروف التي عاشها كامو، وحالة المجتمع الأوروبي بعد الحرب، لربما أدركنا أن العبث قد يكون جزءاً من الحياة...". ثم اعتدل هشام في جلسته وهو يقول: "ما الفرق بين العبث والقدر؟"، "لم أفهم..". قال عبد الكريم، "ما نسميه قدراً قد يكون عبثاً، وما يسمونه عبثاً قد نسميه قدراً. المسألة يا عزيزي هي في كيف ننظر إلى الأمور وليس في الأمور ذاتها ليس هناك حقيقة في ذاتها"^(١).

٢- قوله على لسان هشام: (طوال الطريق إلى المنزل، كان هشام يفكر بالقدر واللعبة الغريبة التي يمارسها معه)^(٢).

(١) العدامة (ص ١٨٠ - ١٨١).

(٢) العدامة (ص ٢٤٥).

- ٣- قوله عن رحلتهم إلى القصيم عندما تاهوا في الصحراء :
(ولكن الصحراء مثل القدر يسحقك ويكتم أنفاسك)^(١).
- ٤- قوله على لسان هشام عندما علم بأن (سوير) حامل منه :
(كتب علينا أن نخطئ وطلب منا ألا نفعل. فماذا نفعل؟...
ماذا نفعل... ماذا نفعل...)^(٢).
- ٥- قوله على لسان هشام محاوراً زميله في السجن عارف : (إني كنت منتمياً إلى حزب البعث... ولم أقل إني بعثي، بل لم أكن بعثياً في يوم من الأيام.
- عجيب ! .. وما الفرق؟ أهذا لغز؟
وسرح هشام بعيداً وهو يقول لنفسه هامساً : مثل لغز الحتم والإرادة، والجبر والاختيار)^(٣).
- ٦- قوله على لسان هشام مخاطباً الشيوعي عارف : (وكما ترى يا أبا وحيد، فنحن لسنا أحرار تماماً في اختيار مصائرنا ..
أليس هذا هو جوهر المادية التاريخية؟
وضحك عارف في وجه هشام بشدة جعلته يشيح بوجهه قليلاً
بعفوية ودون إرادة، ثم قال وهو يهز سبابته في الهواء :
- ليس تماماً يا صاحبي. ليس تماماً. المادية التاريخية
والجدلية تتحدث عن مصير الشعوب والمجتمعات

(١) العدامة (ص٢٥٩).

(٢) الشميسي (ص ١٧٣).

(٣) الكرايب (ص٥٣).

والأفكار... إنها تتحدث عن الحتمية أما ما تقوله، فهو جوهر الفكر الديني. أنت تتحدث عن القضاء والقدر ربما، لا عن المادية التاريخية قطعاً.

- وما الفرق؟ .. أليس كله حتم في حتم؟^(١).

٧- قوله على لسان عارف الشيوعي متحدثاً عن الموت الذي يتربص بهم في السجن:

(نهرب من قضاء الإله لنقع في قضاء المخلوق... وكلها أفضية في أفضية. هل هناك عبث أكثر من ذلك؟)^(٢).

٨- قوله على لسان هشام متحدثاً عن السجن : (هذا المبني القبيح. كيف كان الوزراء يحتملون الاجتماع فيه عندما كان مقراً لمجلس الوزراء في الأيام الخالية؟ ولكنها إرادة مثل القدر والحتم... مقر الوزراء يتحول إلى مقر للسجناء!)^(٣).

٩- قوله على لسان هشام متحدثاً مع نفسه :

(لماذا الاستمرار في مسرحية لا معنى لها ولا هدف؟)^(٤).

(أكل هذا جزء من قدر إلهي، أم هو عبث شيطاني، أم هي حكمة لا نديريها، مختبئة في عباءة قدر عابث، أو عبث قادر؟ لا أحد يدري، فالله والشيطان واحدٌ هنا، وكلاهما وجهان لعملة واحدة... الصورة وعكسها، ولكن الكائن واحد. الحياة كلها سؤال

(١) الكرايب (ص٧٤).

(٢) الكرايب (ص٥٦-٥٧).

(٣) الكرايب (ص١١٢).

(٤) الكرايب (ص١٤٤).

بلا جواب^(١).

(بأي منطق يموت طفل صغير لم يكذب يتنسم ريح الحياة وأريج الزهور؟ إن كان هناك منطق ومعنى في وجوده، فكيف يختفي قبل أن يمنح فرصة الوجود؟ وإن يكن هناك منطق في موته، فلماذا يوجد أصلاً؟ وإن لم يكن هناك منطق في وجوده أو في موته، فلماذا يوجد ويموت؟ بل بأي منطق تموت ذبابة حقيرة نسحقها لأنها مؤذية ولا تستحق الحياة؟ إذا كانت مؤذية ولا تستحق الحياة، فلماذا وجدت؟ وإذا كان لها حق في الحياة، فلماذا تقتل؟ من الذي يحدد من يؤذي من؟ هل ما يجري هو حكمة خافية لا ندرها، أو أنه مجرد عبث اعتدناه فأصبح نظاماً، أم مزيج منهما، أم ولا هذا ولا ذاك؟ أين المعنى في كل ذلك وما هو النظام؟ لا أحد يدري، ولن يدري أحد، فربما كتب علينا أن نعيش ونموت ونحن ملفوفون في خرق بالية من الجهل والضياع. قد لا يكون ذلك الجهل جزءاً من الحكمة الخفية، أو من العبث المعربد، ولكنه يبقى جهلاً^(٢).

قلت : بهذا النقول السابقة من ثلاثية الحمد، يتضح لنا أنه متحير في مسألة القضاء والقدر وهي أحد أركان الإيمان - كما هو معلوم -

وبتأمل عباراته نجده يميل إلى:

١ - مذهب الجبرية الذين يقولون بأنه لا إرادة للعباد.

(١) الكرايب (ص ١٣٧).

(٢) الكرايب (ص ٢١٤-٢١٥) ونظر أيضاً (ص ١٣٤).

٢- أن أفعال الله - تعالى - ليست لها حكمة، بل ربما تكون مجرد عبث !! تعالى الله عن ذلك.

لهذا فإنه لا بد من توضيح هذه المسألة العظيمة التي خاض فيها الحمد دون علم - بل جهل وحيرة وتقليد لغيره - وسيكون هذا التوضيح متضمناً ذكر عقيدة أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر ثم أقوال الفرق التي انحرفت فيها - ومن ضمنهم الجبرية الذين مال الحمد إلى قولهم - ثم الرد عليها^(١).

فأقول مستعيناً بالله - :

- القدر هو تقدير الله - تعالى، الأشياء في القَدَم، وعلمه - سبحانه - أنها ستقع في أوقات معلومة عنده وعلى صفات مخصوصة، وكتابته - سبحانه - لذلك ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها، وخلقها لها.

- لا فرق بين (القضاء) و (القدر) في المعنى فكلُّ منهما يدل على معنى الآخر - على القول الصحيح -.

- الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان الستة التي وردت في قوله ﷺ عندما سأله جبريل ﷺ عن الإيمان : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره " ^(٢) وقد ورد ذكر القدر في القرآن في قوله تعالى :

(١) وألخص هذا كله من: " القضاء والقدر... "؛ للشيخ عبد الرحمن المحمود،

و" الإيمان بالقضاء والقدر "؛ للشيخ محمد الحمد.

(٢) أخرجه مسلم (٨).

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (٤٩) [القمر: ٤٩].

- مراتب القدر عند أهل السنة أربع :

أ- مرتبة العلم : أي أن الله علم ما الخلق عاملون، بعلمه القديم، وأدلة هذا كثيرة منه قوله تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ [الحشر: ٢٢].

ب- مرتبة الكتابة : أي أن الله كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ. ودليل هذا قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٧٠) [الحج: ٧٠].

وقوله ﷻ " كتب الله مقادير الخلائق قبل أن تُخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة (١) ".

ج- مرتبة الإرادة والمشية : أي أن كل ما يجري في هذا الكون فهو بمشيئة الله - سبحانه وتعالى - فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يخرج عن إرادته شيء. دليل هذا قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴾ (٢٣) [آل عمران: ٢٣-٢٤]، وقوله : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢٩) [التكوير: ٢٩].

د - مرتبة الخلق : أي أن الله - تعالى - خالق كل شيء، ومن ذلك أفعال العباد، فلا يقع في هذا الكون شيء إلا وهو خالقه، لقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد: ١٦]. وقوله : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٦) [الصفافات: ٩٦]. وقوله

ﷺ : " إن الله يصنع كل صانع وصنعه " (١).

قد يقول قائل هنا : إذا كانت أفعال العباد مخلوقة لله ، وهي فعل لهم حقيقة ، كيف نجمع بين هذين الأمرين ؟

والجواب كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

(قول القائل : هذا فعل هذا ، وفعل هذا : لفظ فيه إجمال ، فإنه تارة يراد بالفعل نفس الفعل ، وتارة يراد به مسمى المصدر ، فيقول : فعلت هذا أفعله فعلاً ، وعملت هذا أعمله عملاً ، فإذا أريد بالعمل نفس العمل الذي هو مسمى المصدر كصلاة الإنسان وصيامه ونحو ذلك ، فالعمل هنا هو المعمول ، وقد اتحد هنا مسمى المصدر والفعل وإذا أريد بذلك ما يحصل بعمله كنساجه الثوب ، وبناء الدار ، ونحو ذلك ، فالعمل هنا غير المعمول ، قال -تعالى ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ [سَبَأ: ١٣] فجعل هذه المصنوعات معمولة للجن ، ومن هذا الباب قوله - تعالى - : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٩٦) [الصَّافَات: ٩٦]. أي والله خلقكم وخلق الأصنام التي تنحتونها... والمقصود أن لفظ " الفعل " و " العمل " و "الصنع " أنواع ، وذلك كلفظ البناء والخياطة والتجارة تقع على نفس مسمى المصدر ، وعلى المفعول ، وكذلك لفظ " التلاوة " و " القراءة " و " الكلام " و " القول " يقع على نفس مسمى المصدر ، وعلى ما يحصل بذلك من نفس القول والكلام ، فيراد بالتلاوة والقراءة

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢٥٧ و ٣٥٨) وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٣٧).

نفس القرآن المقروء والمتلو، كما يراد بها مسمى المصدر.

والمقصود أن القائل إذا قال : هذه التصرفات فعل الله، أو فعل العبد، فإن أراد بذلك أنها فعل الله بمعنى المصدر، فهذا باطل باتفاق المسلمين، وبصريح العقل، ولكن من قال هي فعل الله وأراد به أنها مفعولة مخلوقة لله كسائر المخلوقات فهذا حق، ثم وضع المسألة فقال (وأما من قال - وهم جمهور أهل السنة - : خلق الرب - تعالى - لمخلوقات ليس هو نفس مخلوقاته، قال: إن أفعال العباد مخلوقة كسائر المخلوقات، ومفعولة للرب كسائر المفعولات، ولم يقل: إنها نفس فعل الرب وخلقها، بل قال : إنها نفس فعل العبد، وعلى هذا تزول الشبهة، فإنه يقال : الكذب والظلم ونحو ذلك من القبائح يتصف بها من كانت فعلاً له، كما يفعلها العبد، وتقوم به، ولا يتصف بها من كانت مخلوقة له إذا كان قد جعلها صفة لغيره، كما أنه - سبحانه - لا يتصف بما خلقه في غيره من الطعوم والألوان والروائح والأشكال، والمقادير والحركات وغير ذلك، فإذا كان قد خلق لون الإنسان لم يكن هو المتلون به، وإذا خلق رائحة منتنة، أو طعماً مرّاً، أو صورة قبيحة، ونحو ذلك مما هو مكروه مذموم مستقبح، لم يكن هو متصفاً بهذه المخلوقات القبيحة المذمومة المكروهة والأفعال القبيحة، ومعنى قبحها كونها ضارة لفاعلها، وسبباً لذمه وعقابه، وجالبة لألمه وعذابه، وهذا أمر يعود على الفاعل الذي قامت به لا على الخالق الذي خلقها فعلاً لغيره^(١).

(١) القدر لشيخ الإسلام (ص ١٢١-١٢٣).

قال الشيخ ابن سعدي رحمته الله : (إن الله كما أنه الذي خلقهم - أي الناس - ، فإنه خلق ما به يفعلون من قدرتهم وإرادتهم ؛ ثم هم فعلوا الأفعال المتنوعة : من طاعة ومعصية ، بقدرتهم وإرادتهم اللتين خلقها الله)^(١).

- (إن الله - سبحانه وتعالى - يفعل ما يفعل لحكمة يعلمها هو ، وهو يُعلم العباد أو بعض العباد من حكمته ما يطلعهم عليه ، وقد لا يعلمون ذلك ، والأمور العامة التي يفعلها تكون لحكمة عامة ورحمة عامة كإرساله محمد صلى الله عليه وسلم كما قال - تعالى - ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ^(٢) يقول ابن القيم رحمته الله " إنه سبحانه حكيم ، لا يفعل شيئاً عبثاً ولا لغير معنى ومصالحة وحكمة ، وهي الغاية المقصودة بالفعل ، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل ، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل ، وقد دل كلامه وكلام رسوله على هذا " ^(٣) ، وأدلة أهل السنة مستفيضة في الكتاب والسنة لا تخفى على من له أدنى إلمام بالكتاب والسنة ، وقد أطال ابن القيم النفس جداً للاستدلال لها ، فذكر أكثر من اثنين وعشرين نوعاً من الأدلة ، كل نوع يحوي مجموعة من النصوص ، وقد نقض في أثناء عرض الأدلة المذاهب المخالفة ، ورد عليها ^(٤) ، كما رد ابن تيمية على المذاهب المخالفة

(١) الدرر البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية ، للشيخ ابن سعدي (ص ١٨).

(٢) وانظر في هذا " مجموعة الرسائل الكبرى " ٣٣٥/١ .

(٣) شفاء العليل (ص ١٩٠).

(٤) انظر: " شفاء العليل " (ص ١٨٥ إلى ٢٠٦) ، وانظر أيضاً: " مفتاح دار السعادة " ؛ لابن القيم (٢/٤٢ وما بعدها).

وذكر الأدلة على صحة مذهب أهل السنة والجماعة^(١)، وهذا هو المذهب الحق في هذه المسألة).

- إرادة الله - عز وجل - على قسمين :

أ- إرادة كونية قدرية : وهي مرادفة للمشيئة، وهذه الإرادة لا يخرج عن مرادها شيء ؛ فالكافر والمسلم تحت هذه الإرادة الكونية سواء ؛ فالطاعات، والمعاصي، كلها بمشيئة الرب، وإرادته.

ومن أمثلتها قوله تعالى : ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ﴾ [الرعد: ١١]، وقوله : ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

ب- إرادة شرعية دينية : وتتضمن محبة الرب، ورضاه.

ومن أمثلتها قوله تعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقوله : ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧]، وقوله ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة: ٦].

الفرق بين الإرادتين : بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية

(١) انظر : " مجموع الفتاوى : (٨ / ٣٧ - ٣٩ - ٨١ - ٧٨ - ٣٧٧ وما بعدها)، و " مجموعة الرسائل والمسائل " (٥ / ١٦٢)، و " مجموعة الرسائل الكبرى " (١ / ١٩٨ وما بعدها)، و " نقص تأسيس الجهمية " ؛ لابن تيمية (١ / ١٩٨ وما بعدها)، و " ابن تيمية السلفي " ؛ لخليل هراس (ص ١٨٣ وما بعدها) .

فروق تميز كل واحدة منهما عن الأخرى، ومن تلك الفروق ما يلي :

- ١- الإرادة الكونية قد يحبها الله ويرضاها، وقد لا يحبها ولا يرضاها، أما الشرعية فيحبها الله ويرضاها ؛ فالكونية مرادفة للمشيئة، والشرعية مرادفة للمحبة.
- ٢- الإرادة الكونية قد تكون مقصودة لغيرها ؛ كخلق إبليس مثلاً، وسائر الشرور ؛ لتحصل بسببها محاب كثيرة كالتوبة، والمجاهدة، والاستغفار.
- أما الشرعية فمقصودة لذاتها ؛ فالله أراد الطاعة وأحبها، وشرعها ورضيها لذاتها.
- ٣- الإرادة الكونية لا بد من وقوعها ؛ فالله إذا شاء شيئاً وقع ولا بد، كإحياء أحد أو إماتته، أو غير ذلك.
- أما الشرعية ؛ كالإسلام - مثلاً - فلا يلزم وقوعها، فقد تقع وقد لا تقع، ولو كان لا بد من وقوعها لأصبح الناس كلهم مسلمين.
- ٤- الإرادة الكونية متعلقة بربوبية الله وخلقه، أما الشرعية فمتعلقة بألوهيته وشرعه.
- ٥- الإرادتان تجتمعان في حق المطيع، فالذي أدى الصلاة - مثلاً - جمع بينهما ؛ وذلك لأن الصلاة محبوبة لله، وقد أمر بها ورضيها وأحبها، فهي شريعة من هذا الوجه، وكونها وقعت دل على أن الله أرادها كوناً فهي كونية من هذا

الوجه ؛ فمن هنا اجتمعت الإرادتان في حق المطيع.

وتنفرد الكونية في مثل كفر الكافر، ومعصية العاصي، فكونها وقعت فهذا يدل على أن الله شاءها ؛ لأنه لا يقع شيء إلا بمشيئته، وكونها غير محبوبة ولا مرضية لله دليل على أنها كونية لا شرعية.

وتنفرد الشرعية في مثل إيمان الكافر، وطاعة العاصي، فكونها محبوبة لله فهي شرعية، وكونها لم تقع - مع أمر الله بها ومحبته لها - هذا دليل على أنها شرعية فحسب ؛ إذ هي مرادة محبوبة لم تقع.

٦- الإرادة الكونية أعم من جهة تعلقها بما لا يحبه الله ولا يرضاه، من الكفر والمعاصي، وأخص من جهة أنها لا تتعلق بمثل إيمان الكافر، وطاعة الفاسق.

والإرادة الشرعية أعم من جهة تعلقها بكل مأمور به، واقعاً كان أم غير واقع، وأخص من جهة أن الواقع بالإرادة الكونية قد يكون غير مأمور به.

هذه فوارق بين الإرادتين، فمن عرف الفرق بينهما سلم من شبهات كثيرة، زلت بها أقدام، وضلت بها أفهام، فمن نظر إلى الأعمال الصادرة عن العباد بهاتين العينين كان بصيراً، ومن نظر إلى الشرع دون القدر أو العكس كان (أعور).

- (الإيمان بالقدر هو المحك الحقيقي لمدى الإيمان بالله تعالى على الوجه الصحيح، وهو الاختبار القوي لمدى معرفة الإنسان بربه - تعالى -، وما يترتب على هذه المعرفة من يقين

صَادِقُ بِاللَّهِ، وَبِمَا يَجِبُ لَهُ مِنْ صِفَاتِ الْجَلَالِ وَالْكَمَالِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْقَدْرَ فِيهِ مِنَ التَّسَاوُلَاتِ وَالِاسْتَفْهَامَاتِ الْكَثِيرَةِ لَمَنْ أَطْلَقَ لِعَقْلِهِ الْمَحْدُودِ الْعَنَانَ فِيهَا، وَقَدْ كَثُرَ الْاِخْتِلَافُ حَوْلَ الْقَدْرِ، وَتَوَسَّعَ النَّاسُ فِي الْجَدْلِ وَالتَّأْوِيلِ لِآيَاتِ الْقُرْآنِ الْوَارِدَةِ بِذِكْرِهِ، بَلْ وَأَصْبَحَ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ زَمَانٍ يَثِيرُونَ الْبَلْبِلَةَ فِي عَقِيدَةِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ طَرِيقِ الْكَلَامِ فِي الْقَدْرِ، وَدَسَّ الشُّبُهَاتِ حَوْلَهُ، وَمِنْ ثَمَّ أَصْبَحَ لَا يَثْبُتُ عَلَى الْإِيمَانِ الصَّحِيحِ وَالْيَقِينِ الْقَاطِعِ إِلَّا مَنْ عَرَفَ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ الْحَسَنَى وَصِفَاتِهِ الْعَلِيَا، مُسَلِّمًا الْأَمْرَ لِلَّهِ، مُطْمَئِنًّا نَفْسًا، وَاثِقًا بِرَبِّهِ - تَعَالَى -، فَلَا تَجِدُ الشُّكُوكَ وَالشُّبُهَاتِ إِلَى نَفْسِهِ سَبِيلًا، وَهَذَا وَلَا شَكَّ أَكْبَرَ دَلِيلٍ عَلَى أَهْمِيَةِ الْإِيمَانِ بِهِ بَيْنَ بَقِيَّةِ الْأَرْكَانِ).

- خَالِفُوا أَهْلَ السَّنَةِ فِي مَسْأَلَةِ الْقَدْرِ فَرِقَتَانِ رَئِيسَتَانِ :

أُولَا هُمَا : الْقَدْرِيَّة.

ثَانِيَهُمَا : الْجَبْرِيَّة.

أَمَّا الْقَدْرِيَّةُ فَقَالُوا :

(إِنَّ الْعَبْدَ مُسْتَقِلٌّ بِعِلْمِهِ فِي الْإِرَادَةِ وَالْقُدْرَةِ، لَيْسَ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ - تَعَالَى - وَقُدْرَتِهِ فِي ذَلِكَ أَثَرٌ.

وَيَقُولُونَ : إِنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ لَيْسَتْ مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ، وَإِنَّمَا الْعِبَادُ هُمُ الْخَالِقُونَ لَهَا، وَيَقُولُونَ : إِنَّ الذُّنُوبَ الْوَاقِعَةَ لَيْسَتْ وَاقِعَةً بِمَشِيئَةِ اللَّهِ.

وَعِلَاتِهِمْ يَنْكُرُونَ أَنَّ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ عَلِمَهَا، فَيَجْحَدُونَ مَشِيئَتَهُ

الشاملة، وقدرته النافذة، ولهذا سموا مجوس هذه الأمة ؛ لأنهم شابهوا المجوس الذين قالوا : إن للكون إلهين : إله النور : وهو خالق الخير، وإله الظلمة : وهو خالق الشر.

وأما الجبرية - وهم الذين يؤيد الحمد مذهبهم -

فإنهم (غلو في إثبات القدر، حتى أنكروا أن يكون للعبد فعل - حقيقة -، بل هو في زعمهم لا حرية له ولا فعل، كالريشة في مهب الريح، وإنما تُسند إليه الأفعال مجازاً، فيقال : صلى، وصام، وقتل، وسرق، كما يُقال : طلعت الشمس، وجرت الريح، ونزل المطر، فاتهموا ربهم بالظلم، وتكليف العباد بما لا قدرة عليه، ومجازاتهم على ما ليس من فعلهم، واتهموه بالعبث في تكليف العباد، وأبطلوا الحكمة من الأمر والنهي، ألا ساء ما يحكمون.

وهؤلاء في الحقيقة يزعمون أن الله هو الفاعل الحقيقي لأفعالهم، بخلاف ما عليه أهل السنة، الذين يقولون : إن الله هو الخالق، والعبد هو الفاعل، ولذا ترتب على فعله الثواب والعقاب.

هؤلاء - الجبرية - يسمون بالقدرية المشركية، لأنهم شابهوا المشركين في قولهم : ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُنَا وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وحيث إن تركي الحمد قد أيد مذهبهم، واحتج على المعاصي والآثام التي يرتكبها (هشام العابر) بالقدر كقوله :

(كُتِبَ عَلَيْنَا أَنْ نَخْطِيءَ) (١).

فإن الرد سيكون منصباً على مسألة : هل يجوز الاحتجاج
بالقدر على فعل المعاصي ؟

الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي أو ترك الواجبات :

(الإيمان بالقدر لا يمنح العاصي حجة على ما ترك من
الواجبات، أو فَعَلَ من المعاصي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : " وليس لأحد أن يحتج
بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين، وسائر أهل الملل، وسائر
العقلاء ؛ فإن هذا لو كان مقبولاً لأمكن كل أحد أن يفعل ما
يخطر له من قتل النفوس وأخذ الأموال، وسائر أنواع الفساد في
الأرض، ويحتج بالقدر. ونفس المحتج بالقدر إذا اعتدي عليه،
واحتج المعتدي بالقدر لم يقبل منه، بل يتناقض، وتناقض القول
يدل على فساده، فالاحتجاج بالقدر معلوم الفساد في بدايه
العقول " (٢).

وبما أن هذا الأمر مما يعم به البلاء فهذا إيراد لبعض الأدلة
الشرعية والعقلية، والواقعية التي يتضح من خلالها بطلان
الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي أو ترك الطاعات.

١- قال الله تعالى : ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا

(١) الشميسي (ص ١٧٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧٩/٨)، وانظر: " اقتضاء الصراط المستقيم " (٢) / ٨٥٨-

وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن
تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ [الأنعام: ١٤٨]
فهؤلاء المشركون احتجوا بالقدر على شركهم، ولو كان
احتجاجهم مقبولاً صحيحاً ما أذاقهم الله بأسه.

٢- قال تعالى : ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ
حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ [النساء: ١٦٥]

فلو كان الاحتجاج بالقدر على المعاصي سائغاً لما كان هناك
داع لإرسال الرسل.

٣- أن الله أمر العبد ونهاه، ولم يكلفه إلا ما يستطيع، قال -
تعالى - : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال : ﴿لَا
يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ولو كان العبد مجبراً على الفعل لكان مكلفاً بما لا يستطيع
الخلاص منه، وهذا باطل، ولذلك إذا وقعت منه المعصية
بجهل، أو إكراه، فلا إثم عليه لأنه معذور.

٤- أن القدر سر مكتوم، لا يعلمه أحد من الخلق إلا بعد
وقوعه، وإرادة العبد لما يفعله سابقة لفعله، فتكون إرادته
للفعل غير مبنية على علم بقدر الله، فادعائه أن الله قدّر عليه
كذا وكذا ادعاء باطل ؛ لأنه ادعاء لعلم الغيب، والغيب لا
يعلمه إلا الله، فحجته إذاً داحضة ؛ إذ لا حجة للمرء فيما لا
يعلمه.

٥- أننا لو سلمنا للمحتج بالقدر على الذنوب لعطلنا الشرائع.

- ٦- لو كان الاحتجاج بالقدر - على هذا النحو - حجة، لُقبل من إبليس الذي قال: ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَفْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦].
- ٧- ولو كان حجة هؤلاء مقبولة - أيضاً - لتساوى فرعون عدو الله، مع موسى كليم الله ﷺ.
- ٨- الاحتجاج بالقدر على الذنوب والمعائب تصحيح لمذهب الكفار، وهذا لازم لهذا المحتج، لا ينفك عنه.
- ٩- ولو كان حجة لاحتج به أهل النار، إذا عاينوها، وظنوا أنهم موافعوها، كذلك إذا دخلوها، وبدأ توبيخهم وتقريعهم، هل يحتجون بالقدر على معاصيهم وكفرهم؟
- الجواب: لا؛ بل إنهم يقولون كما قال - عز وجل - عنهم: ﴿رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ مِّنْ حُبِّ دَعْوَتِكَ وَتَنَجِّنَا﴾ [إبراهيم: ٤٤]، ويقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [المؤمنون: ١٠٦]، وقالوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]، وقالوا: ﴿قَالُوا لَوْلَا لَوْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: ٤٣]، إلى غير ذلك مما يقولون.
- ولو كان الاحتجاج بالقدر على المعاصي سائغاً لاحتجوا به؛ فهم بأمس الحاجة إلى ما ينقذهم من نار جهنم.
- ١٠- ومما يرد هذا القول - أيضاً - أننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه في أمور دنياه حتى يدركه، ولا يعدل عنه إلى ما لا يلائمه ثم يحتج على عدوله بالقدر.

فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلى ما يضره ثم يحتج
بالقدر؟!!

وإليك مثلاً يوضح ذلك : لو أراد إنسان السفر إلى بلد، وهذا
البلد له طريقان، أحدهما آمن مطمئن، والآخر كله فوضى
واضطراب، وقتل، وسلب، فأيهما سيسلك؟

لاشك أنه سيسلك الطريق الأول، فلماذا لا يسلك في أمر
الآخرة طريق الجنة دون طريق النار؟

١١ - ومما يمكن أن يُرد به على هذا المحتج - بناء على مذهبه
- أن يقال له : لا تتزوج، فإن كان الله قد قضى لك بولد
فسياتيك، وإلا فلن يأتيك، ولا تأكل ولا تشرب، فإن قدر
الله لك شعباً ورياً فسيكون، وإلا فلن يكون، وإذا هاجمك
سبع ضار فلا تفر منه، فإن قدر الله لك النجاة فستنجو، وإن
لم يقدرها لك فلن ينفعك الفرار، وإذا مرضت فلا تتداوى،
فإن قدر الله لك شفاءً شفيت، وإلا فلن ينفعك الدواء.

فهل سيوافقنا على هذا القول أم لا؟ إن وافقنا علمنا فساد
عقله، وإن خالفنا علمنا فساد قوله، وبطلان حجته.

١٢ - المحتج بالقدر على المعاصي شبه نفسه بالمجانين،
والصبيان، فهم غير مكلفين، ولا مؤاخذين، ولو عومل
معاملتهم في أمور الدنيا لما رضي.

١٣ - لو قبلنا هذا الاحتجاج الباطل لما كان هناك حاجة
للاستغفار، والتوبة، والدعاء، والجهاد، والأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر.

١٤ - لو كان القدر حجة على المعائب والذنوب لتعطلت مصالح الناس، ولعمت الفوضى، ولما كان هناك داع للحدود، والتعزيرات، والجزاءات، لأن المسيء سيحتج بالقدر، ولما احتجنا لوضع عقوبات للظلمة، وقطاع الطريق، ولا إلى فتح المحاكم، ونصب القضاة، بحجة أن كل ما وقع إنما وقع بقدر الله، وهذا لا يقول به عاقل.

١٥ - أن هذا المحتج بالقدر الذي يقول : لا نؤاخذ، لأن الله كتب ذلك علينا، فكيف نؤاخذ بما كتب علينا؟

يقال له : إننا لا نؤاخذ على الكتابة السابقة، إنما نؤاخذ بما فعلناه، وكسبناه، فلسنا مأمورين بما قدره الله لنا، أو كتبه علينا، وإنما نحن مأمورون بالقيام بما يأمرنا به، فهناك فرق بين ما أريد بنا، وما أريد منا، فما أراد طواه عنا، وما أراد منا أمرنا بالقيام به.

ومما تجدر الإشارة إليه أن احتجاج كثير من هؤلاء ليس ناتجاً عن قناعة وإيمان، وإنما هو ناتج عن نوع هوى ومعاندة، ولهذا قال بعض العلماء فيمن هذا شأنه : " أنت عند الطاعة قدري، وعند المعصية جبري، أي مذهب وافق هواك تمذهبت به " (١).

يعني أنه إذا فعل الطاعة نسب ذلك إلى نفسه، وأنكر أن يكون الله قدّر ذلك له، وإذا فعل المعصية احتج بالقدر.

وبالجملة ؛ فإن الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي، أو ترك

الطاعات احتجاج باطل في الشرع، والعقل، والواقع.
 قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله عن المحتجين بالقدر : " هؤلاء القوم إذا أصرروا على هذا الاعتقاد كانوا أكفر من اليهود والنصارى " (١).

متى يسوغ الإحتجاج بالقدر؟

يسوغ الاحتجاج بالقدر عند المصائب التي تحل بالإنسان ؛ كالفقر، والمرض، وفقد القريب، وتلف الزرع، وخسارة المال، وقتل الخطأ، ونحو ذلك ؛ فهذا من تمام الرضا بالله رباً، فالاحتجاج إنما يكون على المصائب، لا المعائب، " فالسعيد يستغفر من المعائب، ويصبر على المصائب، كما قال - تعالى - ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [غافر: ٥٥]. والشقي يجزع عند المصائب، ويحتج بالقدر على المعائب " (٢).

ويوضح ذلك المثال الآتي : لو أن رجلاً قتل آخر عن طريق الخطأ، ثم لأمه من لأمه، واحتج القاتل بالقدر، لكان احتجاجه مقبولاً، ولا يمنع ذلك من أن يؤاخذ.

ولو قتل رجلٌ رجلاً عن طريق العمد ثم قرع القاتل ووَبَّخ على ذلك، ثم احتج بالقدر، لم يكن الاحتجاج منه مقبولاً ؛ ولهذا حج آدم موسى عليه السلام كما في قوله عليه السلام في محاجتهما : " احتج آدم

(١) المرجع السابق (٨/٢٦٢).

(٢) مجموعة الفتاوى (٨/٤٥٤)، وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٨٥٧-

وموسى فقال له موسى : أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة؟ فقال له آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، ثم تلومني على أمر قد قُدر علي قبل أن أُخلق؟ فحج آدم موسى^(١).

فآدم ﷺ لم يحتج بالقدر على الذنب كما يظن ذلك بعض الطوائف، وموسى ﷺ لم يلم آدم على الذنب؛ لأنه يعلم أن آدم استغفر ربه وتاب، فاجتباه ربه، وتاب عليه، وهداه، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

ولو أن موسى لام آدم على الذنب لأجابه : إنني أذنبت فتبت، فتاب الله علي، ولقال له : أنت يا موسى - أيضاً - قتلت نفساً، وألقيت الألواح إلى غير ذلك، إنما احتج موسى بالمصيبة فحجه آدم بالقدر^(٢) ..

"فما قدر من المصائب يجب الاستسلام له؛ فإنه من تمام الرضا بالله رباً، أما الذنوب فليس لأحد أن يذنب، وإذا أذنب فعليه أن يستغفر ويتوب، فيتوب من المعائب ويصبر على المصائب"^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٢).

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (١٧٨/٨)، ومنهاج السنة (٣/٧٨-٨١)، والاحتجاج بالقدر ص (١٨-٢٢) والفرقان، جميعها لشيخ الإسلام (ص ١٠٣-١٠٥)، والآداب الشرعية لابن مفلح (١/٢٥٨-٢٦٠)، والبداية والنهاية لابن كثير (١/٨٣-٨٧).

(٣) شرح الطحاوية ص ١٤٧، وانظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/١٦٣)، والتدمرية ص (٢٣١)، وانظر: المسائل التي لخصها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب من فتاوى ابن تيمية ص (٣٤).

وممن يسوغ له الاحتجاج بالقدر التائب من الذنب، فلو لآمه أحد على ذنب تاب منه لساغ له أن يحتج بالقدر.

فلو قيل لأحد التائبين : لم فعلت كذا وكذا؟ ثم قال : هذا بقضاء الله وقدره، وأنا تبت واستغفر، لقبل منه ذلك الاحتجاج^(١).

ثم إنه لايسوغ لأحد أن يلوم التائب من الذنب، فالعبرة بكمال النهاية، لا بنقص البداية).

الماركسيون جبيريون :

وليُعلم - بعد هذا - أن الماركسيين الذين يدين (هشام العابر!) بدينهم هم من الجبريين في مسألة القدر، ولهذا رأينا (هشام العابر)^(٢) الماركسي ينصر هذا المذهب.

يقول الأستاذ أنور الجندي : (كل الدعوات الفلسفية الحديثة المادية الاتجاه : من الدارونية إلى الماركسية تُسقط الإرادة الحرة، وتُعلن الجبرية)^(٣).



(١) انظر: شفاء العليل (ص٣٥)، وانظر: القضاء والقدر؛ لأسعد محمد الصاغري ص(٢٤)، وتقريب التدمرية؛ لابن عثيمين ص(١١٥).

(٢) وهكذا (كمال عبدالجواد) بطل ثلاثية نجيب محفوظ، جبيري لأنه ماركسي، ونجيب محفوظ يعترف بهذا ويقول كما في (حول الدين والديمقراطية - ص٢٧): (في الماركسية مبادئ إنسانية وعدالة اجتماعية تستحق الإعجاب والاحترام)!. أما تركي فلم يعترف إلى الآن!

(٣) الإنسانية إرادة وحرية ومسئولية (ص١٣) نقلاً عن القضاء والقدر للشيخ المحمود (ص١٤٩).

**تركي الحمد ينتقص في ثلاثيته :
الله وملائكته وكتبه ورسله ودينه وعباده الصالحين**

❁ **تنقص الحمد لله - عز وجل - :**

لم يُقدّر تركي الحمد الله - عز وجل - حق قدره، ولم يُعظمه كما يعظمه عباده المؤمنون، بل تحدث عنه في روايته وكأنه يتحدث عن بشرٍ مثله حديث الند للند بعبارة مملوءة بالتحدي والسخرية - والعياذ بالله -، وإن كان قد أخفى أشدها بالأسلوب الرمزي الذي عهدناه من هذا الصنف من البشر عندما يخوضون في مثل هذه الأمور.

فالحمد جاء في روايته بلهجة غريبة شاذة عن أهل مجتمعنا المسلم في حديثهم عن ربهم - سبحانه وتعالى -، حيث تجرأ في ذلك بصورة وقحة فاجرة.

وهو مشابه في هذه الجرأة لتيار الحداثة في بلاد الإسلام، الذين كانوا أول من ترددت هذه الظاهرة (الكفرية) في أشعارهم وأحاديثهم، حيث لم يتورعوا عن الحديث عن الله - عز وجل - بألفاظ سوقية بشرية، فمن ذلك على سبيل المثال :

قول صلاح عبد الصبور في قصيدته (الناس في بلادي)

(يا أيها الإله، كم أنت قاسٍ موحشٍ يا أيها الإله)^(١) وقول

الشاعر (الماركسي) البياتي : (الله في مدينتي يبيعه اليهود الله في مدينتي مشردّ طريد)^(١)!! وقول معين بسيسو : (وطرقت جميع الأبواب أخفنتني عاهرة ووشى بي قديس كان الله معي لكن الله هناك يدلي بشهادته .. في مركز بوليس)^(٢) وقول توفيق زياد : (ومداخن الأفران قائمة .. كآلهة المنايا)^(٣) وقول محمود درويش : (نرسم القدس إلهً يتعرى فوق خطِ داكن الخضرة أشباه عصافير تهاجر)^(٤) وهكذا .. في عبارات (كفرية) كثيرة تتناثر في أشعارهم القذرة^(٥) وفي ظني أن هذه الظاهرة السيئة قد وفدت إلى ديار المسلمين عبر شعراء اليهود والنصارى وكتابهم، الذين تُرجمت أشعارهم وعباراتهم، وكانت مصدراً رئيساً لشعراء المسلمين. وأولئك اليهود والنصارى - كما هو معلوم - لا يعظمون الله حق تعظيمه، ولا ينزهون اسمه عن لغوهم وباطلهم. وسبب ذلك - والعلم عند الله - هو تأثرهم بما جاء في كتبهم الدينية المحرّفة (لا سيما التوراة) عند الحديث عن الله - عز وجل - وصفاته، حيث تتحدث تلكم الكتب (المقدسة!) عن الله وصفاته كحديثها عن الخلق وصفاتهم، فجعلوا (المولى سبحانه

(١) ديوانه (ص ٥٢٦).

(٢) ديوانه (ص ٤٤٠).

(٣) ديوانه (ص ١٨٤).

(٤) ديوانه (ص ٣٩٨).

(٥) انظر لفضح شعراء الحداثة: "الحداثة: مناقشة هادئة لقضية ساخنة"؛ للدكتور محمد خضر عريف، و"الحداثة في ميزان الإسلام"؛ للشيخ عوض القرني، و"الانحراف العقدي في الأدب العربي المعاصر: دراسة نقدية"؛ للدكتور سعيد الغامدي.

وتعالى في صورة بشر حقود، سريع الغضب، كثير الندم^(١) فمن ذلك قولهم في (سفر التكوين، الإصحاح الثاني) عن الله - عز وجل - : (وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمله...)^(٢)!

ومن ذلك إخبارهم عن الله - عز وجل - بأن اليهود عندما تاهوا نزل الله - عز وجل - فهداهم إلى طريق الخروج ! (جاء في سفر الخروج «وارتحلوا من سكوت، ونزلوا في إيثام في طرف البرية. وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحب ليهديهم في الطريق، وليلاً في عمود نار ليضيء لهم...»)^(٣).

ومن ذلك زعمهم أن الله يبكي ويلطم وجهه - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً -^(٤) وأنه - تعالى - يصرع يعقوب عليه السلام -^(٥)!! وأنه - تعالى - اعترف بخطئه أما كبير الأخبار^(٦)!! وأنه - تعالى - يندم ويحزن وينسى^(٧)!!

إلى آخر تلك الصفات السيئة التي ألصقتها اليهود - لعنهم الله رب العالمين - سبحانه وتعالى -

(١) الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم؛ للدكتور محمد البار، (ص٥).

(٢) المصدر السابق (ص٢١).

(٣) المصدر السابق (ص٢٣).

(٤) المصدر السابق (ص٢٧).

(٥) المصدر السابق (ص٣٠).

(٦) المصدر السابق (ص٣٠).

(٧) المصدر السابق (ص٣١).

يقول الدكتور محمد البار بعد أن ذكر هذه الافتراءات :

(ومما تقدم نخلص إلى أن صفات الله سبحانه وتعالى في التوراة والتلمود، لا يمكن أن تكون صفات الله خالق الأكوان ومدبرها .. بل لا يمكن أن تكون إلا من صفات أراذل البشر.

هذا قليل من كثير من هذه الافتراءات والغشاء والكذب، والتجديف في وصف المولى سبحانه وتعالى .. والتوراة والعهد القديم والتلمود كلها مليئة بهذه الأوصاف المنكرة والسجايا الخبيثة التي لا يمكن أن يوصف بها إلا أخط البشر وأراذلهم، فكيف يمكن أن يوصف بها المولى سبحانه وتعالى^(١).

وقال الدكتور سعود الخلف بعد أن أورد شيئاً من تلکم

الأكاذيب :

(فهذه الأمثلة من أوضح الأدلة على التحريف، فإن الله عز وجل موصوف بصفات الكمال المطلق وكل ما يُشعر بالنقص فالله عز وجل منزه عنه، فتضمن اليهود كتابهم صفات تُشعر بوصف الله بصفات لا تليق بمقام الألوهية والربوبية والكمال المطلق، دليل واضح على التحريف والتبديل إذ لا يمكن أن يتضمن الكتاب الذي نزل من عند الله ما يطعن فيه جل وعلا.

وبأمثال هذه الافتراءات من قبل متقدميهم تجراً متأخروهم على الافتراء على الله، واعتقادهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأن الله لا يعذبهم وفي هذا قول الله عز وجل: ﴿قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا

(١) المصدر السابق (٤١).

مَعْدُودَاتٍ وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ [آل عمران: ٢٤] (١).

قلت : فهذه العقيدة الفاسدة قد أخذها كتاب وشعراء أهل الكتاب من كتبهم (المحرفة) فأضحوا يرددونها في نثرهم وأشعارهم دون أي خوف أو خجل من رب العالمين ، لأن كتبهم (المقدسة !) قد جرأتهم على نقل وترديد هذا الاستخفاف والطعن بربهم - عز وجل - وأسقطت هيئته من نفوسهم.

ثم جاء من بعدهم (نصارى) العرب (٢) فنقلوا تلك العقيدة في كتاباتهم ونظمهم.

وعن هؤلاء الكفرة أخذها بعض كتاب وشعراء المسلمين - للأسف - ، فخاضوا فيها تقليدًا لأولئك ، دون أن يعصمهم عن هذا الخوض المنكر رهبة من الله - عز وجل -

فأصبحنا نسمع ونقرأ عبارات لبعض الشعراء (المسلمين !) تضاهي في كفرها عبارات اليهود والنصارى ، ويندى لها جبين المسلم الموحد ، ويأسى على حال إخوانه الذين تابعوا الكافرين في طعنهم برب العالمين ، مصداقاً لقول ﷺ في هذا الصنف " لتبعن سنن الذين كانوا قبلكم حذو القذة بالقذة. حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه " قيل : اليهود والنصارى ؟ قال ﷺ " فمن ؟ " (٣) أي ليس إلا هم.

(١) دراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية (ص ٩٣).

(٢) كيوسف الخال ، وجورج شحاده ، وجبرا إبراهيم جبرا ، وإيليا حاوي وغيرهم.

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٦٩) ومسلم (٢٦٦٩).

وقد دخل شردمة من كتابنا وشعرائنا هذا الجحر الذي أخبر عنه الرسول ﷺ، بل زادوا عليه بأن طعنوا في خالقهم - عز وجل - متابعة لمن هم شر البرية - كما سبق يقول الدكتور أنس داود في كتابه "الأسطورة في الشعر العربي الحديث" (١) :

(لجأ شعراؤنا إلى الكتب المقدسة وبخاصة التوراة والإنجيل وقلما استفادوا من القرآن في هذا السبيل، ربما لأنهم يعيشون في أمة إسلامية لا تستسيغ مثل هذه النظرة الفنية إلى أقدس مقدساتها الدينية، ولأن الكتاب المقدس كان مصدر استلهام فني في الشعر الأوربي بمثل ما استلهم هؤلاء الشعراء أساطير الأقدمين. ولأن ثمة نسباً - كما نرى - بين كتاب كالتوراة ومجموعات الأساطير المتوارثة في قوة تصويرها لنوازع الإنسان، وتجسيدها للأهواء البشرية، حتى حين تتحدث عن الأنبياء لا تتحدث عنهم هذا الحديث المتطهر الذي تجده في القرآن، بل نجد لديهم أيضاً من الغرائز، وغلبة للشهوات أحياناً، ولجوءاً إلى الحيل والخديعة، وغير ذلك مما نجده في الحديث عن داود وعن سليمان وغيرهما من الأنبياء، مما يقربهم من الشخصيات الأسطورية في نوازعها الجارفة وسلوكها كل مسلك)

قلت : ثم جاء (الحمد) منضمّاً إلى هذا الركب ومتحدثاً في ثلاثيته عن ربه عز وجل بعبارات بشعه لا تصدر عن مؤمن فمن ذلك :

قوله عن هشام : (أراد أن يتحدث مع عارف، لكنه فقد الرغبة في الحديث. الله، الحتمية، الجبرية، العلم .. كلها أشياء تتعلق بقشة منها. يريد الخروج، فمن يوفر له ذلك، فهو الله)^(١).

وقوله عنه : (يحس أنه هنا منذ أن حشر الإله الروح في جسد آدم)^(٢).

وقوله : (دائماً المستقبل الذي لا يجيء، والتاريخ الذي لا نعيه، والله الذي لا نراه، يقفون وراء كل شيء، ويبررون كل شيء)^(٣).

وقوله : (واستسلم لحلم يقظة جميل ... تصور نفسه من بني إسرائيل أو سام، وود لو كان أسيره إلى الأبد. تصور أنه يوشع نفسه، أو سوبرمان ذاته. قادر على إيقاف الزمن ذاته. لا شيخوخة ولا موت ولا ألم ولا... تحقيق. تصور أنه الله ذاته... ولم لا... ما فرقه عن الحلاج والسهروردي وابن العربي؟^(٤) نحن الله والله نحن... كانت تلك رسالة موسى والمسيح ومحمد، ولكن أكثر الناس لا يدركون، فجعلوه ابن الله إنه ذات الله الآن، فماذا يفعل؟ هل يجعل الكون أكثر راحة، وينشر السعادة بين البشر؟

(١) الكرايب (ص ١٥٤).

(٢) الكرايب (٢١٣).

(٣) الكرايب (ص ١٣٠).

(٤) الصواب (ابن عربي) بدون (أل) وهو الصوفي الملحد المشهور، أما (ابن العربي) فهو الفقيه المالكي صاحب كتاب " أحكام القرآن " و " العواصم من القواصم " في الذب عن الصحابة رضي الله عنهم.

ولكن... ما هي السعادة؟ ! سعادة سقراط أم أفلاطون أم أرسطو أم ديوجين أم أبقرور أم زينون أم كونفيشيوس أم بوذا أم وأم، وأم... جملة أمّات لا نهاية لها. كالحياة ذاتها. ثم لو نشر السعادة وقضى على الألم، فهل يكون للسعادة نقيض الشقاء أو نقيض الألم، فكيف يمكن إدراك السعادة إذا اختفى الألم؟ حتى الجنة بدت له عديمة اللذة في تلك اللحظة كما بدت جهنم عديمة الألم. الخمرة لا تسكر ذاتها، والجمرة لا تحرق نفسها... البراز لا يتأذى من رائحة نفسه، والفل لا يستمتع بريح ذاته. لا بد من البراز لاكتشاف لذة الفلة، ولا بد من الفلة لاكتشاف قذارة البراز. ولذلك كان هناك جنة ونار معاً، الله وشيطان، نبي وفرعون، وكل في قدر يسبحون... تحقيق السعادة وحدها، يعني توحيد الألوان. وعندما تتوحد الألوان، تختفي... المعنى في الاختلاف، والعماء في التجانس. مشكلة... وجود الحياة بشكلها الحالي مشكلة... وجعلها أجمل وأحلى وأعدل مشكلة، لم لا تكون ذات الحياة هي المشكلة؟ لو كان ذات الله، لألغى الحياة ذاتها. لألغى هذه المسرحية المملة، وصرف ممثليها وألغى تلك الأدوار المقررة المعروفة. لا حرية مع الوجود، فكل الحرية في العدم...^(١).

وقوله : (الله أعلم ! مسكين أنت يا الله... دائماً نَحْمَلُكَ مانقوم به من أخطاء)^(٢).

وقوله على لسان (الشيوعي) عارف : (إن الانتحار هو تحد

(١) الكرايب (ص ١٣٧ - ١٣٨).

(٢) الكرايب (ص ٦٢).

للإله نفسه.

ثم وهو يضحك بسرعة :

- هذا إن كان هناك إله... الانتحار يا صديقي يعني أنني قد اخترت الجحيم ورفضت النعيم بملء إرادتي... فالنعيم الحق هو ما أختاره أنا، لا ما يختاره لي ما ليس أنا... الجحيم هو النعيم حين أختاره أنا، والنعيم هو الجحيم حينما يختاره غيري لي أنا.

ويضحك عارف مرة أخرى، ثم يعتدل في جلسته، وقد اتسعت عيناه، وبرقت عينه السليمة، وقال هو ينظر إلى هشام وقد اكتسى وجهه بعلامات نصر ما :

- الانتحار نصر على الله. ففي الانتحار تفوت الفرصة على الله أن يختار لك مصيرك. فأنت تدخل النار بإرادتك حين تنتحر وتعلم أن مصيرك هو النار. ليس الله هو من أدخلك النار، بل أنت من فعل...

وابتسم هشام وهو يقول :

- ولكن افرض أن الله أدخلك الجنة بالرغم من انتحارك، ألا يكون قد فوت عليك الفرصة واختار لك بالرغم منك ؟

وضحك عارف بحبور وهو يقول :

- كلا... فإذا دخلت النار فبإرادتي، وإذا أدخلني الله الجنة فأكون قد فرضت إرادتي عليه... لقد توعدني بالنار فيما لو انتحرت، ولكنه أدخلني الجنة برغم الوعيد. لقد فرضت إرادتي عليه، وجعلته يغير وعيده، لقد أصبحت نداءً له. أبعد هذا الانتصار

انتصاراً؟...

- ولماذا لا يكون هو قَدَّرَ عليك الاختيار منذ البدء؟
- أكون قد فضحت اللعبة كلها حينذاك.
- وعاد عارف إلى الاسترخاء وهو يردد :
- الانتحار هو النصر النهائي على كافة أشكال السلطة وأنواعها^(١).

❁ الحمد يمتهن لفظ (العبادة) :

- ومن تنقصه لخالقه - عز وجل - أنه امتهن لفظ (العبادة) وجعلها في غير موضعها، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وإنما جعلها في عبادة البشر بعضهم لبعض.
- حيث قال على لسان (عشيقته!) سوَّير :
- (أنا أعبدك يا هشام، والعبد لا يشرك مع معبوده شيئاً.
- وبدون هدف أو غاية أو قصد قال بشيء من المزاح، وقد أحس بالزهو يسيطر عليه من الداخل :
- ولكن الشرك لا يكون إلا بالله. هو المعبود الوحيد.
- وكنمرة متوحشة، نظرت إليه بعينيها المبللتين، وقد زادتاً اتساعاً على اتساعهما، وهي تقول :
- إذا أنت ربي... ترحمني وتعذبني. وكل شيء منك مقبول

(١) الكرايب (ص ٧٨ - ٧٩).

ومحمود.

ولم يستطع الاحتمال فعلاً ، فقال بتلقائية :

- أستغفر الله العظيم . . . أستغفر الله العظيم.

ردّد ذلك وشعور من الزهو وشيء لا يعرفه، أشبه ما يكون بالذنب، يمتزجان في داخله. كانت يدها قابضة على يده، فمدّ يده الأخرى وأخذ يربت على خدها ويتحسسه بلذّة، فيما ارتمت هي في أحضانه بعنف، وأخذت تشمه بصوت مسموع، وهي تردد :

- أحبُّك . . . أحبُّك يا هشام . . . أعشّك . . . أعبدك^(١).

❁ تنقّص عظيم :

ومن تنقصه الله - عز وجل -

قوله متحدثاً عن هشام وهو يحلم في منامه :

(وأخذ يسير على غير هدى في الصحراء، وقشعريرة البرد تستولي عليه. كل شيء يوحي أنه لا يسير، رغم أنه يسير. النجوم هي النجوم، والصحراء والظلام عديمة الأبعاد لا تريد أن تنجلي، واختفت البداية، وتلاشت النهاية، فلا يدري أهو يسير أم يهياً له أنه يسير. ولاح له بصيص نور من بعيد، وأحس بالفرح الغامر رغم أنه يعلم أنه يحلم. وأخذ يغذ السير، فيما النور يزداد سطوعاً وتتعدد ألونه، أخضر وأحمر و أصفر، ويتخللها لون أزرق باهت. وأخيراً وصل إلى حيث النور، ثم فجأة أشرقت الشمس وهي

(١) الشمسي (ص١٦٩).

تضحك بشكل هستيري، لم تكن ذات الشمس التي يعرف، فقد كانت شديدة الحرارة عديمة النور، فرغم سطوعها، إلا أن الظلام الحالك ما زال سائداً. وأخذ دماغه يغلي من الحرارة الشديدة، إلا أن جسمه كان يرتعش برداً، وأخذت النجوم ترسل سهاماً فضية في كل مكان، حيث تتكسر بصوت أقرب إلى الرنين على صخور لا يراها، ولكنه يعلم أنها هناك.

وفي خضم كل ذلك، كانت نسيمات هواء منعش تأتي من واحة وارفة الظلال تنبعث منها تلك الأضواء التي رآها من بعيد. كانت محاطة بأسلاك شائكة من كل جوانبها، فلم يستطع الدخول. وأخذ يحوم حولها، حتى تبين له الباب من بعيد، اتجه إليه، وأراد الدخول بعجلة، إلا أنه في اللحظة تلك، برز له شخص من حيث لا يدري، يحمل سوطاً طويلاً، وملامح غريبة، فقد كان له وجه ثور، في رأس وجسم بشريين، له مخالب في يديه ورجليه أشبه بمخالب الكلب، وفي مؤخرته يبرز ذيل لولبي أشبه بذيل الخنزير، استوقفه هذا الكائن وهو يخور قائلاً :

- إلى أين أيها الإنسان؟

- أريد المأوى والطعام والسلام . . . هل هذا كثير؟

- وهل تعتقد أن الدخول بهذه البساطة؟ . . . الواحة واحتني، ولا يدخلها إلا من يدفع الثمن. وثمانها بخس جداً . . . قبول شرطي.

- واحتك؟ . . . شروطك؟ . . . من أعطاك إياها؟

- قوتي هي من أعطاني إياها . . . إنها لي وحدي.

- القوة لا تصنع حقاً.
- الحاجة أساس الحق.
- ونخر الكائن الغريب، ثم قال بنفاد صبر :
- قوتي هي الحق هنا، وإن كنت في شك من ذلك، فحاول الدخول رغماً عني.
- ولم يجد بداً من الاستسلام، فقد كانت الحرارة والبرودة والظلام والصحراء لا تطاق، فقال :
- حسنا . . . وما هي شروطك؟
- وافتر وجه الكائن عن بسمة رضا واسعة، وأخذ اللعاب اللزج يسيل من بين أسنانه الضخمة، فيما تحول أنفه إلى اللون الأرجواني وهو يقول :
- الآن أصبحت عاقلاً وحكيماً.
- ثم استطرد :
- ليس لي إلا شرط واحد لا غير . . . أن تطيعني في كل ما أمرك به، ولك أن تتمتع بالماء والهواء والثمار والسلام.
- يا له من سعر باهظ !
- ويا لها من ثمار طيبة !
- وإن رفضتُ؟
- ليس لك إلا الصحراء والجوع والعطش وكلاب الطريق.
- ولكنني لا أستغني عن الحرية...

- ونخر الكائن مرة أخرى وهو يقول :
- الحرية . . . ماهي الحرية ؟ مجرد كلمة.
- ولكن في البدء كان الكلمة.
- وما نفع الكلمة مع الجوع والقلق.
- وما نفع الشبع والسكينة مع العبودية ؟
- وأخذ الكائن ينخر ويهز سوطه في الهواء، وهو يقول :
- دعك من هرائك هذا . . . أمامك خياران، إما أن تقبل شرطي وتدخل واحتي، أو أن تعود إلى الضياع في الصحراء.
- وأخذ يفكر في الخيارين وهو يختلس النظرات إلى داخل الواحة لقد كانت مظلمة مثل الصحراء حوله، رغم الألوان التي كانت تحيط بها، وتلك الأضواء التي يراها من هو بعيد، ولكنها تختفي حالما يصلها أحدهم. ومن الداخل كانت تتراءى أشباح أهل الواحة رغم الظلام . . . وجوه حمراء، وكروش منتفخة، وأعين فقدت بريق الحياة، وهم يأكلون طوال الوقت. وهيئ له أن وجوههم قد بدأت تتحول إلى شيء أقرب إلى وجه الكائن الذي يقف أمامه.

- ولكن قل لي . . .

قال هشام موجه حديثه للكائن :

- لماذا الظلام دامس في الواحة رغم الألوان والأنوار التي تتراءى من بعيد ؟

وضحك الكائن، وهو يمتص بعض لعاب سال من جانب

فمه، قال :

- الظلام في كل مكان، ولكن الطعام هنا فقط.
- ولكنني أرى بصيص نور في الأفق يوحى بانبلاج الفجر في الصحراء، ولا أرى ذلك البصيص في الواحة !
- النور مزعج للعين، ونحن لا نحبه هنا فهو مفسد للسكينة والطمأنينة. ليس ألد وأجمل من هدوء الليل، وصمت الظلام.
- لم لا تقول إنك أنت من يكره النور، كي لا يرى أحد وجهك المسخ.
- وهناك ثار الكائن، وأخذ ينخر بشدة، ورفع السوط في الهواء يريد أن يهوي به على جسد هشام، الذي فر من أمامه وهو يقول :
- سأضرب في الصحراء غير آبه بالشقاء . . . فلا بد للصحراء من نهاية، ولا بد لليل من فجر، ولا بد أني واجد واحتني مهما طال الزمان . . . واحتني سوف تكون بلا سياج ولا ظلام، ولا أمساخ بشر . . . وإن مت قبل ذلك، فسوف أموت وأنا حر.
- وتابع طريقه إلى عمق الصحراء فيما الشمس توقفت عن ضحكها، وانكفأت على نفسها، والكائن يضحك من بعيد ويقول بصوت كالرعد :
- لن تجد أفضل من واحتني هذه، كل الواحات مثل واحتني . . . سوف تعود إليّ مهما طال بكل التجوال، طالباً الصفح والغفران، مستجدياً أن أقبلك عبداً من عبيدي، وساعتئذ . . . ستعرف من أنا.
- وصاح هشام من بعيد :

- كلا . . . كلا لن أعود إلى واحتك إلا بعد أن يشرق فيها
النور ويخلع السياج وتعود إلى الناس وجوههم.
وابتلعته الصحراء، وقهقهة الكائن تدوي وراءه كالرعد،
والشمس عادت إلى ضحكها وحرقتها، ولكنه يسير وهو يرى
خيوط الفجر من بعيد^(١).

قلت : تأمل - أخي المسلم - هذا الحلم الذي صاغه الحمد
على لسان هشام جيداً، ثم تساءل معي كما تساءلت :
- ماهي هذه الواحة المحاطة بالأسلاك الشائكة ؟
- من هو هذا الشخص (البشع !) الذي ساومه هشام على
دخول الواحة ؟

لقد صاغ الحمد فكرته التي يريد إيصالها للقارئ بأسلوب
رمزي شأنه في ذلك شأن أهل الرمزية الذين يروجون لفكرهم بتلك
العبارات الغامضة خوفاً من عاقبة التصريح (بالكفر) لا سيما في
ديار التوحيد. وقد تابع الحمد هنا (شيخه) نجيب محفوظ عندما
تحدث في روايته الشهيرة (أولاد حارتنا) عن الله - عز وجل -
وعن أنبيائه بأسلوب رمزي^(٢) قاء من خلالها بما يحمله قلبه من

(١) الكرايب (ص ٢٢ - ٢٦).

(٢) حيث رمز إلى الله - عز وجل - بالجبل، وإلى آدم ﷺ بأدهم، وإلى
موسى ﷺ بجبل، وإلى عيسى ﷺ برفاعة، وإلى محمد ﷺ بقاسم، وإلى
(العلم) الذي يدعو إليه نجيب محفوظ بديلاً عن الدين بعرفة. انظر: "دراسة
المضمون الروائي في أولاد حارتنا"؛ لعبد الله المهنا، و"آراء نجيب محفوظ
في ضوء العقيدة الإسلامية"؛ لإيمان العسيري.

كفر وحقد تجاه رب العالمين - تبارك وتعالى - وتجاه أنبيائه -
عليهم الصلاة والسلام -

فجاء الحمد يهرع من ورائه مستعرضاً قدراته في (تمرير)
انحرافاته في مثل هذا الحلم.

فالشخص البشع في نظر الحمد - هو الله - عز وجل ، وتعالى
عن قول الحمد علواً كبيراً .- !!

والواحة المحاطة بالأسلاك الشائكة هي الجنة وما فيها من
سعادة واطمئنان.

فالحمد يريد أن يقول لنا بأن من أراد دخول الجنة فليلتزم
بعبودية الله - عز وجل - وطاعة أوامره، وأما من أنف من هذه
العبودية واختار الحرية ! كما يزعم الحمد فلا بد أن يزهّد في هذه
الجنة (أو الواحة) ويضرب في أعماق الصحراء لعله يجد مصدراً
آخر للسعادة لا تكون ضريبته فقدان الحرية !

وقد اختار الحمد الطريق الثاني، وهو الاستنكاف عن عبادته
سبحانه وتعالى، وقد قال تعالى في كتابه الحكيم عن هذا الصنف
من البشر: ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِيهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيَّ
جَمِيعًا ﴿١٧٦﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ
مِّنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا
وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾ [النساء: ١٧٢-١٧٣].

فمن استنكف عن عبادة الله وفرّ منها طالباً الحرية كما يزعم !
فإنه لن يجد من دون الله ولياً ولا نصيراً، فالمرء - وإن طال
الزمان - إلى الله الذي: ﴿إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المجادلة: ٩].

وأنا أقول للحمد : من لم يرض بعبادة الله سبحانه وتعالى فإنه لا شك سيعبد غيره لأن الإنسان لا يخرج عن العبودية بأي حال. فمن لم يعبد الرحمن عبد الهوى والشيطان، ولذلك قال تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجن: ٢٣].

قال ابن كثير : (أي إنما يآتمر بهواه، فما رآه حسناً فعله، وما رآه قبيحاً تركه)^(١).

فهو وإن ادعى أنه قد ترفع عن (عبودية) الله المستحق لها فإنه قد جعل تلك العبودية في غير محلها باتخاذ إلهه هو.

وقال تعالى ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠].

فمن لم يعبد الله عبد الشيطان، وعبادته - أي الشيطان - تكون باتخاذ الشيطان نفسه إلهاً^(٢)، أو بعبادة ما يزين عبادته من الأصنام والأحجار والصور و... الخ، حتى وصل باتباع الشيطان أن يعبدوا فرج المرأة - والعياذ بالله -

والحاصل : أن من تكبر عن عبادة الله أذله الله بأن صيره عبداً لهوى أو شيطان أو مخلوق مثله.

قال ابن القيم رحمته الله : (وكذلك من رفه بدنه وعرضه وآثر راحته على التعب لله وفي سبيله، أتعبه الله سبحانه أضعاف ذلك في غير سبيله ومرضاته، وهذا أمر يعرفه الناس بالتجارب).

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ١٦٢)

(٢) كعبدة الشيطان في عصرنا الحديث.

قال أبو حازم : " لما يلقي الذي لا يتقي الله من معالجة الخلق أعظم مما يلقي الذي يتقي الله من معالجة التقوى " .

واعتبر ذلك بحال إبليس . فإنه امتنع من السجود لآدم فراراً أن يخضع له ويذل ، وطلب إعزاز نفسه ، فصيره الله أذل الأذلين ، وجعله خادماً لأهل الفسوق والفجور من ذريته ، فلم يرض بالسجود له ، ورضي أن يخدم هو وبنوه فساق ذريته .

وكذلك عبادة الأصنام ، أنفوا أن يتبعوا رسولاً من البشر ، وأن يعبدوا إلهاً واحداً سبحانه ، ورضوا أن يعبدوا آلهة من الأحجار .

وكذلك كل من امتنع أن يذل لله ، أو يبذل ماله في مرضاته ، أو يتعب نفسه وبدنه في طاعته ، لا بد أن يذل لمن لا يسوى ، ويبذل له ماله ، ويتعب نفسه وبدنه في طاعته ومرضاته ، عقوبة له ، كما قال بعض السلف " من امتنع أن يمشي مع أخيه خطوات في حاجته أمشاه الله تعالى أكثر منها في غير طاعته " (١) .

وقال ﷺ مبيناً أهمية عبادة الله وحده للعبد :

(اعلم أن حاجة العبد أن يُعبد الله وحده لا يُشرك به شيئاً في محبته ولا في خوفه ولا في رجائه ، ولا في التوكل عليه ، ولا في العمل له ، ولا في الحلف به ، ولا في النذر له ، ولا في الخضوع له ، ولا في التذلل والتعظيم والسجود والتقرب ؛ أعظم من حاجة

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٩٤ - ١٩٥) وقد قال ابن القيم ﷺ في نونيته عن مدعي الحرية!

فروا من الرق الذي خُلِقوا له وبلوا برق النفس والشيطان

الجسد إلى روحه والعين إلى نورها، بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به، فإن حقيقة العبد روحه وقلبه، ولا صلاح لها إلا بإلهها الذي لا إله إلا هو، فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره، وهي كادحة إليه كدحاً فملاقيته، ولا بد لها من لقائه، ولا صلاح لها إلا بمحبتها وعبوديتها له ورضاه وإكرامه لها، ولو حصل للعبد من اللذات والسرور بغير الله ما حصل لم يدم له ذلك، بل ينتقل من نوع إلى نوع ومن شخص إلى شخص، ويتنعم بهذا في وقت ثم يُعذب ولا بد في وقت آخر، وكثيراً ما يكون ذلك الذي يتنعم به ويلتذ به غير منعم له ولا مُلذ، بل قد يؤذيه اتصاله به ووجوده عنده ويضره ذلك. وإنما يحصل له بملاسته من جنس ما يحصل للجرب من لذة الأظفار التي تحكه، فهي تدمي الجلد وتخرقه وتزيد في ضرره، وهو يُؤثر ذلك لما له في حكها من اللذة، وهكذا ما يتعذب به القلب من محبة غير الله هو عذاب عليه ومضرة وألم في الحقيقة لا تزيد لذته على لذة حك الجرب، والعقل يوازن بين الأمرين ويؤثر أرجحهما وأنفعهما، والله الموفق المعين، وله الحجة البالغة، كما له النعمة السابغة^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله مفصلاً هذا المعنى :

(" العباداة " هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه : من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١) طريق الهجرتين (ص ١٠٣ - ١٠٤).

والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الأدميين والبهائم. والدعاء والذكر والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة.

وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف لعذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله.

وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له، التي خلق الخلق لها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وبها أرسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه: ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [التحل: ٣٦] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [يوسف: ١٠٩] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢] كما قال في الآية الأخرى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١] وجعل ذلك لازماً لرسوله إلى الموت كما قال: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه فقال تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [١٩]

يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠] وقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ
عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾﴾
[الأعراف: ٢٠٦]، وذم المستكبرين عنها بقوله : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي
أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ
دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]، ونعت صفوة خلقه بالعبودية له فقال
تعالى : ﴿عَيْنًا يَنْبَرُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦١﴾﴾ [الإنسان: ٦١] وقال
﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْسُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣] الآيات،
ولما قال الشيطان ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ
وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحجر: ٣٩] قال الله تعالى ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ
عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر: ٤٢].

وقال في وصف الملائكة بذلك : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا
سُبْحٰنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ لا يَسْفُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ
يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧] إلى قوله ﴿وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُسْفِقُونَ
﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٨]. وقال تعالى : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾﴾ لَقَدْ
جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾﴾ [مريم: ٨٨-٨٩].

وقال تعالى عن المسيح - الذي ادعت فيه الإلهية والنبوة :
﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزخرف:
٥٩]، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح : " لا تطروني
كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا : عبد الله
ورسوله " (١).

وقد نعته الله " بالعبودية " في أكمل أحواله، فقال في الإسراء : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١]، وقال في الإيحاء : ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]. وقال في الدعوة : ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩]. وقال في التحدي : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]. فالدين كله داخل في العبادة.

وقد ثبت في الصحيح : أن جبريل لما جاء إلى النبي ﷺ في صورة أعرابي وسأله عن الإسلام قال : " أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً " . قال : فما الإيمان ؟ قال : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره " . قال : فما الإحسان ؟ قال : " أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " ، ثم قال في آخر الحديث " هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم " (١)، فجعل هذا كله من الدين.

"والدين " يتضمن معنى الخضوع والذل. يقال : دنته فدان، أي : ذلته فذل، ويقال يدين الله، ويدين لله، أي : يعبد الله ويطيعه ويخضع له، فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له.

و"العبادة" أصل معناها الذل أيضاً، يقال طريق مُعَبَّد إذا كان مذلاً قد وطئته الأقدام.

(١) أخرجه البخاري (٥٠) ومسلم (١٠).

لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له، فإن آخر مراتب الحب هو "التتيم" وأوله "العلاقة" لتعلق القلب بالمحبوب، ثم "الصباية" لانصباب القلب إليه، ثم "الغرام" وهو الحب اللازم للقلب، ثم "العشق"، وآخرها "التتيم" يقال: تيم الله أي: عبد الله، فالمتيم المعبد لمحوبه.

ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له، كما قد يحب ولده وصديقه، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله.

وكل ما أحب لغير الله فمحبته فاسدة، وما عظم بغير أمر الله كان تعظيمه باطلاً، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤]، فجنس المحبة تكون لله ورسوله، كالطاعة فإن الطاعة لله ورسوله^(١).

قلت: وأما ادعاء الحمد بأن عبودية الله وجنته ليس فيها نور، وإنما النور والفجر! في حريته (المزعومة) فهو من تلبس الشيطان

عليه، ومن انتكاس قلبه، حتى أصبح يبصر الأشياء على خلاف حقيقتها، فغدا النور عنده ظلاماً، والظلمة نوراً، وهذا حال أهل الباطل الذين يرون باطلهم حقاً والحق باطلاً منذ العهود القديمة. ولا أملك أن أقول للحمد في هذا المقام إلا ما قاله ابن القيم رحمته الله : (فأهل الأرض كلهم في ظلمات الجهل والبغي إلا من أشرق عليه نور النبوة، كما في المسند وغيره من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله خلق خلقه في ظلمة وألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل " ^(١)، فكذلك أقول : ولذلك بعث الله رسوله ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، فمن أجابهم خرج إلى الفضاء والنور، ومن لم يجبهم بقي في الضيق والظلمة التي خلق فيها، وهي ظلمة الطبع وظلمة الجهل والهوى وظلمة الغفلة عن نفسه وكمالها وما تسعد به في معاشها ومعادها.

فهذه كلها ظلمات، خلق فيها العبد، فبعث الله رسوله لإخراجه منها إلى نور العلم والمعرفة والإيمان والهدى، الذي لا سعادة للنفس بدونه البتة. فمن أخطأه هذا النور أخطأه حظه وكماله وسعادته، وصار يتقلب في ظلمات بعضها فوق بعض، فمدخله ظلمة ومخرجه ظلمة وقوله ظلمة وعمله ظلمة وقصده ظلمة، وهو متخبط في ظلمات طبعه وهواه وجهله، ووجهه مظلم وقلبه مظلم، لأنه مبقى على الظلمة الأصلية، ولا يناسبه من الأقوال والأعمال

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: (٦٦٤٤)، وصححه الألباني في " السلسلة الصحيحة " (١٠٧٦).

والإرادات والعقائد إلا ظلماتها، فلو أشرق له شيء من نور النبوة
لكان بمنزلة إشراق الشمس على بصائر الخفاش.

بصائر غشاها النهار بضوئه

ولاء مها قطع من الليل مظلم

يكاد نور النبوة يلمع تلك الأبصار، ويخطفها لشدته وضعفها،
فتهرب إلى الظلمات لموافقته لها، وملاءمتها إياها.

والمؤمن علمه نور، وقوله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور،
وقصده نور، فهو يتقلب في النور في جميع أحواله، قال الله
تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ
الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ
يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ [التور: ٣٥] (١).

❁ الحلف بغير الله في روايته :

ومن تنقصه الله - عز وجل - أنه استهان بالحلف بغيره - عز
وجل -، فذكره في روايته متغافلاً عن قدحه في عقيدة الإنسان
وأنه من الشرك الأصغر (٢)، مصداقاً لقوله ﷺ: " من حلف بغير الله

(١) هداية الحيارى؛ لابن القيم (ص ٥٩١ - ٥٩٣).

(٢) قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: (الحلف بغير الله من الشرك الأصغر...، وقد يكون
شركاً أكبر إذا قام بقلب الحالف أن هذا المحلوف به يستحق التعظيم كما
يستحقه الله). (فتاوى ابن باز ٢ / ٧٢٧).

فقد أشرك " (١) ، وقال ﷺ : " من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت (٢) .

قال الحمد على لسان عبد الرحمن مخاطباً ابن عمته هشام :
(أخبره أن ما يشعر به شيء طبيعي لشخص يشرب لأول مرة، وأنه سوف يعتاد الشراب ولن يفعل به شيئاً بعد ذلك. إلا أن هشام صاح : " أول وآخر مرة ورأس أبوك... ") (٣) .

🌸 الحمد يعتقد أن الله في كل مكان !!

ومن طوام تركي الحمد في روايته أنه - وهو الذي درس عقيدة السلف في بلاد التوحيد - يعتقد عقيدة الأشاعرة في أن الله موجود في كل مكان ! وهذا من الأمور التي مرت عليّ أثناء دراستي لثلاثيته. مما جعلني أتفكر كثيراً في كيفية تسرب هذه البدعة الغريبة على بلادنا إلى ذهن الحمد وروايته، ثم اكتشفت أنه قد يكون نقلها من ثلاثية نجيب محفوظ، دون أي تفكير بمدى صحتها ! وهذا من الأدلة على أن الحمد مجرد صدى لنجيب محفوظ يردد ما يقوله في ثلاثيته، ولو كان مخالفاً للنقل والعقل كهذه المسألة.

قال الحمد متحدثاً عن والد هشام :

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٥١)، وصححه الألباني. وقال الشيخ ابن باز في فتواه

السابقة: " بإسناد صحيح " .

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٣٣) ومسلم (١٦٤٦).

(٣) الشمسي (ص ٤٥).

(وضحك أبوه إحدى ضحكاته النادرة، ثم عاد إلى وقاره وهدوئه المعتادين وهو يقول بحزم : اسمع يا ولدي . . . إن الله موجود في كل مكان، والتقوى في النية الطيبة والسلوك الطيب مع الناس، . . .) (١)

قلت : هذه عقيدة باطلة يدين بها متأخرو الأشاعرة، والذي عليه سلف الأمة أن الله مستوٍ على عرشه فوق سماواته، كما قال تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] وقال : ﴿ءَأَمِنُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ [المُلك: ١٦]، وقال : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠] . . . والأدلة على هذا كثيرة ليس هذا موضع التوسع فيها (٢).

أما أن الحمد قد أخذ هذه العقيدة البدعية من نجيب محفوظ، فالأن هذا الآخر قد ذكرها في ثلاثيته - التي هي عمدة الحمد - على لسان أحمد عبد الجواد.

حيث قال له الحمزاوي : (ربنا موجود) فرد عليه أحمد عبد الجواد : (نعم! - ومشيراً إلى الجهات الأربع - في كل مكان) (٣).

(١) الشميسي (ص ١٣٦).

(٢) انظرها في : " العلو " ؛ للذهبي و " مختصره " ؛ للألباني، و " علو الله على خلقه " ؛ للدكتور موسى الدويش، و " إثبات علو الله ... " ؛ للشيخ حمود التويجري رَحِمَهُ اللهُ، و " الرحمن على العرش استوى " ؛ للشيخ عبد الله السبت، و " الرحمن على العرش استوى بين التن-زيه والتشويه " ؛ للدكتور عوض منصور.

(٣) بين القصرين (ص ٤٤٨).

❁ الحمد يرى أن عبودية الله كالأغلال !!

من تنقص الحمد لله عز وجل، أنه لم يرض بعبوديته، وإنما أثر عليها (الحرية) كما يدعي ! وهي في حقيقتها ليست (حرية) وإنما (عبودية) من نوع آخر، إما للهوى أو الشيطان كما سبق.

يقول الحمد متحدثاً عن هشام : (وطافت في ذهنه تجربته الدينية العميقة حين ذهب إلى المسجد مع الفجر، وصلى بعمق غريب ولذيذ لأول مرة في حياته، بعد تجربته الجسدية مع رقية، فقد كانت صلواته السابقة مجرد حركات جسدية لا روح فيها، ومجاملات اجتماعية بعض الأحيان. ورغم أنه يشعر بالضآلة حين يجامل في مثل هذه الأمور، إلا أنه لا يستطيع إلا أن يجامل، فالله غفور رحيم، ولكن عباده لا يعرفون الرحمة والغفران، لقد أحس بعد تلك التجربة العنيفة بتمزق لم يستطع احتماله، فكان بحاجة إلى أب رؤوف رؤوف يلقي بحمله عليه . . . أب ليس ككل الآباء. أب يسامح على الخطأ والخطيئة، ويأخذ بيده إلى الراحة بعد العذاب، والصفاء بعد القلق وذاك الوخز المؤلم في الداخل . . . ولكن شتان بين حاله مع رقية، وهذا الانقلاب العجيب في حال عدنان . . . كل إنسان يبحث عن أب رحيم قادر، وأم حنون في الأزمات والملمات، والكل يبحث عن كتف عطوف عطوف قوي يبكي عليه ويلقي عليه بأحماله، ولكن القليل هو من يريد أن يبقى باكياً على ذلك الكتف، فهو لذيد حقاً، ولكن الألد منه أن تخطئ وتصيب، فاللذة في وجود نقيضها وليس في مجرد وجودها. شيء لذيد وجميل أن تجد من يكون مسؤولاً عنك طوال الوقت، ولكن السعر باهظ جداً . . . إنه الحرية ذاتها. الطفل

وحده من يدفع هذا السعر بالرغم منه، ولكن من يريد أن يبقى طفلاً طوال الوقت؟! الكل يجد الدفء في حضن الأم، والقوة في الأب، ولكن قلةً من يريدون البقاء في ذلك الحضن وعلى الكتف... ويبدو أن عدنان واحد من هؤلاء^(١).

قلت : ومقصوده واضح لا يحتاج إلى إعمال ذهن، وهو دليل تكبره عن عبادة ربه - كما سبق - وقد قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَتَكُرُونُ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

❁ تنقصه الملائكة الكرام :

أما تنقص الحمد واستخفافه بالملائكة المكرمين، فمن ذلك قوله متحدثاً عن هشام في السجن :

(ثم نظر إلى النافذة، وتلك النجوم التي تتبدى من ورائها على استحياء، وهو يتصور أن يأتي ملاك رحمة من هنا أو هناك فينقله على جناحيه إلى حيث نسمة هواء طليقة. ولكن حتى الملائكة اختفت في هذه اللحظة، ويبدو أنها نفسها تخاف الدخول إلى هذا المكان، وليس إلا الرعب والسكون والانتظار)^(٢)!!

قلت : كيف تخاف الملائكة الدخول في هذا المكان أو غيره، وهي معك أينما سرت. قال تعالى عن الإنسان : ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

وقال سبحانه : ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ

(١) الشمسي (ص ٧٠ - ٧١).

(٢) الكرايب (ص ١٩).

أَمْرٍ اللَّهُ ﷻ [الرعد: ١١].

وقال تعالى : ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

فالملائكة المكرمون قد خُصَّ بعضهم بأنه لا يفارق الإنسان في جميع أحواله - كما سبق - ، ولكن الحمد لا يفقه هذا بعد أن اعتاد لسانه على الجرأة عند حديثه عن كل شيء مقدس متأثراً بالكفرة الفجرة - ولا حول ولا قوة إلا بالله - .

✿ تنقص الحمد القرآن :

أما سخريته بالقرآن، وبآيات الله، فهو أنه يضعها في غير موضعها، بأسلوب هازل.

فمن ذلك قوله :

(حانت التفاتة من عبد الرحمن نحو الكيس الذي يحمله هشام ويشد عليه بقوة، فقال وهو يضحك : " ما تلك بيمينك يا هشام؟ " وابتسم هشام...)^(١) فهو يشير إلى قوله تعالى لموسى -

ﷺ : ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧]

وقوله : (وهز هشام رأسه وهو يبتسم محيياً، فيما أخذ الآخرون يتضحكون ويتغامزون فيما بينهم ويقولون : " شرفت الكرايب " " وما منكم إلا واردها ")^(٢).

(١) الشمسي (ص ٣٩).

(٢) الكرايب (ص ٣٧).

وهو يشير إلى قوله تعالى عن النار : ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم : ٧١].

قلت : لا يجوز أن يُنزل القرآن في غير منزله الذي أراده الله له ، وأن يُستدل به بهذه السخرية^(١).

وقد سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عن استعمال بعض آيات القرآن في المزاح ما بين الأصدقاء؟ فأجبت بأنه (لا يجوز استعمال آيات القرآن في المزاح)^(٢).

❁ بغضه لمادة القرآن !

يقول الحمد متحدثاً عن ذكريات هشام ، وصديقه عدنان :
كانا في الصف الرابع الابتدائي ، وكانت مادتي القرآن الكريم والتجويد أصعب وأبغض المواد عند التلاميذ^(٣)!!

قلت : أما (أصعب) فقد قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر : ١٧].

وأما (أبغض) فهذه التي يريد الحمد ! والسؤال : لماذا كان

(١) للسيوطي رسالتان حول هذا الموضوع بعنوان: " تنزيه الأغبياء عن تسفيه الأنبياء " ، و " رفع البأس وكشف الالتباس في ضرب المثل من القرآن والافتباس " انظرها في (الحاوي) (٣٠٩/١) و (٣٤٤/١). وهي في من اقتبس من القرآن جاداً لا هازلاً. وانظر للمزيد: " الاقتباس: أنواعه وأحكامه: دراسة شرعية بلاغية في الاقتباس من القرآن والحديث "؛ للدكتور عبدالمحسن العسكر

(٢) فتاوى اللجنة (٤ / ٥٦).

(٣) الشميسي (ص٦٨).

كلام الله الذي فيه الهدى والنور أبغض المواد؟! وكان الحب كله للكتب الفلسفية والماركسية و(المحرمة)!

وصدق الله إذ يقول: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٨٢) [الإسراء: ٨٢].

🌸 **تنقصه الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - :**

لقد أسرف الحمد على نفسه كثيراً واقتحم لجة من الضلال عندما تعرض لأنبياء الله تعالى - عليهم الصلاة والسلام - واصفاً إياهم بكل منقصة جرياً وراء أكاذيب اليهود والنصارى التي استولت على ذهنه عند حديثه عنهم - عليهم السلام - فقد نسخت قراءاته لكتب اليهود والنصارى كل تعظيم غرسه القرآن في صدره حول الأنبياء والرسول.

ولنستمع إلى (هرائه) مع التعليق عليه بما تسير.

قال الحمد على لسان هشام :

(قتل قابيل هايبيل من أجل المرأة، وخرج آدم من الجنة من أجل المرأة، وأذنب من أجل المرأة، وسخر سليمان الجن من أجل المرأة، وقال رسولنا الكريم^(١): " حُبب إليَّ من دنياكم الطيب والنساء وجُعلت الصلاة قرّة عيني " ومزامير داود كلها عن المرأة، وسكر لوط في التوراة من أجل المرأة، وأبطل المسيح حد اليهود من أجل مريم المجدلية، وخاف إبراهيم من فرعون مصر من أجل المرأة، وكانت المرأة وراء مباركة يعقوب بدلاً من

(١) صلى الله عليه وسلم!

عيسو... (١).

قلت : لقد تضمن هذا النص من الحمد عدة افتراءات على أنبياء الله ﷺ، حيث لم يتورع - هداه الله - عن متابعة اليهود والنصارى في تليفق التهم والنقائص لخير البشر ﷺ ولتفنيد ذلك أقول :

- أما قابيل وهابيل فإنهما لم يكونا من الأنبياء، بل هم بشر كغيرهم، فلا شأن لنا بهما. ومع هذا فتركي الحمد لم يذكر إلا قولاً واحداً في قصتهما ولم يذكر القول الثاني.

فهو ألمح إلى القول الأول الذي يفيد بأن قابيل قتل أخاه هابيل بسبب المرأة، فقررا أن يتقربا إلى الله بقربان فمن تُقبل منه كانت المرأة من نصيبه، فتقبل من هابيل ولم يُتقبل من قابيل، فقام قابيل بقتل هابيل.

والقول الثاني الذي لم يذكره الحمد : هو أنهما قررا أن يقوما بتقديم قربان إلى الله - عز وجل - فعمد قابيل إلى أسوأ ماله فقدمه قرباناً، وعمد هابيل إلى أحسن ماله فقدمه، فتقبل منه ولم يُتقبل من أخاه قابيل، فحسده قابيل وقام بقتله.

وفي هذا يقول ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ : (عن ابن عباس قال : كان من شأنهما أنه لم يكن مسكين يتصدق عليه، وإنما كان القربان يقربه الرجل، فبينما ابنا آدم قاعدان إذ قالوا : لو قربنا قرباناً ! وكان الرجل إذا قرب قرباناً فرضيه الله عز وجل أرسل إليه

ناراً فأكلته، وإن لم يكن رضيه خبت النار، فقربا قرباناً. وكان أحدهما راعياً وكان الآخر حراثاً، وإن صاحب الغنم قرب خير غنمه وأسمنها. وقرب الآخر أبغض زرعه، فجاءت النار فنزلت بينهما، فأكلت الشاة وتركت الزرع. وإن ابن آدم قال لأخيه : أتمشي في الناس وقد علموا أنك قربت قرباناً فتقبل منك ورد عليّ؟ فلا والله لا تنظر الناس إلي وإليك وأنت خير مني فقال : لأقتلنك ! فقال أخوه : ما ذنبي ؟ إنما يتقبل الله من المتقين^(١).

قلت : فهذا القول الثاني الذي لم يُشر إليه الحمد هو الذي يشهد له القرآن العظيم عندما تحدث عن قصة ابني آدم حيث قال تعالى : ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَنْ بَسَطَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنَّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة: ٢٧-٣٠].

ولذا قال ابن كثير رحمته الله بعد سياقه الأثر السابق عن ابن عباس رضي الله عنهما : [فهذا الأثر يقتضي أن تقرب القربان كان لا عن سبب ولا عن تدارئ في امرأة كما تقدم عن جماعة ممن تقدم ذكرهم، وهو ظاهر القرآن^(٢).

فالحمد لم يسق إلا القول الذي يتماشى مع هواه، علماً بأن

(١) تفسير الطبري (١٠ / ٢٠٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ٤٥).

هذه الروايات جميعها لم تصح مرفوعة إلى النبي ﷺ، وإنما هي تنقل عن أهل الكتاب الذين أمرنا بعدم تصديقهم أو تكذيبهم إلا ما عارض شرعنا فإننا نكذبهم فيه - ولا كرامة -.

بل إن القرآن والسنة الصحيحة لم تذكر (قابيل وهابيل) وإنما ذكرت بأن القصة حدثت لابني آدم فقط، دون تفصيلات، كما في سورة المائدة، وكما في قوله ﷺ في الصحيحين: " لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سنّ القتل ".

- أما قول الحمد بأن آدم ﷺ قد خرج من الجنة من أجل المرأة، فالذي في القرآن أن (الشيطان) قد وسوس لآدم وحواء جميعاً بالأكل من الشجرة، وفي آيات أخرى يُخبر الله بأن الشيطان قد وسوس لآدم بذلك دون ذكر لحواء.

قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَآرَزَاهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ [البقرة: ٣٥-٣٦].

وقال سبحانه: ﴿قَالَ أَخْرَجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ [الأعراف: ١٨].

وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَسَيِّءٍ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١٦﴾ [طه: ١١٥-١١٦].

فهذه الآيات فيها أن الشيطان وسوس لهما جميعاً ﴿فَأَزَلَّهُمَا

الشَّيْطَانُ ﴿البَقَرَة: ٣٦﴾ ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: ٢٠] وفي سورة طه أنه وسوس لآدم أولاً ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ [طه: ١٢٠]. فهي تشهد لمن قال بأن الوسوسة كانت لهما جميعاً حيث أغراهما الشيطان بنيل الخلد في الجنة وأن يكونا كسائر الملائكة. ولم يذكر فيها أن حواء هي التي أغرت آدم على الأكل من الشجرة كما تقول ذلك الروايات الإسرائيلية. ولهذا قال الشيخ أحمد شاکر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (دأب الكتاب والأدباء في عصرنا هذا على فرية أن آدم ﷺ خدعته حواء حتى أكل من الشجرة، يصطنعون قول الكاذبين المفترين من أهل الكتاب، بما حرفوا وكذبوا)^(١).

قلت : ولكن من يقول بأن حواء أكلت من الشجرة قبل آدم، أو أنها سهلت له الأكل منها يستشهد بحديث رواه البخاري في صحيحه^(٢) ويحمله على هذه القصة، وهو أنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : " لولا حواء لم تخن أنثى زوجها ". قال الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث : (وقوله " لم تخن أنثى زوجها " فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك، فمعنى خيانتها أنها قبلت ما زين لها إبليس حتى زينته لآدم، ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهنها بالولادة ونزع العرق، فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو بالقول وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش، حاشا وكلا، ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة وحسنت ذلك لآدم عد ذلك خيانة

(١) عمدة التفسير (١/ ١٣٦).

(٢) برقم (٣١٥٢).

له، وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن بحسبها، وقريب من هذا الحديث " جحد آدم فجحدت ذريته " وفي الحديث إشارة إلى تسلية الرجال فيما يقع لهم من نسائهم بما وقع من أمهن الكبرى، وأن ذلك من طبعهن، فلا يُفرض في لوم من وقع منها شيء من غير قصد إليه أو على سبيل الندور، وينبغي لهن أن لا يتمكن بهذا في الاسترسال في هذا النوع، بل يضبطن أنفسهن ويجاهدن هواهن، والله المستعان^(١).

وقال ابن كثير رحمته الله : (وكانت حواء أكلت من الشجرة قبل آدم، وهي التي حدثه على أكلها، والله أعلم، وعليه يُحمل الحديث الذي رواه البخاري...) ثم ذكر الحديث السابق^(٢).

ومع هذا ؛ فلا يحسن أن يقال بأن آدم خرج من الجنة بسبب المرأة، وإنما يقال بأنه عليه السلام خرج من الجنة بسبب مخالفته لنهي الله - عز وجل - بوسوسة من الشيطان مما ترتب عليه ابتلاؤه وذريته من بعده. وكان هذا قبل أن يتوب الله عليه، ويصطفيه كأول نبي على وجه الأرض.

- أما قول الحمد بأن داود عليه السلام أذنب من أجل المرأة، فهذا من افتراءه متابعة لأشياخه اليهود الذين افتروا على داود عليه السلام في توراتهم المحرفة بأنه عليه السلام قتل أحد قواده بواسطة الخدعة حيث جعله في مقدمة الجيش، لكي يتزوج بامرأته التي أعجب بها داود عليه السلام بعد أن رآها عريانة ! كما جاء في (سفر صموئيل الثاني،

(١) فتح الباري (٦ / ٤٢٤).

(٢) البداية والنهاية (١ / ٧٨).

الإصحاح (١١).

وقد تسللت هذه الكذبة الشنيعة من اليهود إلى تفاسير المسلمين عبر الإسرائيليات التي أخذوها منهم دون تمحيص لها. حيث تُذكر هذه القصة المكذوبة في تفسير قوله تعالى : ﴿وَطَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

وقد أجاد ابن كثير رحمته الله عندما قال عند هذه الآية : (قد ذكر المفسرون ها هنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه)^(١) ثم ضعّف القصة السابقة بأن في سندها (يزيد الرقاشي) أحد الضعفاء في الحديث عند الأئمة.

وقبله قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله :

(قد عرف كلام اليهود في الأنبياء وغضهم منهم، كما قالوا في سليمان ما قالوا، وفي داود ما قالوا)^(٢).

وقال القاضي عياض (لا تلتفت إلى ما سطره الإخباريون من أهل الكتاب، الذين بدلوا وغيروا، ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك في كتابه، ولا ورد في حديث صحيح) قال : (وليس في قصة داود وأوريا خبر ثابت)^(٣).

وقال الشيخ محمد أبو شهبه في كتابه (الإسرائيليات

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ٣٤).

(٢) الفتاوى (١٥ / ١٤٩).

(٣) الشفا (٢ / ١٥٨).

والموضوعات في كتب التفسير) : (والمحققون ذهبوا إلى ما ذهب إليه القاضي. قال الداودي : ليس في قصة داود وأوريا خبر يثبت، ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم)^(١).

وقال الدكتور البار بعد أن ذكر هذه القصة المكذوبة : (يالها من جريمة بشعة حقيرة تزعم التوراة (المحرفة) أن داود عليه السلام ارتكبها، وهو لاريب منها برئ)^(٢).

قلت : شتان بين هذه القصة التي تصف نبي الله داود عليه السلام بالقتل والمخادعة في سبيل امرأة، وبين قول الله تعالى عنه : ﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَنَيْتَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ [ص: ١٧-٢٠].

فقد وصفه تعالى بالقوة في العلم والعمل، وأبان ذلك عليه السلام بقوله عنه بأنه "كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ولا يفر إذا لاقى"^(٣). وقال عنه "أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه"^(٤).

فأين هذا الوصف العالي من وصف التوراة المحرفة التي استساغ الحمد أن يتأثر بها وينقلها تشويهاً لصورة نبي الله عليه السلام؟!

- أما قول الحمد بأن سليمان عليه السلام قد سخر الجن من أجل

(١) ص ٢٦٨.

(٢) الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة (ص ٣٦١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤١٩).

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٢٠).

المرأة، فهذا من كذبه الذي يعرفه صغار المسلمين الذي يقرأون القرآن.

فسلیمان ﷺ لم يسخر الجن لنفسه، وإنما الذي سخرها له الله - عز وجل - .

قال تعالى عن سليمان : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٣٥) فَسَحَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيْطَانَ كُلَّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ (٣٧) وَءَاخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ (٤٠) [ص: ٣٥-٤٠].

وأما قصته ﷺ مع (بلقيس) ملكة اليمن التي يُلمح إليها الحمد، فهي أن سليمان غضب منها ومن قومها عندما أرسلوا له المال والهدايا لعله يكف عنهم. فأمر من حوله من الجن والإنس بأن يحضروا له عرش بلقيس الذي لا يكاد يوجد مثله في عظمته، فقال : ﴿ قَالَ عِفْرِيَّتُ مَنِ الْجِنِّ أَنَا ءَأَيْنِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ (النمل: ٣٩) ولكن سليمان لم يقنع بهذا، فقال : ﴿ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ (النمل: ٤٠)، وهو كاتبه آصف بن برخيا كما يروى عن ابن عباس : ﴿ أَنَا ءَأَيْنِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ (النمل: ٤٠) أي : أن تنظر مد بصرك فلا تكل إلا والعرش عندك : ﴿ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ ﴾ (النمل: ٤٠) أي سليمان : ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرِيمٌ ﴾ (النمل: ٤٠).

أما سبب إحضار العرش فليس لأجل المرأة كما يزعم الحمد

- كذباً وافتراءً - ، وإنما لأجل أن يُظهر سليمان عظمة ملكه لها ، وأنه نبي من عند الله ، قد سخر له الإنس والجن فتستجيب لدعوته لها إلى دين التوحيد بعد أن كانت تسجد هي وقومها للشمس .

قال ابن كثير رحمته الله : (إن سليمان أراد بإحضار هذا السرير إظهار عظمة ما وهب الله له من الملك ، وما سخر له من الجنود الذي لم يعطه أحد قبله ولا يكون لأحد من بعده ، وليتخذ ذلك حجة على نبوته عند بلقيس وقومها ؛ لأن هذا فارق عظيم أن يأتي بعرشها كما هو من بلادها قبل أن يقدموا عليه)^(١) .

- أما قول الحمد بأن نبينا صلى الله عليه وسلم قد حُِبب إليه النساء ، فهذا صحيح ، وقد ورد في هذا قوله صلى الله عليه وسلم : " حُِبب إليّ من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني الصلاة " ^(٢) .

وليس معنى هذا ما قد يظنه الحمد أو غيره من الجهلة ، وهو أن هذه المحبة هي لأي امرأة ولو لم تحل له - والعياذ بالله - ، وإنما هذا خاص بزوجاته وما ملكت يمينه صلى الله عليه وسلم ، وليس في هذا أي نقص لمرتبته - عليه الصلاة والسلام - بل هو بيان لكمال رجولته .

قال ابن القيم رحمته الله : (أما محبة الزوجات فلا لوم فيها ، بل هي من كماله ، وقد امتن سبحانه على عباده فقال : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرُّوم: ٢١] . فجعل

(١) تفسير ابن كثير (٣/٣٧٦) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٢٣١٥) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٢٤) .

المرأة سكناً للرجل يسكن قلبه إليها، وجعل بينهما خالص الحب، وهو المودة المقرونة بالرحمة) قال : (ولا ريب أن النبي ﷺ قد حُبب إليه النساء، كما في الصحيح عن أنس عن النبي ﷺ : "حُبب إلي من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة") قال : (فمحبة النساء من كمال الإنسان، قال ابن عباس : خير هذه الأمة أكثرها نساء) قال : (فعشق النساء ثلاثة أقسام : قسم هو قربة وطاعة، وهو عشق امرأته وجاريتها، وهذا العشق عشق نافع، فإنه أدعى إلى المقاصد التي شرع الله لها النكاح، وأكف للبصر والقلب عن التطلع إلى غير أهله، ولهذا يُحمد هذا العاشق عند الله، وعند الناس)^(١).

- أما قول الحمد بأن مزامير داود ﷺ كلها عن المرأة، فهذا كذب منه، يريد به التهويل قال الدكتور محمد البار - حفظه الله - وهو ممن اعتنى بدراسة المزامير :

(تُنسب المزامير إلى مجموعة من أنبياء بني اسرائيل وأدبائهم وشعرائهم، وتشتمل على ١٥٠ مزموراً، منها ٧٣ منسوبة إلى داود ﷺ، والأخرى منسوبة إلى موسى وسليمان ﷺ وإلى آساف وبني قورع وراجح وهيمان وأتيان ويدوتون) قال : (رغم أنه لم تثبت نسبة أي من هذه المزامير الموجودة لداود أو غيره، إلا أنها أصبحت جزءاً من الفولكلور الشعبي اليهودي)^(٢).

وقال : (تُقسم المزامير إلى ثلاث مجموعات أساسية تدرج

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ٣٩٣-٣٩٥-٣٩٩).

(٢) الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم (ص ٣٨٥-٣٨٦).

تحتها مجموعات أصغر. وهذه المجموعات الثلاث هي :

١- مجموعة التسايح.

٢- مجموعة صلوات الاستغاثة.

٣- مجموعة التعليم^(١).

قلت : يتضح من هذا أن المزامير كلها عن دين اليهود وتساويحهم وصلواتهم ، وليست كما يزعم الحمد بأنها (كلها عن المرأة) !

والذي نعتقه - كمسلمين - هو ما جاء في القرآن الكريم أن الله قد أتى داود عليه السلام كتاباً مقدساً هو (الزبور) قال تعالى : ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

ونعتقد أن داود عليه السلام قد وهبه الله صوتاً جميلاً يترنم به عند تسيحه الله فتردد الجبال والطير معه.

قال تعالى : ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٨] ، وقال : ﴿يَنْجِبَالُ أَوْي مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾ [سبأ: ١٠] ، وأما قوله صلى الله عليه وسلم لأبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - : «يا أبا موسى ، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود»^(٢).

فقد قال الخطابي : (قوله (آل داود) يريد داود نفسه ، لأنه لم يُنقل أن أحداً من أولاد داود ولا من أقاربه كان أعطي من حسن

(١) المرجع السابق (ص ٣٨٨ - ٣٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٤٨).

الصوت ما أعطي^(١) وقال الحافظ ابن حجر : (المراد بالمزمار الصوت الحسن، وأصله الآلة، أطلق اسمه على الصوت للمشابهة)^(٢).

- أما قول الحمد (وسكر لوط في التوراة من أجل المرأة) !! فهذا من أقبح تشنيعاته على أنبياء الله، والتعريض بهم بخبث وسوء طوية، حيث لم يُعقب على هذا الكذب بما يبينه، وإنما ساقه به متأثراً بأحفاد القردة.

ثم أعاده في موضع آخر من روايته مبيناً قصده، حيث قال على لسان هشام - كما سيأتي - (وزنت بنات لوط مع أبيهم)!! وهذا الكذب الفاحش قد أخذه الحمد من التوراة (المحرّفة) حيث جاء فيها - كما في سفر التكوين، الإصحاح ١٩ : ٣٠ - ٣٨ - أن ابنتي لوط عليهما السلام قامتا بإسقائه خمراً حتى سكر، ثم اضطجعتا معه، فحبلتا منه !

وهذه الكذبة لا يُستغرب صدورها من قوم قد قال الله - تعالى - عنهم : ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧] فمن كذب بعض الرسل وقتل بعضهم الآخر لا يُستغرب عليه أن يفترى الكذب عليهم.

قال ابن حزم رحمته الله بعد أن ذكر هذه القصة المفتراة (هذه فضائح الأبد، وتوليد الزنادقة والمبالغين في الاستخفاف بالله

(١) فتح الباري (٨ / ٧١١).

(٢) المرجع السابق (٨ / ٧١٢).

تعالى وبرسله ﷺ (١)

وقال ابن القيم رحمه الله - :

(ومن قدهم) (٢) في الأنبياء : ما نسبوه إلى نص التوراة، أنه لما أهلك الله أمة لوط لفسادها، ونجى لوطاً بابنتيه فقط، ظن ابتناه أن الأرض قد خلت ممن يستبقين منه نسلاً. فقالت الصغرى للكبرى : إن أبانا شيخ، ولم يبق في الأرض إنسان يأتينا كسبيل البشر، فهلمي نسقي أبانا خمراً ونضاجعه، لنستبقي من أيينا نسلاً، ففعلتا - بزعمهم - فنسبوا لوطاً النبي ﷺ إلى أنه سكر حتى لم يعرف ابنتيه ثم وطئهما وأحبلهما وهو لا يعرفهما... (٣).

- أما قول الحمد بأن المسيح ﷺ أبطل حد اليهود من أجل مريم المجدلية، فلعله يشير إلى اتهام اليهود لمريم - رضي الله عنها - بالزنا من أجل حملها بعيسى ﷺ دون زوج، ومن ثم تكلم عيسى في المههد مبرئاً أمه من هذه التهمة الشنيعة التي وبخ الله اليهود لأجلها بقوله - تعالى - ﴿وَيَكْفُرُهُمْ وَعَقَلَهُمُ عَلَىٰ مَرْيَمَ بِمُتَنَبِّئَةٍ عَظِيمًا﴾ (١٥٦) [النساء: ١٥٦] فما دخل هذه الحادثة بما يتحدث عنه الحمد !؟

- أما قول الحمد (وخاف إبراهيم من فرعون مصر من أجل المرأة) فيشير إلى ما ما أخرجه البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ متحدثاً عن إبراهيم ﷺ : «بينما هو ذات يوم وسارة إذ أتى إلى جبار من الجبابرة، فقيل له : إن ها هنا رجلاً معه امرأة من أحسن

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٢٢٤).

(٢) أي اليهود عليهم لعنة الله.

(٣) إغاثة اللهفان (٢/ ٣٤٢ - ٣٤٣).

الناس، فأرسل إليه فسأله عنها فقال : من هذه؟ قال : أختي. فأتى سارة قال : ياسارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني عنك فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني. فأرسل إليها، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ : فقال : ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت الله فأطلق. ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد، فقال : ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت فأطلق. فدعا بعض حجبه فقال : إنكم لم تأتونني بإنسان، إنما أتيتموني بشيطان، فأخدمها هاجر. فأتته وهو قائم يصلي، فأوماً بيده : مهيم؟ قالت : رُد كيد الكافر - أو الفاجر - في نحره، وأخدم هاجر^(١)

قلت : وفي هذا الحديث بيان عصمة الله لإبراهيم وزوجه أن تمسهما يد ظالم، حيث كف سبحانه كيد هذا الملك عنهما.

- أما قول الحمد بأن المرأة كانت (وراء مباركة يعقوب بدلاً من عيسو) فيشير إلى ما جاء في الإسرائيليات التي دخلت علينا من أهل الكتاب، وقد ذكرها المؤرخون في قصة يعقوب عليه السلام.

قال ابن كثير رحمته الله في البداية والنهاية : (ذكر أهل الكتاب أن اسحق لما تزوج رفقا بنت بتواييل في حياة ابنه كان عمره أربعين سنة وأنها كانت عاقراً فدعا الله لها فحملت فولدت غلامين توأمين أولهما سموه عيصو وهو الذي تسميه العرب العيص وهو والد الروم، والثاني خرج وهو آخذ بعقب أخيه فسموه يعقوب وهو إسرائيل الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥٨).

قالوا : وكان إسحق يحب العيصو أكثر من يعقوب لأنه بكره وكانت أمهما رفقا تحب يعقوب أكثر لأنه الأصغر.

فلما كبر إسحق وضعف بصره اشتهى على ابنه العيص طعاماً وأمره أن يذهب فيصطاد له صيداً ويطحنه له ليبارك عليه ويدعو له، وكان العيص صاحب صيد، فذهب يبتغي ذلك، فأمرت رفقا ابنها يعقوب أن يذبح جديين من خيار غنمه ويصنع منهما طعاماً كما اشتهاه أبوه ويأتي إليه به قبل أخيه ليدعو له، فقامت فألبسته ثياب أخيه وجعلت على ذراعيه وعنقه من جلد الجديين لأن العيص كان أشعر الجلد ويعقوب ليس كذلك، فلما جاء به وقربه قال : من أنت ؟ قال : ولدك. فضمه إلى وجهه وجعل يقول : أما الصوت فصوت يعقوب وأما الجس والثياب فالعيص، فلما أكل وفرغ دعا له أن يكون أكبر إخوته قدراً، وكلمته عليهم وعلى الشعوب بعده، وأن يكثر رزقه وولده.

فلما خرج من عنده جاء أخوه العيص بما أمره به والده فقربه إليه فقال له : ما هذا يا بني ؟ قال : هذا الطعام الذي اشتهيته، فقال : أما جئتني به قبل الساعة وأكلتُ منه ودعوتُ لك ؟ فقال : لا والله. وعرف أن أخاه قد سبقه إلى ذلك^(١).

قلت : فهذه من أحاديث أهل الكتاب، لا تُصدق ولا تُكذب، وإن صحت ففيها بيان محبة الأم لابنها وحرصها على أن يكون محظياً عند والده، ولا حرج في هذا.

(١) البداية والنهاية (١/١٩٤).

تنقصات أخرى :

وقال الحمد في موضع آخر من روايته : (رحمك يارب الكون
... لماذا

خلقت حام طالما أن سام هو الحبيب ؟ ولماذا فضلت سام
وصببت اللعنة على حام ؟ ما ذنبه إذا سكر نوح، وزنت بنات لوط
مع أبيهم، في كتاب يقولون إنه كلماتك وإرادتك؟^(١).

قلت : في قول الحمد مخاطباً ربه (لماذا خلقت حام ؟) سوء
أدب، ووقاحة، وعدم تعظيم له سبحانه، حيث وجه إليه سؤاله
تعنتاً واعتراضاً، وقد قال تعالى : ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ
يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وهو يشير بقوله : (لماذا فضلت سام وصببت اللعنة على
حام ؟ ما ذنبه إذا سكر نوح ؟) إلى ما ورد في التوراة (المحرقة)^(٢)
التي هي عمدة الحمد في قده بأنبياء الله ! من أن نوحاً ﷺ
شرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه، فأبصره ابنه حام (أبو
كنعان)، وأخبر أخويه (سام ويافث)، فأخذ (سام ويافث) الرداء
وسترا عورة أبيهما دون أن ينظرا إليها، فلما أفاق نوح وعلم بذلك
لعن حاماً وابنه كنعان، ودعا أن يكون عبداً لأخويه، ودعا لسام
بالبركة من الله.

وهذه إحدى كذبات اليهود وتشويههم لصورة الأنبياء في كتبهم

(١) الكرايب (ص ١٣٧).

(٢) (سفر التكوين - الإصحاح ٩ : ٢٠ - ٢٧)، وانظر (الفصل ...) لابن حزم (١ / ٢١١).

المحرفة، التي نقل منها الحمد دون تورع أو خجل، ولكن بمكرٍ وخبث، ومحاولة منه لإسقاط المثل والرموز - كما سبق - بأسلوب حقير يناسب طبعه وعقليته التي لا تقيم وزناً لأي شيء مقدس - كما يحاول أن يدّعي !

قال الدكتور سعود الخلف - حفظه الله - بعد إيراده هذه القصة المكذوبة على نوح عليه السلام : (وهذا محض كذب وافتراء، فإن الله عز وجل قد وصف عبده نوحاً في كتابه المهيمن بقوله : ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣] ^(١) .

- وأما قوله القبيح (وزنت بنات لوطٍ مع أبيهم) فقد بينتُ كذبه - فيما سبق -، وأنه مُتلقًى عن أبناء القردة، من الذين جعلهم الحمد قدوته، واتبع آثارهم في تعريضه بأنبياء الله عليهم السلام دون خوف من الله - عز وجل - الذي قال عن أنبيائه عليهم السلام : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ فَأَتَدَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٠].

- وقال الحمد على لسان هشام في السجن (يحس أنه هنا منذ أن حشر الإله الروح في جسد آدم. إنه يحس في داخله أنه كان معاصراً لقابيل وهو يقتل أخاه، ولنوح وهو يصارع أمواج الطوفان، وليونس وهو يصيح في بطن الحوت، ولأيوب والدود ينخره، وليوسف في الجب، والمسيح وهو يصيح مصلوباً، والنبى الأمي وهو يشكو) ^(٢) .

(١) دراسات في الأديان: اليهودية والنصرانية (ص ٩٤).

(٢) الكرايب (ص ٢١٣).

قلت : أما قوله (حشر الإله الروح في جسد آدم) فهو من سوء أدبه مع ربه، واعتراض خفي على خلق آدم ﷺ وكان الأولى به أن يقول : (نفخ الإله الروح في آدم) كما أخبر القرآن : ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِقُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَفَعُوا لَهُ سَجْدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [ص: ٧١-٧٢].

❁ الحمد يعتقد صلب المسيح ﷺ !!

وكل هذا يهون أمام الطامة العظمى التي فاه بها الحمد، وهي قوله : (والمسيح وهو يصيح مصلوباً) !!! فهو يخالف بقوله هذا نصوص الشريعة وإجماع المسلمين من أن المسيح ﷺ لم يُصلب، بل رفعه الله إليه وألقى شبهه على غيره ممن صلب، قال تعالى : ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧].

والذي دعا الحمد إلى هذه الزلة العظيمة هو - كما سبق - متابعتة لليهود والنصارى الذين يزعمون أن المسيح ﷺ قد صُلب، وقد رد الله عليهم قولهم هذا في القرآن الذي يفترض أن يكون الحمد قد قرأه وآمن به! قال تعالى عن اليهود : ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]. وهذه العقيدة وهي عدم صلب المسيح - لا يخالف فيها أي مسلم، عامياً كان أو عالماً، وإنما خلاف بعضهم في أنه هل رُفِعَ ﷺ بجسده كما عليه الجمهور، وهو الصحيح ؛ لأنه موافق لقوله تعالى : ﴿بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨].

أو أنه تعالى توفاه بالنوم ثم قبض روحه كما يقبض أرواح البشر، كما يختاره بعض العقلانيين من أمثال محمد عبده

ومدرسته^(١).

أما أنه ﷺ قد صلب فهذا لم يفه به سوى المغضوب عليهم والضالين (وأذناهم!) لأنه مصادم لما علم بالضرورة من دين الإسلام، وهو تكذيب الله - عز وجل -

فهل يعي الحمد خطورة قوله هذا؟! أو يتمادى في تجاوزه لكل ما هو قطعي تحت دعاوى (الحرية!) عندها نقول له: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].

تنقص آخر لأنبياء الله:

قال الحمد على لسان هشام:

(نحن نحاول أن نفهم سر ما يجري، ولكننا ننتهي إلى صخرة سيزيف، ويبقى السر طلسمًا قاتلاً من طلاس سليمان الحكيم، وتعويدات وزيره آصف بن برخيا العابثة...)^(٢).

قلت: أما صخرة سيزيف فهي أسطورة يونانية لا شأن لنا به ولا بصخرته التي يحاول الصعود بها^(٣).

- وأما قوله: (ويبقى السر طلسمًا قاتلاً من طلاس سليمان

(١) انظر: تفسير المنار (٦/ ١٨).

(٢) الكرايب (ص ٢١٤).

(٣) تقول الأسطورة اليونانية: إن سيزيف ابن أحد الملوك، عاقبه كبير الآلهة زيوس - تعالى الله عما يقولون - بسبب عصيانه، بأن يحمل صخرة من أسفل الجبل إلى أعلاه، فإذا وصل القمة تدرجت إلى الوادي، فيعود إلى رفعها إلى القمة، ويظل هكذا حتى الأبد، فأصبح رمز العذاب الأبدي.

(الحكيم) ! فهو افتراء منه تابع فيه اليهود الذين اتخذهم قائده ودليله في روايته، فالقول ما قالوا، والرأي ما رأوا، والرواية مارووا، وإن كان فيها تنقص أو شتيمة لأنبياء الله ورسله، فكل هذا لا يهم تركي الحمد - للأسف - .

ومن ذلك متابعته لهم في اتهام سليمان عليه السلام بأنه ساحر ! وقد رد الله هذا الكفر بقوله تعالى مدافعاً عن نبيه سليمان : ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ١٠٢].

قال ابن كثير رحمته الله : (إن سحرة اليهود - فيما ذكر - كانت تزعم أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود، فأكذبهم الله بذلك واخبر نبيه محمداً عليه السلام أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر، وبرأ سليمان عليه السلام مما نحلوه من السحر، وأخبرهم أن السحر من عمل الشياطين)^(١).

- وأما قوله : (وتعويذات وزيره آصف بن برخيا العابثة) ! لا أدري ما الداعي لكلمة (العبثة) ! أم أن الحمد أصبح لا يرى في كل شيء إلا العبث ؟

والذي ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠] هو أنه آصف بن برخيا، وكان يعلم اسم الله الأعظم، فدعا الله، فاستجاب دعاءه وليس ذلك تعويذات عابثة كما يزعم تركي الحمد.

(١) تفسير ابن كثير (١ / ١٤١).

❁ سخرية الحمد بشعائر الإسلام :

أما سخريته بشعائر الدين ، وتهوينه من أمرها : فمن ذلك أنه أخبر عن هشام بأنه (صلى الفجر مع خاله دون اغتسال)^(١)!!

وقوله مهوناً أمر الصلاة : (حتى والده لم يكن يؤدي الفروض في المسجد أكثر الأحيان، كأكثر أهل الدمام، بل كان يؤديها في المنزل غالباً، وذلك على عكس أهل الرياض والقصيم ..)^(٢).

وقوله : (وبقي هشام وحيداً لا يدري ما يفعل ، هل يلحق خاله إلى المسجد، أم يواصل النوم مثل أبناء خاله .. وأخيراً عزم على مواصلة النوم، فلا ريب أن الأبناء أدرى بحال الدار، واستلقى على فراشه، وأخذ النسيم البارد ورطوبة السحر يداعبان أجفانه. وعندما كان المؤذن ينادي : " الصلاة خير من النوم ... الصلاة خير من النوم " ، كان قد أغفى تماماً)^(٣).

قوله : (إنه لا يحب القصيم كثيراً. ففي الدمام أصحابه والأجواء التي اعتاد عليها والبحر، وفي القصيم لا أصدقاء ولا بحر، وفوق كل ذلك صلاة الفجر التي لا بد أن يؤديها جماعة في المسجد مع جده. عندما يلذ للعين الرقاد)^(٤).

(١) الشميسي (ص ٤٤).

(٢) الشميسي (ص ١٣٦).

(٣) العدامة (ص ٩٣).

(٤) العدامة (ص ٢٥٢).

❁ سخريته بأحاديث النبي ﷺ :

وأما سخريته بأحاديث النبي ﷺ، فمن ذلك قوله على لسان وليد مخاطباً هشاماً :

(أنت تتحدث عن الموت وكأنه كائن مجسد، وليس حادثه أو حالاً.)

وضحك هشام باقتضاب وهو يقول :

- وما أدراك أنه ليس كائناً؟ .. ألا يقولون إن الملاك عزرائيل هو قابض الأرواح؟ أو ليس ذاك الهيكل العظمي الأسود هو الموت بعينه؟ ألا يقولون إنه بعد انتهاء الحساب يوم القيامة يؤتى بالموت على شكل خروف فيذبح على الحدود بين الجنة والنار؟

ثم وهو يضحك :

- لقد ذكرتني بنزار وقصائده المتوحشة.

ثم وهو يعتدل في جلسته :

- ولكن أتدري ما يحيرني يا وليد . . . هل يمكن للموت أن يموت؟ كيف يموت من هو ميت أصلاً؟ وإذا كان الموت يمتتنا، فمن يمت الموت؟ . . . الله؟ .. هو الحياة ذاتها، فكيف يمكن للحياة أن تميت؟ .. حقاً يا لها من حيرة^(١).

قلت : أما تسميته ملك الموت بعزرائيل فهو من جهله، لأنه

(١) الكرايب (ص ١٩٢).

لم تصح هذه التسمية في أي من الأحاديث الصحيحة^(١)، و الله - عز وجل - سماه في القرآن ملك الموت ولم يذكر له اسماً غيره.
قال تعالى : ﴿قُلْ يَنفِقَكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السَّجْدَة: ١١].

وأما قوله : (ألا يقولون إنه بعد انتهاء الحساب يؤتى بالموت على شكل خروف... الخ) فهو من سخريته بأحاديث النبي ﷺ، حيث يعلم أنهم لا يقولون، وإنما القائل هو محمد ﷺ^(٢)، الذي قال في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري^(٣) ومسلم^(٤) : " يجاء بالموت كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار فيقال : يا أهل الجنة! هل تعرفون هذا؟ فيشربون وينظرون ويقولون : نعم، هذا الموت. ثم يقال : يا أهل النار! هل تعرفون هذا؟ فيشربون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت. قال : فيؤمر به فيذبح، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت" ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩].

(١) قال الشيخ الألباني في " أحكام الجنائز - ص ١٥٦ : " أما تسميته - أي ملك الموت - بعزرائيل فمما لا أصل له، خلافاً لما هو المشهور عند الناس، ولعله من الإسرائيليات! "، وقال الشيخ بكر أبو زيد في " معجم المناهي اللفظية - ص ٢٣٨ : " لا يصح في تسمية ملك الموت بعزرائيل حديث ".
(٢) ومن جهله بحديث النبي ﷺ أنه يعزو إليه حديثاً لا أصل له وهو قوله : " السلام سنة ورده واجب " ! وهذا من أقوال (بعض) الفقهاء، وليس هو من حديث النبي ﷺ كما يتوهم الحمد!

(٣) برقم (٤٤٥٣).

(٤) برقم (٢٨٤٩).

أما تحيره : كيف يموت الموت ؟ فقد أجاب عنه العلامة ابن القيم رحمته الله بقوله تعليقاً على الحديث السابق : (وهذا الكبش والإضجاع والذبح ومعينة الفريقين ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل، كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحاً وقال : الموت عرض والعرض لا يتجسم، فضلاً عن أن يُذبح.

وهذا لا يصح، فإن الله سبحانه ينشئ من الموت صورة كبش يذبح، كما ينشئ من الأعمال صوراً معيّنة يثاب بها ويعاقب، والله ينشئ من الأعراض أعراضاً ومن الأجسام أجساماً، فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرب تعالى، ولا يستلزم جمعاً بين النقيضين ولا شيئاً من المحال، ولا حاجة إلى تكلف من قال : إن الذبح لملك الموت! فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله والتأويل الباطل الذي لا يوجهه عقل ولا نقل، وسببه قلة الفهم لمراد الرسول صلى الله عليه وسلم من كلامه، فظن هذا القائل أن لفظ الحديث يدل على أن نفس العرض يذبح، وظن غالط آخر أن العرض يُعدم ويزول ويصير مكانه جسم يذبح، ولم يهتد الفريقان إلى هذا القول الذي ذكرناه، وأن الله سبحانه ينشئ من الأعراض أجساماً ويجعلها مادة لها، كما في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم " تجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان " الحديث^(١)، فهذه هي القراءة التي ينشئها الله سبحانه غمامتين^(٢).

(١) أخرجه مسلم (٨٠٤).

(٢) حادي الأرواح (ص ٣٤٤ - ٣٤٥).

❁ بغض الحمد عبادة الله الصالحين :

كما أن الحمد أبغض ربه - عز وجل - وملائكته، وأنبياءه وكتبه، وشرائعه، فإنه حتماً سيبغض عباده الصالحين، وسيبغض ما يصدر عنهم من أقوال أو كتابات.

وإليك ما يشهد لهذا :

يقول الحمد متحدثاً عن هشام :

(أخذ يقلب الكتاب الذي أعطاه إياه عدنان، " المنقذ من الضلال " للغزالي، كان لا يحب هذا النوع من الكتب)^(١).

وهذا النوع من الكتب يعني به الكتب الإسلامية التي تقربه من الخير، وتباعده من الشر، فهو لا يطيقها، ولا يحبها، بل يهرع إلى كتب أحبابه من الفلاسفة والماركسيين الذين يجد عندهم ما يروي ظمأه، ويوافق طبعه المريض، فالطيور على أشكالها تقع.

ويقول الحمد على لسان مهنا :

(أرجو أن لا تتحدث عن البعثيين أو القوميين العرب أو حتى الدراويش من الإخوان المسلمين . . . كل هؤلاء سذج

(١) الشميسي (ص٦٦).

وليُعلم أن كتب أبي حامد الغزالي عليها مؤخذات كثيرة من إسراف في علم الكلام، وترغيب في التصوف، واستشهاد بالضعيف. وقد بين هذا العلماء المحققون، (انظر: " أبو حامد الغزالي "؛ لعبد الرحمن دمشقية، و " العقيدة السلفية في مسيرتها التاريخية "؛ للشيخ محمد المغراوي)، والحمد لا يفرق في بغضه للكتب الإسلامية بين الغث والسمين، فهو يعمم حكمه ذلك دون أي تفریق كما قد يفهم (البعض).

ومزيفون^(١).

ويقول على لسان والد هشام متحدثاً مع ابنه :

(ولكن ما لقيت إلا البعثيين كي تصبح منهم ... أقطع ناس
... ولا أخطر منهم إلا الشيوعيين والإخوان)^(٢) !!

ويقول عن (الإخواني) لقمان :

(يا لك من منافق يا لقمان ... تخدم ألف إله وإله، ثم تقول
لا إله إلا الله ... قاتل الله الحياة، فهي النفاق بعينه قاتل الله
الحياة فهي التي تجعلنا عبيداً دون أن نريد، وأسياداً ونحن نريد
ولا نريد. قاتل الله حياة تذلنا فيها لقمة، وتأسرنا كلمة، وتستعبدنا
شهوة، ويموت فيها الطيبون .. ثم نقول لا إله إلا الله)^(٣).

قلت : جماعة الإخوان إحدى الجماعات الإسلامية الشهيرة
التي يعرفها معظم الناس، نشأت في مصر ثم امتدت إلى معظم
بلاد العالم. وهي جماعة عليها مؤاخذات كثيرة من عدم اهتمام
بنشر العقيدة السلفية، أو تعليم للعلم الشرعي النافع، وإنما همها
(التجميع) والوصول إلى الحكم بأي طريقة^(٤).

ومع هذا فلا نؤيد (الماركسي) (البعثي) تركي الحمد في طعنه

(١) العدامة (ص ٢٨٣).

(٢) الشميسي (ص ٣٨٥ - ٣٨٦).

(٣) الكرايب (ص ١٨٤).

(٤) انظر للزيادة: "دعوة الإخوان المسلمين في ميزان الإسلام" ؛ لفريد الشيب،
و"وقفات مع كتاب للدعاة فقط" ؛ لمحمد العجمي و"حوار هادئ مع
إخواني" ؛ لأحمد الشحي.

بها، فستان بين جماعة إسلامية (مقصرة) وبين جماعات ومذاهب (كافرة) عدوة للإسلام والمسلمين.

هذا عن نقده واستهزائه بجماعة الإخوان المسلمين، أما غيرهم من عباد الله (المستقيمين) فقد نالهم ما نال أولئك من سخرية لاذعة بأسلوب مبطن. يقول الحمد عن (عدنان العلي) صديق هشام : (لم يكن عدنان يأتي إلى المقصف وحده، فغالباً ما كان يرافقه زميلان من ذوي اللحى المتروكة وشأنها دون تهذيب، وبعض الأحيان يزدادون إلى خمسة، يشربون الشاي ويتحدثون بهمس لا يكاد يسمع، وكان أكثر ما أثار استغراب هشام هو أنهم لا يبتسمون أبداً، وإذا حدث ذلك من أحدهم، غطى فمه بطرف غترته وكأنه يعتذر، ثم يعود إلى تلك الملامح التي لا توحى بشيء)^(١).

قلت : تأمل هذه السخرية المتكلفة التي أراد الحمد إيصالها إلى ذهن قارئه، بأن كل من التزم بدين الله، فهو لا شك سيكون متجهماً لا يبتسم، وإذا ابتسم فإنه سيعتذر من ابتسامته !! ونسي أن هؤلاء المستقيمين هم أول من يعمل بحديث النبي ﷺ، " تبسمك في وجه أخيك لك صدقه " ^(٢) ولا يجدون غضاضة في هذا التبسم لأنه سنة نبيهم محمد ﷺ، فلماذا تعمد الحمد قلب الحقائق، لأجل أنهم لم يبتسموا في وجه (ماركسي) (بعثي)؟! أم أنه الحقد الذي يحمله في صدره على كل (مستقيم) فأراد تفرغ

(١) الشمسي (ص ٧٣).

(٢) أخرجه الترمذي (١/ ٣٥٤) وصححه الألباني في الصحيحة (٥٧٢).

بعضه في روايته هذه عبر هذا الأسلوب المبطن؟ ثم تأمل - أخي القارئ - سخريته بسنة نبيه محمد ﷺ (اللحية) بهذا الأسلوب الحقيقير(اللحي المتروكة وشأنها دون تهذيب)!! وهو تهويل منه ومبالغة، لأن الجميع لا يكاد يجد مثل هذا الصنف المتخيل، فلماذا تقليل الكثير وتكثير القليل يا تركي؟! ولم يكتف الحمد بهذه السخرية السابقة باللحية لأنها لم تشف غيظه من أهل الإسلام، فرددها مرة أخرى عندما قال متحدثاً عن هشام :

(ثم فتح الباب عن وجه أحد زملاء عدنان بلحيته الكثة، ورأسه الحليقة تماماً)^(١).

فزاد على سخريته باللحية اتهام الصالحين بأنهم يرون السنة حلق الرأس، ولهذا هم يحلقون رؤسهم اتباعاً لها، وهذا كذب عليهم، وهو اتهام قديم قال به أعداء دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ عندما اتهموه وأتباع دعوته بأنهم يحلقون رؤوسهم، ويأمرون من اتبعهم بحلق رأسه!، ليتوصلوا إلى أنهم من الخوارج الذين قال فيهم النبي ﷺ : "سيماهم التحليق"^(٢)! ثم جاء الحمد مردداً هذه التهمة الباطلة متابعه منه لأعداء الدعوة التي شقق بها العلمانيون والملحدون.

وهذا الاتهام باطل، لأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعلماء الدعوة وأتباعها يتبعون في هذه المسألة أحاديث النبي ﷺ التي تجعل أمر الشعر من أمور العادات التي يتبع فيها المرء عادة بلده

(١) الشميسي (ص ١٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٧١٢٣).

في إبقاء الشعر أو حلقه. وإنما ينهى عن القزع، وهو حلق بعض الشعر وترك بعضه ؛ لنهي النبي ﷺ عن ذلك.

قال الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمتهما الله راداً على من ادعى بأن علماء الدعوة يكفرون من لم يحلق شعر رأسه !! : "إن هذا كذب وافتراء علينا، ولا يفعل هذا من يؤمن بالله واليوم الآخر، فإن الكفر والردة لا تكون إلا بإنكار ما علم بالضرورة من دين الإسلام، وأنواع الكفر والردة من الأقوال والأفعال معلومة عند أهل العلم، وليس عدم الحلق منها، بل ولم نقل إن الحلق مسنون، فضلاً عن أن يكون واجباً، فضلاً عن أن يكون تركه ردة عن الإسلام ! والذي وردت السنة بالنهي عنه هو القزع، وهو : حلق بعض الرأس وترك بعضه، وهذا الذي نهينا عنه، ونؤدب فاعله " (١).



مباحث أخرى

❁ تنقص الحمد قبيلة النبي ﷺ :

لم تسلم قبيلة قريش - وهي أفضل القبائل - من لمز الحمد في روايته حيث قال على لسان عارف : (طز في قريش يا صاحبي ... ولماذا يجعل نزار قريشاً مثلاً أعلى؟ .. لأنها قبيلة النبي؟ ... والنعم بأبي القاسم ولكن قريشاً لا .. لقد جعلوا كل تاريخنا تاريخاً لقريش. ألم يكن هناك غير قريش في الساحة؟)^(١).

قلت : قبيلة قريش التي يطعن فيها تركي الحمد هي قبيلة محمد ﷺ ، وهي القبيلة التي كان منها أفضل الخلق بعد الأنبياء ﷺ وهم صحابة رسول الله ﷺ ، من أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسعد وطلحة وعبد الرحمن والزبير ... وغيرهم - رضوان الله عليهم - وهي القبيلة التي قال فيها ﷺ : " إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم " ^(٢).

وأما ادعاؤه بأنهم جعلوا تاريخنا تاريخاً لقريش ، فكأنه يُعرض بتوليهم أمر الأمة منذ الخلفاء الراشدين مروراً بالدولة الأموية وانتهاء بالعباسيين ، وهذا ليس مغمراً فيهم ، وإنما فخر لهم أن

(١) الكرايب (ص ١٢٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٧٦).

قادوا الأمة، ونشروا الإسلام - على تفاوت بينهم في ذلك - متبعين قول الرسول ﷺ : " إن هذا الأمر في قريش، لا يعاديهم أحدٌ إلا كبه الله على وجهه، ما أقاموا الدين" (١).

قال الإمام أبو عمرو الداني حاكياً أقوال أهل السنة :

(ومن قولهم إن الإمامة في قريش مقصورة عليهم دون غيرهم من سائر العرب والعجم، لقوله ﷺ : " الأئمة من قريش، ولا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي في الناس اثنان " ولإجماع المسلمين بعده ﷺ على أن ولوا قريشاً) (٢).

أي ما أقاموا الدين كما في الحديث الذي قبله.

❁ **حقد الحمد على حكومة المملكة العربية السعودية :**

لم يعد خافياً على أحد أن التيارات الماركسية والشيوعية ومن سار في ركابها، جميعها حاقدة على الدولة السعودية المسلمة، حيث كانوا يعدونها - في زمن الشعارات الجوفاء - أمّ الدول المتخلفة الرجعية ! لأنها لا زالت تحكم بالإسلام. فكانوا يُسَخِّرون كل طاقاتهم في سبيل محاربتها أو تغيير حكومتها إن استطاعوا. ولذا فقد سَخَّروا إعلامهم للنيل منها، والسخرية بها وبحكامها، وسخروا كوادهم لمحاولة تجنيد عملاء لهم فيها (كهشام العابر !) لعلهم يقومون بانقلاب فيها ويسقطون حكومتها، كما فعلوا في بعض الدول العربية.

(١) أخرجه البخاري (٣٥٠٠).

(٢) الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة.. (ص ١٣٤).

كل هذا فعلوه ؛ لكن الله - عز وجل - رد كيدهم في نحرمهم ، وأرجعهم خائبين خاسرين بفضلته تعالى ثم بفضل جهود الملك فيصل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وإخوانه الذين حاربوا (شراذم) الشيوعيين والبعثيين والقوميين ، وشردوهم ، ومزقوهم شرّ ممزق ، واستماتوا في سبيل حماية دينهم وبلادهم من عبث العابثين وإن غلفوا ذلك بدعوى (التقدم) و (والتحضر).

ثم دار الزمان دورته ، فإذا هذه الدولة (الرجعية) - أعني السعودية - تصبح أعز دولة في عالمنا ديناً ودنياً ، حيث جمعت بين الدين الصحيح وهو (الدعوة السلفية) وبين التطور الدنيوي (المتواصل)^(١).

أما تلك الدول (التقدمية) ! فإنها حين أفاقت من سكرة الشعارات ، وجدت نفسها بلادين (صحيح) ولا دنيا (متقدمة) ، فدينها التقليد والخرافة^(٢) ، ودنياها البؤس ، والشقاء. كما هو مشاهد لكل أحد. فبدأ الذين أساءوا للسعودية يعيدون النظر في حساباتهم ويتراجعون عن مواقفهم الخاطئة معها بعد أن انقشعت غشاوة الغوغاء والشعارات عنهم.

ولم يبق منهم على طريقته الأولى سوى (حزب البعث) الذي لا زال يعيش أسيراً لتلك الفترة السابقة ، ولا زال يحاول النيل بما

(١) ونسأل الله أن يستمر هذا الجمع بين (الدين والدنيا) وهو سهل على من اتقى الله. وأن نتخلص مما يخالف شرع الله - ولو كان قليلاً - ليستمر تألقنا.

(٢) إلا بقية من المخلصين في تلك البلاد الذين ساروا على طريقة السلف الصالح في دينهم ، وهم الآن في ازدياد - بحمد الله - .

استطاع من الدولة السعودية : ﴿حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

كل هذا أقوله مقدمة لما جاء في ثلاثية الحمد من نيل من الدولة السعودية وأمرائها، حيث صاغ كيده بأسلوب غير مباشر؛ لأنه يعلم أنه لا يستطيع (المواجهة!).

يقول الحمد متحدثاً عن أحد اجتماعات (حزب البعث) في السعودية !

(ثم فجأة قال منصور بهدوء ودون أن ينظر إليه :

- ما رأيك في الحكومة يا هشام... ؟

سؤال مباغت لم يكن يتوقعه، مثل قنبلة ألقيت فجأة. لم يحر جواباً، أحسّ بالاضطراب، ولاذ بالصمت. غير أن منصور عاود إلقاء قنابله، موجهاً عينيه الثابنتين إلى عين هشام مباشرة وهو يقول :

- لا داعي للإجابة ... أنا أجيب عنك ... إنها حكومة فاسدة لا هم لها إلا مصلحتها، ونهب خيرات الشعب الذي لا حقوق له ... إن الشعب مجرد عبيد أو رعايا على أفضل الأحوال ليس إلا... (١).

قلت : لا يستطيع الحمد أن يطعن في (الحكومة السعودية) صراحة، ولذا فقد صاغ طعنه - بهدف إيصاله إلى القراء - على لسان منصور (البعثي).

فحكومتنا عند الحمد (حكومة فاسدة لا هم لها إلا مصلحتها، ونهب خيرات الشعب الذي لا حقوق له.. إن الشعب مجرد عبيد أو رعايا على أفضل الأحوال)!

ولهذا فالمطلوب هو إسقاطها واستلام (حزب البعث) للسلطة بدلاً منها، حيث سيقوم هذا الحزب (العادل!) بإقامة حكومة (ديمقراطية!) تساوي بين الناس دون نظرٍ إلى (أديانهم!)، وتوزيع الثروة بينهم بالتساوي!!

وسوريا والعراق (البعثتان) خير شاهد على هذا!!

وقال الحمد في روايته على لسان (الرفيق حديجان!)

(يا رفيق فهد... لقد تحدثنا عن الأمة كثيراً، ولكن ماذا بشأن قطرنا هذا، كيف السبيل إلى تحرره؟)^(١)

فالهدف هو تحرير (السعودية) وإسقاط راية التوحيد، ورفع راية (البعث) بدلاً منها! ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ [البقرة: ١١١].

🌸 **محبة الحمد للرافضة ودفاعه عن عقائدهم الفاسدة:**

من أغرب الأمور في ثلاثية الحمد أنه يدعي أن الشيعة (الرافضة) كانوا على الحق! ويوافقهم في زعمهم أن أبا بكر وعمر عثمان رضي الله عنهم قد غضبوا الخلافة من على رضي الله عنه!! رغم أنه - كما يقول - لا يهتم بهذه المسألة التاريخية.

يقول الحمد: (قال منصور وهو يضحك بعصبية، ثم أضاف:

(١) العدامة (ص ١٢٠).

على فكرة ! ما رأيك في مسألة السنة والشيعه ؟

وبدون تردد أجاب : الحقيقة لا تهمني المسألة كثيراً، ولا حتى قليلاً، أنا أعتقد أنها شيء من مخلفات الماضي. مالنا ولعلي وعثمان ومعاوية. نحن أبناء اليوم، ولدينا من الهموم ما يكفي^(١).

ويقول في موضع آخر : (نظر إلى راشد قائلاً :

- على فكرة يا أستاذ راشد . . . هل أنت شيعي ؟

وانفض راشد، وكأن ماساً كهربائياً أصابه، قائلاً بحدة :

- كلا. كلا، لماذا ؟

- لا شيء. لا شيء. أرجو المعذرة . . .

وندم على طرحه مثل هذا السؤال، وحاول الاعتذار مرة أخرى قائلاً :

- أرجو ألا تفهمني خطأ. لا فرق عندي بين هذا المذهب أو ذلك. بل إنني لا أهتم بكل المذاهب الدينية^(٢).

ويقول على لسان (الشيوعي) عارف :

(كان الشيعة مع الحق. كانوا مع علي بن أبي طالب، في مواجهة عمر وأبي بكر وأبي عبيدة، أصحاب المؤامرة لنزع الحق من أهله. عليك بمناقشات السقيفة وأنت تعلم أين الحق

- معك حق.

(١) العدامة (ص ٣٧ - ٣٨).

(٢) العدامة (ص ٥١).

قال هشام :

- معك حق من الناحية التاريخية^(١) !!

فالحمد لا يهتم بمسألة الخلاف بين السنة والشيعه، وإن تحدث فيها فإنه سيؤيد (الرافضة) !

فما أجمل أن نقول له : (الصمت حكمة) !!^(٢).

وأنا لم أطل في دحض هذه المقولة من الحمد، لأنه يكفي ذكرها للناس لبيان بطلانها، وبيان ما يكفه الحمد نحونا (أهل السنة) من شنآن.

❁ المواقف الجنسية في ثلاثية تركي الحمد :

من الأمور التي تلفت الأنظار في ثلاثية تركي الحمد هو طغيان المواقف (الجنسية) فيها، فهي تزكم أنف القارئ بتكرارها وتتاليها، بل وتكلفها الواضح من قبل الحمد، ولهذا فقد أخذت حيزاً كبيراً من الثلاثية ! فمن ذلك :

١- إبراز موقف (عبد الرحمن) ابن خال (هشام) وكأنه لا هم له في الدنيا إلا شرب الخمر والزنا بالمومسات أو (القحاب !) وعلى رأسهن المومس (رقية). حيث تكررت أحاديث عبد الرحمن مع هشام حول مغامراته معهن هادفاً استدراجه إلى

(١) الكرايب (ص ١٢٥ - ١٢٦).

(٢) الكتب التي تحدثت عن بطلان مذهب (الرافضة) كثيرة جداً. من أبرزها كتاب " منهاج السنة "؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية، الذي فند شبهاتهم (العقدية) و (التاريخية) المزعومة، التي يرددها المعاصرون منهم وممن وافقهم!

- الوقوع في شباكهن كما وقع هو، وهذا ما حدث.
- ٢- قيام (عبد المحسن التغيري) رفيق هشام في العزبة بالزنا بإحدى جاراته، واكتشاف هشام لهذا الحدث بعد مراقبته للعزبة، حيث رأى إحدى النساء تخرج من عند عبد المحسن، وتدخل (أحد المنازل المقابلة)^(١).
- ٣- تصوير هشام في الرياض بعد وقوعه في المحرمات وكأنه (زير) نساء، فهو قد زنا برقية، ثم أتبعها بإحدى جارات خاله وهي سارة أو سوّير ! ثم مثلثاً ببنت جيرانهم في الدمام : نورة !! وهذه المواقف مع تفاصيلها الدقيقة ! قد استهلكت صفحات كثيرة من رواية (الشميسي).
- ٤- تصوير علاقة هشام ببنت خاله (موضي) بأنها علاقة إعجاب من جانبها ثم نفاجاً بأن موضي المتحجبة، العاقلة، الرصينة. . . الخ الصفات المثالية تقوم بحركة (غريبة) مع ابن عمته بعد أن علمت بعلاقته مع سوّير، وبعد أن قرر الذهاب إلى الدمام، فلنقرأ ما كتبه الحمد وهو يقول متحدثاً عن موضي :
- (ثم نهضت وهي تمسح عينيها بطرف غدفتها، واتجهت إلى الباب وهي تقول : " المهم أن تعود إلينا سالمًا . . . ليحفظك الله . . . " ، وأسرعت في الخروج. ولكنها ما لبثت أن عادت مرة ثانية، ووقفت عن الباب وهي تقول :
- هشام . . . هل لو كشفت لك وجهي أكون قد تجاوزت

(١) الشميسي (ص ٣٤).

حدودي؟

- ليس بيننا حدود يا موزي . . . ستبقيين موزي العزيزة
سواء تحجّبت أو كشفت . . .

وبحركة مفاجئة، أزال موزي غدفتها كاشفة عن
وجهها، ثم تقدمت منه، وطبعت قبلة سريعة على خده،
ونظرت إليه بعينين حمراوين مبتلتين، وغادرت بخطوات
مرتبكة^(١).

قلت : فحتى موزي التي صوّرت في الثلاثية وكأنها
محافظة وابنة عائلة تسقط في مقدمات الرذيلة مع ابن
عمتها، حيث كشفت له عن وجهها، ثم تجرأت (لاحظ :
هي لا هو !) على تقبيله !

٥- الوصف الدقيق منه للمواقف (ا لجنسية) السابقة بشكل مقزز،
كما في وصفه لزنا عبد الرحمن وهشام بالمومس (رقية) في
طريق خريص !

وكما في وصفه لرؤية هشام لعليان زوج سوير وهو يجامعها!
٦- تصويره لأفراد شلته بأنهم أصحاب تمرس بالعلاقات
النسائية، يقول تركي عنهم : (كانوا يتحدثون عن مزنة وبدرية
وهيلة وعائشة وعواطف وابتسام ومنى، وهو لا يجد ما يقول
. . . كان يود الحديث عن نورة وعن رقية، وقصص عن
موزي يؤلفها . . . ولكن شيئاً كانت يمنعه، فكان يصمت،
ويغرق نفسه في مبادئ القانون والاقتصاد، حتى أصبح يسمى

(١) الشميسي (ص٢٠٢-٢٠٣).

بنفأر الكتب، أبو أربع عيون . . . ورغم الوصف الذي كان يضايقه، فقد كان محل ثقة الجميع وحبهم. كانوا يقصدونه لفهم ما استغلق عليهم فهمه من مواد، أو في حل مشاكلهم العاطفية، وكانوا يستشيرونه في جمال فتياتهم وهم يجلبون صورهن في الجيوب. . . (١).

٧- وصفه لנסاء شارع (الحب) في الدمام، حيث يقول : (ولفت نظره إحداهن، كانت تسير الهوينا وقد التفت بعباءتها، ووضعت حجاباً رقيقاً على وجهها لا يستر شيئاً منه. لم تكن جميلة الوجه، ولكنها كانت ممتلئة إلى حد البدانة، بردفين ضخمين يفرق بينهما فج واضح وعميق، يجعلهما في حالة من التأرجح الدائم. وأثار منظر عجيزتها المترجرجة جوارح هشام، وارتفعت حرارته وأخذ ينظر إليها بشبق، وهو يدخن سيجارة بعمق، وأحست المرأة بنظراته، فنظرت إليه بدورها وابتسمت بإغراء، ولكنه عدل عن مغازلتها في آخر لحظة، وسار في طريقه على عجل. لكم غيرته الرياض . . . لقد عاش في الدمام طوال حياته، وجاء إلى شارع الحب أكثر من مرة، ولكنه لم يلاحظ ما لا حظه اليوم، ولم يدر في خلده ما دار) (٢).

٨- قوله في وصف رؤية هشام لموضي ابنة خاله :

(وعادت موضي مررودة : " زين . . . زين . . . اتبعني "

(١) الشميسي (ص ٧٢).

(٢) الشميسي (ص ١٢٩).

واخذت في صعود درجات السلم المقابل للمجلس وهو يتبعها . . . لم يستطع إلا ملاحظة استدارة عجيزتها وهي تصعد الدرج أمامه . . . أثاره المنظر ولكنه أشاح بوجهه عن رديها اللذين كانا في حالة اهتزاز شديد مع كل درجة تصعدها، فحاول تشتيت ذهنه^(١).

قلت : فهذه المواقف (الجنسية) الكثيرة، مع محاولة تضخيمها وتكلفتها (أحياناً) توحى للقارئ أحد أمرين متلازمين :

الأمر الأول : أن تركي الحمد يتكلم عن واقع عاشه أو رآه خلال حياته الماضية فانطبع في ذهنه ومخيلته، فارتبط كل حديث عن الماضي بتلك الأحداث والمغامرات (الجنسية) لأن الإنسان لا يستطيع مهما فعل أن ينفصل كلياً عن ماضيه، بل تبقى صور كثيرة (يراهها مهمة) تتخيل بين عينيه عند كل ذكرى ماضية.

فإذا قلنا بهذا الأمر فإن الحمد لم يعد يرى أثناء دراسته في الرياض سوى هذه المواقف (الجنسية) التي أثرت فيه. واستهلكت منه وقتاً.

الأمر الثاني : الذي يهدف إليه الحمد من خلال تضخيم هذه المواقف، وإبرازها، وتكلفت بعضها - كما سبق - : هو محاولة لإسقاط جميع المثل التي يعتقدها الناس، وأن الإنسان مهما ادعى الصلاح أو المثالية فإنه مجرد حيوان يجري خلف شهواته مهما حاول إضفاء هالة الشرف والعفة على شخصيته، وما هذه الهالات

(١) العدامة (ص١٠٧).

المفتعلة التي يعيشها الناس مع بعضهم إلا ستار وقناع يخفون وراءه ألواناً عديدة من الآثام والسقوط، فلو تأملنا الثلاثية جيداً للمحنا فيها هذا الهدف الذي يسعى إليه الحمد، بل تجراً فيه كثيراً.

نلمح ذلك في التالي :

- ١- سقوط هشام في الإثم خلال عيشته بالرياض بعد أن كان يعيش مثاليات زائفة في الدمام مع والديه.
- ٢- سقوط سوير زوجة عليان في الرذيلة مع هشام.
- ٣- سقوط نورة ابنة جيرانهم في الدمام في الرذيلة معه.
- ٤- سقوط موضي ابنة خاله في أول درجات الرذيلة.
- ٥- عبارات كثيرة يطلقها الحمد في ثلاثيته تنبئ عن هذا الهدف، ومن ذلك :

أ - قول الحمد على لسان عبد الرحمن ابن خال هشام بعد أن وصف له زناه بإحدى النساء : (من قال لك إن كل من تسكن عند أهلها عذراء)^(١).

ب- قوله واصفاً حال هشام في الرياض : (وفي الرياض سقطت باقي المثل التي زرعتها أمه في ذاته)^(٢).

ج - قوله واصفاً مدينة الرياض على لسان عبد الرحمن : (كل

(١) العدامة (ص٧٩).

(٢) العدامة (ص١٦٧).

- شيء ممكن في الرياض^(١) بعد أن قال هشام : (كنت أظن أن الخمر غير موجود في الرياض).
- د- قوله - على لسان عبد الرحمن موجهاً خطابه إلى هشام : (سأجعلك تكتشف الرياض كما لم تكتشفها من قبل. سأريك رياضاً غير الرياض)^(٢).
- ه- قوله - أيضاً - : (في الرياض كل شيء ممنوع، وكل شيء مباح)^(٣).
- و- وقوله - أيضاً - على لسان عبد الرحمن : (ديرة عجيبه فعلاً... كل شيء حرام وممنوع. وكل شيء مباح بشكل لا يتصور)^(٤).
- ز- قوله على لسان هشام متحدثاً مع نفسه : (عليك الرحمة يا ابن آدم. ظننت نفسك أكرم الكائنات، الذي طرد من أجله عابد الأزل من الرحمة والملكوت، فاكتشفت أنك أتفه من ذبابة، وأحقق من بعوضة)^(٥).
- ح- قوله : (لقد مات أبوك آدم، ولم يبق إلا إبليس ذو الصولجان، كلهم اليوم لإبليس ساجدون، ومن أجله يسعون)^(٦).

(١) العدامة (ص ٨٨).

(٢) العدامة (ص ١٠٠).

(٣) العدامة (ص ١٦٩).

(٤) الشميسي (٣٩).

(٥) الكرايب (ص ٢٥٢).

(٦) الكرايب (ص ٢٥٣).

إذن ؛ فتركي الحمد يريد أن يقول لنا بأن جميع البشر سقطة منحرفون فاسدون فلا نغتر بالمثاليات الزائفة والأقنعة المخترعة يخفون وراءها حقيقتهم، فهو يريد منا أن لا نتمسك بأي فضائل أو مثاليات.

فهي فلسفة (معريّة)^(١) شابه بها رهين المحبسين حينما كان يقول :

وزهدني في الخلق معرفتي بهم

وعلمي بأن العالمين هباء

فالفكرة واحدة، وهي عدم الاغترار بأي فضيلة أو مثاليات يتنكر الناس وراءها، لأننا إذا دققنا في الأمر لم نجد إلا شياطين وأبالسة في مسوح بشر، مما ينتج عنه أن تسقط من أعيننا كل الصور الجميلة والمثالية والشريفة والعالية التي رسمناها في مخيلتنا عن أفضل البشر سواء كانوا من الأنبياء أو من أفضل القرون بعدهم، أي الصحابة رضي الله عنهم وأخزي من أبغضهم ! -

فإذا سقطت صور الأفراد المثالية من أعيننا سقطت تبعاً لها مجتمعاتهم التي كنا نظنها فاضلة ! حتى جاء الدكتور الفيلسوف ليحذرنا من الاغترار بهذا الوهم، ويبين لنا أن لا فضيلة ترجى من (بني آدم) ! فهم ما داموا من أبناء آدم فلا شك مخادعون منافقون

(١) نسبة إلى أبي العلاء المعري أعمى القلب والبصر! الذي ألح على هذه المسألة في أشعاره التشاؤمية. وانظر لبيان رأي العلماء فيه وفي شعره: " مشاهير في ميزان العلماء " ؛ لكاتب هذه الأسطر.

يخفون حقيقتهم خلف حجاب من الفضيلة والمثالية المزيفة.

إذن : لا تطالبونا بأن نترسم خطى القرون الثلاثة المفضلة التي أثنى عليها رسول الله ﷺ ، ولا تنخدعوا بمظاهر الصلاح التي يبيدها بعض الناس لكم سواء أكانوا من العلماء أم الدعاة أم الصالحين ، فإنها قد تتكشف عن انحرافات ومفاسد لا تتخيلونها.

ومما يثير العجب تركيزه على إظهار مدينة (الرياض) وكأنها من مدن الفجور والفاحشة أمثال بانكوك أو .. أو .. من المدن التي يعرفها أهل الفساد ! وكأنه يقول لنا بأن هذه المدينة التي هي قاعدة بلادنا وعاصمتها ومنبع الخير فيها بما تضمه بين جنباتها من رجال ونساء صالحين إن هي إلا مدينة كغيرها من المدن (الفاصلة) التي يعرفها الناس ويزدرونها.

فكما أسقط الحمد الرموز البشرية من أفراد ومجتمعات من مخيلتنا فهو سيُتبع ذلك بإسقاط مثاليات المكان . . . ليُخبرنا بأن لا مكان مقدّس أو مطهّر. ويضرب لذلك مثلاً بمدينة الرياض التي نُحسن الظن فيها وفي أهلها.

قد يقول قائل : إن سياق الثلاثية هو الذي اضطر الحمد إلى ذلك ، لأن هشاماً لم يتعرف على حياة المعصية إلا في الرياض ، فهو في الدمام صغير ، وفي جدة في السجن ، فلم يبق إلا الرياض . فأقول : قد يقال هذا ، فنعذر الحمد لو كان موقفاً واحداً أو عبارة واحدة ذم فيها الرياض ، أما وقد كرر هذا الذم وألح عليه بشكل غريب ومفتعل ، فإن وراء الأكمة ما وراءها ، وحق لمدينة الرياض أن تقول له :

ولو كان سهماً واحداً لاتقيته

ولكنه سهمان ثانٍ وثالث

الحاصل : أن الحمد قد هَوَّن جانب الانحراف، والسقوط في الرذيلة، وجعله يهيمن على أبرز شخصيات ثلاثيته، شأنه في ذلك شأن نجيب محفوظ في ثلاثيته - كما سبق -^(١) لأنها جميعاً يصدران من مصدر واحد هو مصدر (الماركسية!) الذي لا يقيم معتنقوها أي وزن للأخلاق، بل يسعون إلى هدمها في نفوس الناس، حتى يتساوى - في نظرهم الزنا بالنكاح -، والفضيلة بالرذيلة. يقول الشيخ عبد القادر شيبه الحمد : (الخُلُق الوحيد الذي آمن به الشيوعيون هو وجوب مخالفة سائر الأنظمة الأخلاقية، ومحاربة عموم أنواع الآداب المرعية في المجتمعات الإنسانية، وبخاصة ما كان منها نتيجة للأوامر الإلهية، وقد قادهم هذا الشذوذ الخُلُقِي إلى هتك الأسرة، ومحاربة ناموس الزواج، ورأوا أن هدم ذلك من أقوى دعائم الشيوعية فتساوي الزواج والزنا في نظامهم)^(٢).

نسأل الله العفو والعافية، أن لا يجعلنا ممن قال فيهم : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [التور: ١٩].

(١) مع فارق واحد بينهما، هو أن محفوظاً يتعذر عن مومساته، بأن الظروف الاقتصادية أجبرتهن على ذلك، فلا تلوموهن، شأنه في ذلك شأن الماركسيين الأتحاح!

(٢) مقال بعنوان (الشيوعية) في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة السنة الثانية (عدد٣).

العبارات الوقحة في ثلاثية تركي الحمد :

استخدم الحمد في ثلاثيته عبارات (وقحة) لم تتعود آذاننا على سماعها ممن تأدب بآدابنا.

فمن ذلك أنه يتحدث عن مخلوقات الله - وهي الشمس - واصفاً إياها بالوقاحة ! وهو أولى بهذا الوصف، لأن الشمس خلق مُسَخَّر في جو السماء، تسير بانتظام، وتدل على عظمة الخالق - سبحانه -، وتُسَبِّح الله، فكان الأحرى بالحمد أن يتفكر في خلقها، ويستدل به على عظمة ربه، لا أن يتفاحش بهذا الكلام البذيء.

يقول الحمد :

(عندما كانوا يهبطون طلعة ديراب على خط الحجاز، كانت الشمس قد بدأت تبرز على استحياء، وعندما وصلوا إلى مرات كانت قد بدأت في ممارسة وقاحتها وإرسال تلك الأشعة النارية الرهيبة)^(١)!

ويقول :

(وأخذت الشمس في ممارسة وقاحتها، وتتحول إلى جحيم لا يُطاق)^(٢)!

قلت : ومن وقاحته أنه تحدث عن أمه (أي أم هشام !) في روايته بحديث لا يصدر عن عاقل .. فتأمله وتعجب من سخافته

(١) العدامة (ص ٢٥٤).

(٢) العدامة (ص ٢٥٨).

حين يقول : (وصب هشام ربع البيالة عَرَقاً، ثم أضاف إليه الكولا، وأخذ رشفة سريعة استطعمها في فمه، ثم تجرع ربع البيالة تقريباً، ولم يحس إلا وقد اشتعل حلقه بالنار انتقلت إلى جوفه، وأخذ اللعاب ينساب بشدة في فمه، والرغبة في التقيؤ، ولكنه تمالك نفسه، وازداد إفراز اللعاب في فمه، ثم أحس ببعض الراحة في جوفه، ودوار في غاية اللذة يغزو رأسه من الداخل. وشرب ربعاً آخر فأحس أن نهراً يجري في فمه، لم يكن الحريق بالشدة الأولى. دفع البيالة إلى عبد الرحمن، ولكنه رفض قائلاً : " السجائر أقصى ما يمكن أن أصل إليه " ، فتجرع هشام بقية البيالة، دون أن يحس بأي حريق هذه المرة، وأخذ ينظر إلى رقية. لقد كانت في غاية الجمال والفتنة، بل كان كل شيء في غاية الجمال. ذهب الذنب وأحاسيسه المؤلمة، وانتفى الخجل، وكان وجه أمه يبدو له واضحاً، ولكنه كان ينظر إليها ببلادة ولا مبالاة، وكان يود لو كان قادراً على صفعها، لكنه يشعر بمغص في الداخل، فيزيح صورتها ويغرق في رقية)^(١)!!

فهل يقول عاقل عن أمه - ولو كان على سبيل القصص - مثل هذا الكلام البذيء الذي يدل على تمرّد دفين في نفس الكاتب على كل من يستحق (الطاعة) ولو كان أمه !؟

نسأل الله العافية.



أوجه التشابه بين ثلاثية تركي الحمد وثلاثية نجيب محفوظ

عندما تُطلق (الثلاثية) في الرواية العربية فإنها تنصرف حتماً إلى ثلاثية نجيب محفوظ المشهورة (بين القصرين - قصر الشوق - السكرية)، فقد أصبحت علماً عليها، وهي - تقريباً - سبب شهرته على مستوى العالم، وعرفتهم به، نظراً لتفردا وتميزها عن رواياته الأولى.

وعندما أصدر تركي الحمد ثلاثيته انصرفت الأنظار والأذهان إلى المقارنة بين الثلاثيتين لمعرفة أوجه التشابه والتمايز بينهما. وكنت أحد هؤلاء الذين اهتموا بهذا الأمر عند دراستي لفكر تركي الحمد، فعدت إلى أوراقى القديمة التي دونت فيها الخطوط الرئيسة لثلاثية نجيب محفوظ لمقارنتها بثلاثية الحمد، لمعرفة هل جاء بجديد عليها، أم أنه يقول مكرراً من القول؟

فاتضح لي بالمقارنة أن الحمد قد سار في ثلاثيته مقتفياً أثر نجيب محفوظ في أمور رئيسية وجزئية من الثلاثية، نظراً لتشابه فكريهما - كما سيأتي -، ومما أكد لي هذا أن الحمد قد أكثر من ذكر قصص نجيب محفوظ في ثلاثيته، وجعلها جزءاً من ثقافة هشام العابر .. فمن ذلك :

١- أنه ذكر ثلاثية نجيب محفوظ نفسها في قوله عن أحلام هشام : (يأتيه صوت سي السيد أحمد عبد الجواد زاجراً

وزيدة تقهقهه أمامه، وكمال يرقص بينهما، فيما ياسين يعض أرداف زنوبه^(١).

ومعلوم أن هذه الأسماء هي الشخصيات الرئيسية لثلاثية محفوظ.

٢- قوله عن هشام : (هو الفتى المثقف الذي يقرأ لماركس وماوتسي تونغ ودوستوفسكي ونجيب محفوظ...)^(٢).

٣- قوله عن هشام : (كان يذاكر ذات يوم هو وعدنان كعادتهما كل عام قبل الامتحانات بفترة، ويختلس بعض اللحظات ليقرأ فيها رواية نجيب محفوظ الجديدة "أولاد حارتنا")^(٣).

٤- قوله عن هشام عند سفره إلى الدمام : (وعندما تحرك القطار أخيراً، كان بدأ في قراءة "الطريق" لنجيب محفوظ)^(٤).

٥- قوله عن هشام في السجن : (أخذ ينظر إلى حركة الأشباح من حوله وهو يفكر ولا يفكر. وطاف بذهنه جحيم دانتي وأبي العلاء. وباربوس، وغريب كامو، وذباب سارتر، وشحاذ محفوظ)^(٥).

ولكي نعرف مدى التشابه بين الثلاثيتين وكيفية استفادة الحمد من محفوظ لابد من عرض موجز لأحداث ثلاثية نجيب محفوظ،

(١) العدامة (ص ٩٠).

(٢) العدامة (ص ١٠٦).

(٣) العدامة (٢٢٤).

(٤) الشميسي (ص ١٢٢).

(٥) الكرايب (ص ١٨١).

ثم ذكر نقاط التشابه بينهما، لكي يتضح أن الحمد قد صاغ ثلاثية محفوظ بنفْسٍ مناسب لبلادنا - كما سيأتي - .

❁ أحداث ثلاثية نجيب محفوظ.

١- بين القصرين :

يعيش أحمد عبد الجواد في بيته بشخصية قوية متسلطة - كما سبق - أمام زوجته الضعيفة (أمينة) وأولاده، ولكنه خارج البيت يمارس أنواع المحرمات من شرب خمر وزنا دون أن يعلم أولاده، بحيث تبقى هيئته بينهم. يذهب أحمد عبد الجواد لذكائه الذي يشرف عليه وكيله (الحمزاوي) فيأتيه الشيخ الصوفي ! (متولي عبد الصمد) صاحب الكرامات !! الذي يعمل الحُجُب والتمايم للناس، لينصحه عن ولعه بالنساء.

- كمال يدرس، ويحب درس (الديانة) الذي يشارك فيه لأنه يراجع الدروس مع أمه، التي يلتقي معها في حب (الحسين)!
- فهمي يحب بنت الجيران (مريم) يتفرج عليها من السطح.
- ياسين يدور في الشوارع ويلتهم النساء بنظراته الشهوانية، ويتفرج على العاملة زبيدة وريببتها زنوبة ويتأمل محاسنها ويتذكر خيانة أمه لأبيه مع (الفاكهاني) !
- أحمد عبد الجواد يتأمل جسد (زبيدة) العاملة عندما جاءته إلى الدكان. يحاول استدراجها، ثم لا يدعها تدفع (الحساب) وفي المساء يذهب لزيارتها مع رفاقه.
- أحمد عبد الجواد يخبر ابنه ياسين بأن أمه - أي أم ياسين -

- ستتزوج من صاحب مخبز صغير السن. يغضب ياسين، لأنه يطمع في فلوسها، ذهب ياسين إليها ولامها وغضب عليها.
- فهمي يريد الزواج من (مريم) لكن والده يرفض بشدة.
- عائشة تغازل أحد الضباط من النافذة فتراها خديجة، فتطلب منها عائشة أن لا تخبر أحد.
- (حسن أفندي) ضابط الجمالية يخطب عائشة، فيرفض الأب!
- سافر أحمد عبد الجواد إلى (بور سعيد) في مهمة عمل، فاستغل أهل البيت الفرصة ليتمتعوا بالحرية قليلاً، خرجوا بأمهم لزيارة (الحسين) الذي تهيم به، صدمتها سيارة، فعادوا بها.
- عندما عاد أحمد عبد الجواد اعترفت له زوجته بما حصل بعد أن ألح عليها فطردها من المنزل، فذهبت لبيت أمها.
- أم مريم تقوم بزيارة العائلة لتشفع في إرجاع (أمينه)، فيشعر أحمد عبد الجواد بأنها تهواه وتستدرجه لإقامة علاقة معها.
- حرم (شوكت) تزور أحمد عبد الجواد وتخطب عائشة لابنها، فيوافق.
- عادت (أمينة) إلى البيت بعد أن عفا عنها زوجها.
- ياسين يقيم علاقة (غير شرعية) مع (زنوبة)، فلما دخل عندها أخبرته بأن هناك رجلاً مع (زبيدة) هو أحمد عبد الجواد! فتفاجأ ياسين لهذا الخبر، وقد كان عهده بأبيه أنه جاد وصارم.

- ذهبت العائلة إلى بيت (آل شوكت) لزواج عائشة. (جلييلة) العالمية تحضر الحفل وتسلم على أحمد عبد الجواد مع تضايقه منها خشية انكشاف علاقته السابقة بها. ياسين يخبر فهمي بحال أبيه، فيندهش فهمي.
- ياسين يحاول اغتصاب (أم حنفي) الشغالة وهو سكران فغضب أبوه عليه، ثم يقرر أن يزوجه.
- زواج ياسين من (زينب)
- آل شوكت يخطبون (خديجة) لابنهم (إبراهيم) فيوافق أحمد عبد الجواد.
- مات (محمد رضوان) والد (مريم) فعزاهم أحمد عبد الجواد.
- أحمد عبد الجواد يتحدث مع رفاقه في الدكان عن (سعد زغلول) زعيم الأمة ! وجهوده ضد الاحتلال.
- ياسين يعود للخمر والنساء.
- أم مريم تزور أحمد عبد الجواد في الدكان لتستشيريه.
- فهمي يشارك في (المظاهرات) ضد الانجليز المحتلين لمصر.
- ياسين يقيم علاقة (غير شرعية) مع الخادمة السوداء (نور) ! التي تعمل عند زوجته. فتكتشفها الزوجة وتغضب وتهجره.
- أحمد عبد الجواد ينصح فهمي بعدم الاشتراك في المظاهرات، أو توزيع المنشورات. خوفاً عليه.
- أم ياسين تتوفى.
- أحمد عبد الجواد يعود من بيت (أم مريم) فيوقفه جندي انجليزي فيجعله يساعد المصريين المسخرين لردم الحفر التي

- يحفرها المتظاهرون، فتكون إهانة قاسية له.
- عائشة تنجب.
 - فهمي يشارك في مظاهرة (سليمة)، ولكنه يُقتل برصاص الانجليز.
 - بهذا الحدث، وهو موت فهمي تنتهي أحداث الحلقة الأولى من حلقات ثلاثية نجيب محفوظ.
- ٢- قصر الشوق^(١):
- كمال يصاحب (فؤاد الحمزاوي) ابن وكيل والده، مع شعوره بالاستعلاء عليه.
 - كمال يقيم علاقة غير شرعية مع (قمر) ابنة (أبو سريع) صاحب المقلبي ! مع شعوره بتأنيب الضمير.
 - أحمد عبد الجواد يعود إلى اللهو بعد موت ابنه (فهمي)، ويقيم علاقة مع (زنوبة) التي تستعلي عليه.
 - ياسين يقرر الزواج من (مريم).
 - ياسين يقيم علاقة غير شرعية مع أم مريم !!
 - الحمزاوي ينصح أحمد عبد الجواد بعدم تبذير أمواله على اللهو.
 - كمال يحب (عايدة) أخت زميله (حسين شداد) وهي من طبقة عالية متحررة، ويغلو في حبها إلى حد العبادة !
 - ياسين يتزوج مريم.

(١) وهو اسم الشارع الذي يسكنه ياسين بعد زواجه.

- (بهيجة) تتزوج (بيومي الشربتلي)، ثم تموت بعد أسبوع !
- خديجة تسبب مشاكل لأهل زوجها، فيصلح بينهم أحمد عبد الجواد.
- عائشة تنساق مع حياة زوجها المتحررة، فتدخن.
- (عايدة) يخطبها أحد زملاء أخيها (حسين) واسمه (حسن) فيتفاجأ كمال بهذا الخبر !
- ياسين يطلق (مريم) بعد أن اكتشفت علاقته بزنوبة.
- زنوبة تطلب الزواج من أحمد عبد الجواد، فيرفض أن يتزوج من عاهرة !
- كمال يحضر حفل زواج عايدة.
- ياسين يتزوج زنوبة، فيطلب منه أبوه أن يطلقها.
- كمال يغرق في الخمر والنساء.
- أحمد عبد الجواد يحاول اقناع ياسين بطلاق زنوبة فيخبره ياسين بأنها حامل منه.
- زوج عائشة وولدها يصيبهم المرض.
- موت سعد زغلول.
- وبهذا الحدث تنتهي الحلقة الثانية من ثلاثية نجيب محفوظ.
- ٣- السكرية^(١) :
- كمال يحب القراءة في الفلسفة، ومجتهد في دروسه.
- الحمزاوي يطلب إعفائه من العمل مع أحمد عبد الجواد لأنه تعب.

(١) وهو اسم الشارع الذي يسكنه آل شوكت.

- زبيدة تدمن على الكوكابين ، وتفتقر بعد العز !
- متولي عبد الصمد يصبح شيخاً رثاً وسخاً يدور على الناس.
- فؤاد يرغب الزواج من نعيمة ابنة عائشة.
- أحمد عبد الجواد يهجر الخمر بسبب نصيحة الطبيب.
- شداد أفلس ثم انتحر.
- ياسين مستمر على عادته في الخمر والنساء.
- احمد ابن خديجة يعتنق الماركسية وأما أخوه عبد المنعم فهو من جماعة (الإخوان المسلمين) ! وتحصل بينهما مناقشات ومشاهدات. برغم أنهما جميعاً لا يحبان (الطغاة!).
- عبد المنعم (الإخواني !) يقع في الزنا بجارته !!
- أحمد يشارك في تحرير مجلة (الإنسان الجديد)، ويحب السكرتيرة في المجلة (سوسن حماد)
- أحمد يتعرف على الكاتب (رياض قلدس) الذي يوافقه في الميول.
- كمال مستمر في الشهوات.
- عبد المنعم يتزوج نعيمة ابنة عائشة.
- حوارات فكرية وسياسية بين أحمد وخاله كمال، لتوافقهما في الهوى !
- أحمد عبد الجواد يبيع دكانه.
- حوارات فكرية بين كمال وقلدس.
- نعيمة تموت.
- أحمد يخطب (علوية صبري) فتطالبه بمصروف يومي، فيرفض مشروع الخطبة.

- رفاق أحمد عبد الجواد يموتون واحداً إثر الآخر، وهو يتفكر في حال الدنيا.
 - موت أحمد عبد الجواد.
 - عبد المنعم يخطب كريمة ابنة ياسين مع معارضة والدته خديجة لأن كريمة تكون ابنة زنوبة.
 - زبيدة تتحول إلى شحاذاة، بعد العز !
 - أحمد يتزوج سكرتيرة المجلة (سوسن حماد).
 - عبد المنعم يتزوج كريمة ويجعل من بيته بيتاً إسلامياً.
 - كمال يعلم بموت (عايدة).
 - القبض على أحمد (الماركسي)، وأخوه عبد المنعم (الإخواني)، ووضعهم في السجن بتهمة المعارضة.
 - أمينة تصاب بالشلل فتتظر الوفاة.
- وبهذا الحدث تنتهي الحلقة الثالثة والأخيرة من ثلاثية نجيب محفوظ.

شخصيات ثلاثية نجيب محفوظ :

- ١- أحمد عبد الجواد : أحد أفراد الطبقة المتوسطة، يتميز بشخصية متسلطة داخل بيته، ويد حديدية يحكم بها أسرته. مع تدين تقليدي يحافظ من خلاله على أداء الصلوات في (البيت !)، دون أن يؤثر هذا (التدين !) على سلوكه الخارجي، أو أن ينهى زوجته عن الانجراف وراء البدع والشركيات - كما سيأتي -.
- وهو في الجانب الآخر، أي خارج بيته، يتصف بصفة أوصفات أخرى تختلف عن تلك الأولى، فهو يحب اللهو

والشهوات، والسهر مع الغواني والمومسات، في جلسات طرب وأنس.

ولكن هذا التناقض وإخفاء الشخصية الأخرى عن أولاده سرعان ما ينكشف، ولكنه لم يؤثر على سقوط هيئته الأولى.

أسرة (أحمد عبد الجواد) تتكون من :

١- زوجته (أمينه) الخاضعة له، والتي هي على النقيض من زوجها، حيث تتميز بالسماحة والطيبة مع أولادها، ولكنها غارقة حتى أذنيها في البدع والشركيات التي تعتقدها ديناً!، حيث أدمنت على زيارة قبر الحسين (المزعوم!)^(١) في القاهرة^(٢) ودعائه من دون الله^(٣)، بل والطواف بقبره^(٤)!!

قولها لابنتها عائشة : (تعالى معي إلى الحسين، ضعي يدك على الضريح واتلي الفاتحة، تتحول نارك إلى برد وسلام كنار سيدنا إبراهيم)^(٥)!!

وكانت تلقن كل هذا ابنها الصغير (كمال) بطل الرواية.

(١) انظر لبيان بطلان دفن رأس الحسين ﷺ في مصر: رسالة "رأس الحسين"؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية، لتعلم أن هذا الضريح من أكاذيب وألاعيب دولة العبيديين الرافضة التي استولت على مصر، وأحدثت هذا المشهد المزعوم، ترويحاً لعقيدتهم الفاسدة. فالواجب على أهل السنة في مصر هدم هذا الضريح المكذوب.

(٢) بين القصرين (ص٣٦).

(٣) بين القصرين (ص١٦٢).

(٤) السكرية (ص١١).

(٥) السكرية (ص١٩٧).

وأما أبناؤه فهم :

- ١- ياسين : وهو الابن الأكبر من زوجة سابقة، انتقل إلى العيش مع أبيه وزوجة أبيه (أمينة)، وقد ورث عن أبيه ولعه بالملذات والشهوات، ولكنه لم يستطع أن يكون كأبيه يعب من تلك الملذات ويحظى باحترام الناس !! مثلما كان أبوه.
- ٢- فهمي : الابن الأوسط لأحمد عبدالجواد، وهو طالب بمدرسة الحقوق، يجمع بين خصال أمه من رقة ومودة ورحمة لذويه، إلى جانب وطنيته وثوريته، التي انتهت به إلى الموت في مظاهرة وطنية.
- ٣- عائشة : الابنة الصغرى لأحمد عبدالجواد، تتميز بجمال ورقة ومودة، مما حبيبها إلى ذويها. بعد زواجها انسقت مع حياة زوجها المتحررة، وبعد وفاة زوجها وابنيها ساءت أحوالها وأصبحت تُكثر من الاعتراض على القدر.
- فمن ذلك : قولها عند وفاة ابنتها (نعيمة) : (ما هذا يا ربي؟ ما هذا الذي تفعله؟ لماذا؟ لماذا؟ أريد أن أفهم)^(١).
- أو قولها عندما تذكرت أولادها : (الرحمة ! أين الرحمة أين؟)^(٢).
- ٤- خديجة : الابنة الكبرى لأحمد عبدالجواد، وكان حظها من الجمال ضئيلاً، وقد ورثت عن أبيها سلاطة لسانه وقوة شخصيته. كثيرة المتاعب مع زوجها، وكان لأولادها نصيبهم الأكبر من أحداث الرواية.

(١) السكرية (ص١٥٩).

(٢) السكرية (ص١٩٧).

٥- كمال : وهو (بطل الثلاثية)، الابن الأصغر لأحمد عبدالجواد، عاش في أحضان أمه، التي لقنته البدع والخرافات والشركيات منذ صغره، حيث لم يتعرف على الدين إلا من خلال أحاديثها وقصصها، فانطبع الدين في ذهنه بتلك الخرافات.

فهو - مثلاً - يقول عن ضريح الحسين : (كم وقف حيال الضريح حالماً مفكراً، ويود لو ينفذ ببصره إلى الأعماق ليطلع على الوجه الجميل الذي أكدت له أمه أنه قاوم غير الدهر بسره الإلهي، فاحتفظ بنضارته ورونقه، حيث يضيء ظلمة المثوى بنور غرته، ولما يجد إلى تحقيق أمنيته سبيلاً قنع بمناجاته في وقفات طويلة، مفصلاً عن حبه، شاكياً إليه متاعبه الناشئة من تصوراته عن العفاريات وخوفه من تهديد أبيه، مستنجداً به على الامتحانات التي تلاحقه كل ثلاثة أشهر، ثم خاتماً مناجاته عادة بالتوسل إليه أن يكرمه بالزيارة في منامه)^(١)!!

نشأ كمال متحيراً كثير الاضطراب الفكري، لم يستقر على قرار ثابت، كان وفدياً^(٢) ثم ما لبث أن مال ميلاً شديداً إلى (الماركسية) التي تقتلع الطبقات التي أبغضها عندما أحب (عايدة)

(١) بين القصرين (ص ٤٩).

(٢) حزب الوفد الذي أنشأه سعد زغلول، حزب علماني لا يقوم على الإسلام، يدعو إلى مساواة المسلم بالكافر، والدعوة إلى انسياق البلاد الإسلامية نحو تقليد الغرب الكافر (في كل شيء)، وخاصة في مجال (تحرير المرأة)، انظر (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة) للدعوة العالمية للشباب الإسلامي (١ / ٤٥٤).

التي تنتمي إلى طبقة عليا.

تكثر في أحاديثه الشكوك والظعن في الدين وعبارات الإلحاد والادعاء بأن (العلم) سوف يحل مشاكلنا جميعاً. ولهذا كان من أقرب الناس إلى ابن أخته (أحمد) الذي كان (ماركسياً) متحمساً.

فمن أقواله - على سبيل المثال - :

- (إن مطلبي الأول الحقيقة : ما الله ؟ ما الإنسان ؟ ما الروح ؟ ما المادة ؟ الفلسفة هي التي تجمع كل أولئك في وحدة منطقية مضيئة كما عرفت أخيراً)^(١).

قوله : (لفه شعور بأنه ضحية اعتداء منكر تأمر به عليه القدر وقانون الوراثة ونظام الطبقات)^(٢).

(طالما نازعته النفس إلى النقيضين : وكر الشهوات والتصوف، ولكنه لم يكن ليطلق حياة خالصة للدعة والشهوات، ومن ناحية أخرى كان ثمة شيء في أعماقه ينفر من فكرة السلبية والهروب)^(٣).

٦- عبد المنعم ابن خديجة :

من جماعة الإخوان المسلمين، يحمل أفكارهم وينافح عنها أمام أخيه أحمد (الماركسي)، ولكنه يتسم بالعنف في الجدل !! هكذا أراد له نجيب محفوظ أن يكون !! فمن ذلك أنه قال

(١) قصر الشوق (ص ٢٤٢).

(٢) قصر الشوق (ص ٣٦٩).

(٣) السكرية (ص ١٩٤).

لأخيه : (صه يازنديق)^(١) !! وقال له أيضاً (يا عدو الله)^(٢).

ولكنه برغم هذا (الإيمان) و (الحماس) يقيم - كما سبق - علاقة غير شرعية مع بنت الجيران !! وهذا من التناقض المفتعل لتشويه جماعة الإخوان المسلمين من نجيب محفوظ.

٧- أحمد ابن خديجة :

شاب متحمس للماركسية، يدخل مع أخوه (الإخواني) عبد المنعم في مجادلات متتالية دون نتيجة.

من أقواله التي تدل على توجهه :

- أنه بعد أن تزوج سأله خاله كمال هازئاً : (هل تزوجت على سنة الله ورسوله؟) قال : (طبعاً، الزواج والدفن على سنن ديننا القديم، أما الحياة فعلى دين ماركس)^(٣)!!

- قوله في التحقيق : (إني اشتراكي)^(٤).

❁ أوجه التشابه بين ثلاثية الحمد وثلاثية نجيب محفوظ:

١- أن الثلاثيتين تتكونان من ثلاثة أجزاء بأسماء مختلفة : (بين القصرين - قصر الشوق - السكرية)، (العدامة - الشميسي - الكراديب).

(١) السكرية (ص ٣٢).

(٢) السكرية (ص ٧٦).

(٣) السكرية (ص ٢٧١).

(٤) السكرية (ص ٣٢٠).

٢- أن البطل فيهما شخص واحد تدور الأحداث من حوله. ففي ثلاثية محفوظ تدور الأحداث حول (كمال)، وفي ثلاثية الحمد تدور حول (هشام العابر).

٣- أن (كمال عبد الجواد) هو نفسه مؤلف الثلاثية، أي هو نجيب محفوظ، وهذا أمر لا ينكره نجيب محفوظ، الذي يردد دائماً : (أنا كمال عبد الجواد في الثلاثية)^(١) ويقول : (الأزمة الخاصة بكمال هي أزمتي)^(٢).

أما تركي الحمد فقد اعترف بهذا في مقابله مع جريدة اليوم - كما سبق -^(٣)، عندما قال عن ثلاثيته بأنها (فيها الكثير مني . . . فالبطل أنا من صنعه وأنا من وضع له العواطف والتجارب).

وقد أكد الدكتور غازي القصيبي أستاذ تركي الحمد في الجامعة ! هذه الحقيقة. فقال في كتابه (حياة في الإدارة) : (كان المفكر السعودي البارز !! الدكتور تركي الحمد أحد طلبتي. وعلى الذين يرغبون أن يعرفوا رأي الطلبة في أن يعودوا إلى رواية تركي (الشميسي) (لندن : دار الساقى، ١٩٩٧م)، ماكتبه عن (الدكتور محارب الخيزراني)^(٤)

(١) الممتني، لغالي شكري (ص١٧).

(٢) أتحدث إليكم، نجيب محفوظ (ص٣٤).

(٣) بتاريخ ٨ / ٨ / ١٤١٩هـ.

(٤) ص (٥٣) من الطبعة الثانية: وعند عودتنا لكلام تركي في (الدكتور محارب) وجدناه يكيل له المديح، فعلمنا سر هذه الإحالة من القصبي!

فهذا تأكيد من غازي أن هشام العابر لم يكن إلا تركي الحمد.

وليس معنى أن كمال عبد الجواد هو نجيب محفوظ، أو أن هشام العابر هو تركي الحمد أن يكون كلاً منهما قد نقل (جميع) تفاصيل حياته بجميع أشخاصها إلى القراء دون نقص أو زيادة، فهذا مالا يقوله عاقل، بل المقصود أن كلاً منهما كان يحكي عن ماضيه، وتفكيره، وتطلعاته، وآماله، وآلامه، وبعضاً ممن عاصروه في اختلاف توجهاتهم. ولكن تبقى الفكرة الرئيسة التي تدور حولها الثلاثية هي ما كانت تقلق بال مؤلفها في فترة مضت، أولاً زالت!، كالحيرة والاضطراب، أو إعلاء شأن الماركسية، وهكذا.

- ٤- أن كلاً من (كمال عبد الجواد) و (هشام العابر) ماركسي التوجه، أو يميل إليها على أقل تقدير.
- ٥- أن كلاً منهما - برغم هذا الميل - متردد، متحير، متذبذب. يقول رياض قلدس أحد أصدقاء كمال في الثلاثية عن كمال بأنه : (الذي دار حول نفسه كثيراً حتى أصابه الدوار)^(١).
- ويقول هشام العابر عن نفسه بعد أن ذكر توجهات زملاء السجن : (أما هشام فلم يعد يدري ما هو)^(٢).
- ٦- تكثر الطعون في الله - عز وجل - وملائكته وكتبه ورسوله

(١) السكرية (ص ١٩١).

(٢) الكرايب (ص ١٨٠).

وعباده الصالحين في كلتا الثلاثتين، ولعل للتوجه الماركسي لصاحبيهما دور في ذلك، حيث لا ترى الماركسية في الأديان والمقدسات إلا أفيوناً للشعوب يجب أن يُهدم، وإن لم تستطع الهدم فلا أقل من اللمز والسخرية، وإسقاط هيبة الدين من نفوس الناس. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أما طعون الحمد فقد قرأناها سابقاً، وأما طعون نجيب محفوظ، إليك شيئاً منها بالأرقام، لكي لا أطيل ولكي لا أتهم بالتجني عليه : (بين القصرين : ص ١٢٢، ٢٢٧) (قصر الشوق : ٩٠، ٩١، ١١٩، ١٥٣، ٢١٦، ٢٢٩، ٢٣٦، ٢٦٠، ٢٩٤، ٣١٤، ٤٢٨، ٤٣٤) (السكرية : ٨٨، ٢٥٣، ٢٦٠، ٢٧٥، ٢٨٠).

٧- تكثر في الثلاثيتين ألفاظ الاعتراض على القدر، واتهام الحياة والموت والقدر بالبعث.

أما في ثلاثية الحمد فقد علمنا ذلك سابقاً، وأما في ثلاثية نجيب محفوظ، فهذه بعض المواقف والعبارات تؤكد هذا :

- اعتراض خديجة على زواج عائشة قبلها، وتقول : (إني أحافظ على الصلاة أما هي فلم تُطق المحافظة عليها...) (١) أي : لماذا تتزوج قبلي ؟
- اعتراض عائشة على وفاة زوجها وأبنائها. وقولها - مثلاً - : (ما هذا يا ربي ؟ ما هذا الذي تفعله؟) (٢)

(١) بين القصرين (ص ٢٣٠).

(٢) السكرية (ص ١٥٩).

- قوله كمال عن نفسه : (لفه شعور بأنه ضحية اعتداء منكر
تأمر به عليه القدر)^(١).
- قوله : (هذا الموت عبث)^(٢).
- ٨- تكثر في الثلاثيتين المواقف الجنسية بكافة أنواعها ! أما
الحمد فقد علمنا شيئاً من مواقفه (البطولية !!).
- وأما نجيب محفوظ فيكفينا من ثلاثيته شخصية أحمد عبد
الجود، والغواني، وشخصية ياسين.
- وهاهنا ملاحظة : وهي أن تركي الحمد اقتصر في مواقفه
الجنسية على (الزنا) وتوابعه، أما نجيب محفوظ فقد تجاوز
ذلك إلى (عمل قوم لواط)!!
- كما في علاقة (رضوان بن ياسين) مع عبد الرحمن باشا
عيسى^(٣).
- وسبب ذلك - الله أعلم - أن محفوظاً تميز في ثلاثيته
بالجرأة أكثر من الحمد، الذي لا زال يحمل بقية من الحياء!
- ٩- أن الملتزمين بالإسلام في الثلاثيتين :
- إما مخرف ساذج، أو من الإخوان المسلمين، ولا ثالث لها.
- فالدين عند محفوظ : إما أن يتمثل في شخصية (متولي عبد
الصمد) الصوفي، المخرف، الوسخ !، صاحب البدع

(١) قصر الشوق (ص ٣٦٩).

(٢) قصر الشوق (ص ٤٨٥).

(٣) السكرية (ص ٦٦).

والشركيات، أو في شخصية (عبد المنعم) الإخواني.

والدين عن الحمد :

إما أن يتمثل في شخصية خال هشام المتدين الساذج الذي يقول عنه ابنه :

(خالك لا يشك بوجود الخمر أصلاً في هذا البلد، فكيف في بيته وابنه .. حتى لو رأى حمد مترنحاً فهو لن يشك بمثل هذه الأمور)^(١).

ويقول عنه هشام : (يا له من رجل طيب تخدعه المظاهر)^(٢).

ولم يجعله الحمد مخرفاً كمتولي عبدالصمد ؛ لأنه يعلم أن لا مكان للخرافة في بلاد التوحيد - والله الحمد -.

أو في شخصية (لقمان) الإخواني^(٣).

فإن كان محفوظ معذوراً في تجسيد شخصية (الإخواني) التي كان يعج بها مجتمع مصر تلك الأيام، فكانت آراؤهم مطروحة في الساحة المصرية، ولم تكن خافية على أحد.

فالحمد لا يُعذر في تجسيده لهذه الشخصية الغريبة على مجتمعنا، إلا أن تكون - وهو ما أراه - تقليداً لمحفوظ، كما تعودنا من الحمد !

(١) العدامة (ص ٩٩).

(٢) الشميسي (ص ٥١).

(٣) وزاد الحمد نوعية ثالثة للمستقيمين، وهي شخصية أصدقاء زميله عدنان، حيث اللحي غير المسرحة والروس المحلوقة!!

قد تقول : ولكن الإخوان موجودون في السعودية، وقد وفدوها بعد اضطهادهم في دولهم.

فأقول : نعم هم موجودون، وقد يكون قلائل من السعوديين تأثروا بهم، ولكن هذا لا يجيز للحمد أن يُصور بلادنا بهذه الصورة الحزبية التي عرفتتها مصر وغيرها من الدول العربية.

ثم يجعل (الإخوان) هم الممثلين للتيار الإسلامي ! وكأننا في بلد علماني النزعة لا يمثلنا فيه سوى الإخوان !!

فهل نسي الحمد أننا - بحمد الله - نعيش في دولة إسلامية سلفية منذ نشأتها^(١)، لم تعرف الأحزاب يوماً ما؟ وهل من العقل أن يُجعل أفراد قلائل مستخفون هم الممثلون للإسلام؟! وننسى الكثرة الغالبة من أهل البلاد الذين لا يعرفون سوى الإسلام ديناً لهم، على تفاوت بينهم في الالتزام به.

إذن : أخطأ الحمد خطأ فاحشاً عندما لم ير في الملتزمين بالإسلام سوى :

١- الرجل الساذج.

٢- الإخواني.

٣- المتشدد.

وبقي صنف رابع لم يذكره، أو لم يرد أن يذكره!، وهو الشاب المسلم الملتزم بدينه، صاحب العقيدة السلفية، والخلق

(١) والكمال لله وحده، وكل تقصير يزول بالتناصح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتواصي بالحق، والتعاون على البر والتقوى.

الحسن في التعامل، والمبرز في دراسته الشرعية أو العلمية،
قاصداً خدمة بلاده الإسلامية ورفعتها من هذا التخلف الذي تعيش
فيه.

فبالعقيدة السلفية نرفع التخلف (الديني) - بدعاً وشركيات -
الذي تعج به بعض أوطان المسلمين، ويفرق بيننا، ويضيع كثيراً
من طاقاتنا.

وبالعلم المادي النافع نرفع من شأن بلاد الإسلام، ونجعلها
تنافس الآخرين، بل تفوقهم، وما ذلك على الله بعزيز.

كنت أود للحمد لكي يكون عادلاً أن يذكر هذا الصنف في
ثلاثيته، ولكن ﴿وَلِكُلِّ وِجْهٍ هُوَ مُوَلِّئُهَا﴾ [البقرة: ١٤٨].

١٠ - يبرز في الثلاثيتين جانب خبيث، وهو محاولة إفحام الدين،
أو التشكيك في بعض مسأله بأسلوب ماكر، كما في تحير
هشام في مسألة : كيف يموت الموت؟

أما نجيب محفوظ فقد صاغ تشكيكه وتحيره على هيئة سؤال
وجهه كمال إلى مدرسه، حيث يقول عن الجن : (وسألت الشيخ :
هل يدخل المسلمون منهم الجنة؟ فقال : نعم. فسألته مرة أخرى :
كيف يدخلونها بأجسام من نار؟! فأجابني بحدة قائلاً : أن الله
قادر على كل شيء^(١)) ولاحظ قوله (بحدة)! تفهم مقصده. مع أن
جواب شيخه مقنع، وهو أن الذي خلقهم - سبحانه - قادر على
أن يجعل مسلميهم يدخلون الجنة، إما بطبيعتهم أو بطبيعة أخرى،

(١) بين القصرين (ص ٦٤).

كما أنه سبحانه قد أخبر عن النار بأن فيها شجرة الزقوم، فهل يقول : كيف لا تحرقها النار؟ فهل هذا إلا سؤال متعنت، يحاكم ربه بعقله القاصر. كما كان مشركو الجاهلية يفعلون مع محمد ﷺ.

ولهذا جعل الله - سبحانه - الإيمان بالغيب أحد الصفات الرئيسة للمؤمنين، فقال : ﴿الْمَلِكُ الَّذِي يَمْلِكُ الْمَوْتِ لَا يُفِيكُ بِشَيْءٍ مِنَ الْغَيْبِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

لأنه سبحانه يعلم أن مسائل الغيب قد لا يستوعبها عقل الإنسان في الدنيا، فلهذا جعل الفارق بين المؤمنين والمذبذبين المرتابين هو الإيمان بالغيب، فعلى المسلم إذا ما جاءه الدليل من القرآن أو السنة الصحيحة بأمر من أمور الغيب أن يؤمن ويُسَلِّم دون اعتراض أو تشكيك كما فعل (تركي) أو (نجيب) !

١١- يكثر الحلف بغير الله في الروايتين، أما في ثلاثية تركي فقد مضى التذليل عليه. وأما ثلاثية محفوظ فإليك المثال :

- (ورسول الله) (بين القصرين ص ٢٥٣).

- (ورأس أمي) (بين قصرين ص ٢٥٧).

- (حلفتك بالحسين) (بين القصرين ص ٢٥٧).

- (وحياة أمك) (بين قصرين ص ٢٦٨).

- (وحياتك) (بين القصرين ص ٤٣٥).

- (والنبي) (بين القصرين ص ٤٣٩).

أخيراً : ما سبق هو أبرز المتشابهات في ثلاثيتي (محفوظ والحمد)، وهي تبين أن الحمد قد بنى ثلاثيته على أعمدة سابقة

كان قد أقامها نجيب محفوظ، فلم يكن له في ثلاثيته سوى صياغتها لتناسب طبيعة وظروف الشاب السعودي بدلاً من المصري.

وإلا فإنهما قد اجتمعا على :

- الماركسية.
 - والاجتراء على الله - عز وجل - وملائكته وكتبه ورسله وعباده الصالحين.
 - والاعتراض على القدر، وتصويره في صورة العدو المتربص أو العابث.
 - والنظر إلى الحياة والموت بنظرة عابثة.
 - والإغراق في الجنس.
 - والشك والحيرة والاضطراب.
- فكلتاهما - ثلاثية محفوظ والحمد - مجرد رواية (هدم) لا (بناء)، و (تشكيك) لا (يقين)، فمن قرأها ثم فرغ منها لم يحصل سوى الحيرة التي لا تقود إلى ثبات واطمئنان.

ثم يكتشف أن راويهما لم يقدم له أي بديل لما قد تم هدمه. فهي شبيهة بأدب الحداثيين الذين حملوا معاولهم لهدم الإسلام والمعاني السامية دون أن يقدموا لها بديلاً سوى الحيرة والشكوك والبؤس والشقاء، زاعمين أنهم سوف يقدمون لبني قومهم كل جميل، وكل مبهج، ولكن بعد أن يفرغوا من هدمهم !

قال تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١]، وقال سبحانه : ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي

أَلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴿ [الأعراف: ٥٦].

وقد أصلح الله بلادنا بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله التي ناصرها آل سعود، فلا مستقر فيها لكل مفسد هادم مهما غلّف هدمه ذاك بشعارات (التطور) و(التحضر) و(التقدم) . . . الخ زخارف الشيطان :

وليتق الله ربه، وليتب من (هدمه)، وليشارك إخوانه في (البناء)، فإن خير الخطائين التوابون.

﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣١)

[النور: ٣١].



خاتمة موجزة

بعد هذه الجولة العجلى في أبرز مؤلفات تركي الحمد وفي ثلاثيته يتبين لنا :

١- أن الحمد يدعو إلى "الشك" و "الريبة" في كل شيء، وهو لم يبين لقرائه ما هو الميزان الذي سيحتكم إليه بعد أن "يشك" و "يرتاب" ليقضي لنا بصحة القضية المطروحة أو بطلانها، هل هو "عقله" أو "عقلي" أو "عقل فلان من البشر" أو ماذا؟ كما سبق.

٢- أنه عندما "شك" و "ارتاب" ودعا المسلمين إلى هذا، لم يُقدم لهم أي دليل واقعي (واضح) يأخذون به بعد أن يهدموا (كل شيء حولهم) بالشك والريب، وإنما هي "النسبية" التي لا تؤدي إلى يقين. ففكر الحمد (هدمي) ليس (بنائياً) - كما سبق - ؛ لأنه يهدم ويهدم ويهدم تحت دعوى (الشك) و(الارتياب) الذي يدعو إليه، دون أن نجد عنده ما يُبنى أو يُشيد لنفع أمته.

٣- أن الحمد يتظاهر في كتبه (بالعقلانية) التي تخفي وراءها نفساً طافحة بالشهوات الحقيرة - كما رأينا ذلك في ثلاثيته التي تعبر عن شخصيته^(١) -

(١) وهكذا غيره ممن يدعون (المثالية) و (الفلسفة)، فإذا كشف الغطاء عن حياتهم الشخصية رأيت أنفساً حيوانية تجري وراء شهواتها التي تحاول نيلها من وراء (الفكر) و (العقلنة).

- ٤- أن شخصية الحمد - كما يظهر من مؤلفاته وثلاثيته - شخصية قلقة مضطربة لا تريد أن تركز إلى شيء يسندها في هذه الحياة، وهي شخصية (شاكّة) (مرتابة) تحقد على كل من لم يكن مثلها في شكها وحيرتها وارتيابها، كما قد رأينا في حقه وحمله الظغينة على رسل الله ﷺ وعباده الصالحين، وبلاد التوحيد . . . إلخ.
- ٥- أن الحمد يدعو إلى عدم ثبات الحق، فما كان بالأمس حقاً قد يصبح اليوم باطلاً، وما يحمله فلان من الحق قد ينقلب باطلاً في حق فلان . . . في دائرة لا تنتهي، تهرباً من قيام الحجة عليه، أو توهمه أنه بهذه الدعوى يُفحم أهل الحق.
- ٦- أن الحمد يدعو إلى مساواة ثقافتنا (التي هي تعاليم الإسلام!) بغيرها من الثقافات الأخرى، وأن لا يرى المسلمون لأنفسهم فضلاً على غيرهم من البشر.
- ٧- أنه من دعاة الفكرتين البائدتين: الماركسية والقومية العربية^(١).
- ٧- أنه من دعاة (تحرير المرأة) من أحكام الشرع في بلادنا^(٢).

(١) ثم انتقل بعد فشل الفكرتين إلى الليبرالية! حيث لا مانع عنده من التنقل بين الأفكار المتناقضة، بشرط أن لا تُخضعه لشرع رب العالمين. كما قيل:

يَوْمًا يَمَانٍ إِذَا لَاقَيْتَ ذَا يَمِينٍ وَإِنْ لَقَيْتَ مَعَدِّيًّا فَعَدْنَانِي!

(٢) كما في مقال له بعنوان (وخلق الله المرأة) في (جريدة الشرق الأوسط)، العدد (٧٤٦٠)، بتاريخ (٢/٥/١٩٩٩). وانظر للرد على ما فيه: مقال الشيخ عبدالسلام الحصين (وكرم الله المرأة)، منشور بموقعه على شبكة الأنترنت.

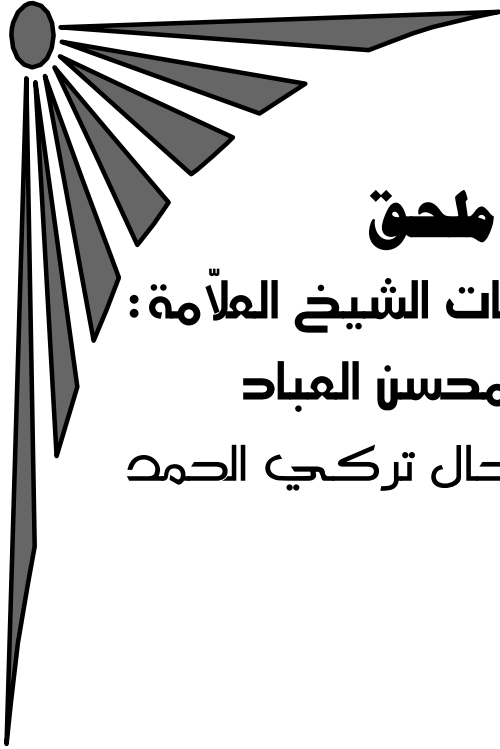
٨- أنه عدو لدود للحكم السعودي الذي قام على تحكيم شرع الله، والدفاع عنه ضد أعدائه من أصحاب التيارات (الضالة) من ديمقراطيين وشيوعيين ومنحلين.

٩- أنه يسرق جُلِّ أفكاره من كتابات وجهود الآخرين عرباً كانوا أم عجماء. كما في ثلاثيته التي بناها على ثلاثية نجيب محفوظ، وكما في (عقلانيته) التي اكتسب أفكارها من الجابري والعروي.

١٠- أنه بعد هذا البيان عن الفكر (الهدمي) له ؛ فإنه لا يجوز شرعاً لو سائل إعلامنا أن تحتفي به، أو أن تُسهل له مهمة بث هذا الهدم بين المسلمين، عبر مقالات أو برامج مسموعة أو مرئية ؛ لأن الشريعة قد جاءت بالحجر على السفهاء، فكيف بمن يكيدون لدين الله وللفضائل ولهذه الدولة المسلمة!؟

ختاماً : أسأل الله أن يحمي بلادنا من شرور الحاسدين والحاquدين الذين لا يرتضون لها أن ترفع راية لا إله إلا الله محمد رسول الله في هذا الزمان، والذين يتربصون بها الدوائر، ممن ارتضوا ما في زبالات الغرب بديلاً للهدى والنور الذي جاءهم به خير الرسل محمد ﷺ، وأسأله تعالى أن يُعجل بكتبهم، وأن يوفق ولاية أمرنا للقضاء عليهم كما هو دأب حكام المسلمين على مرّ الأزمان، فإن الله قال عن هذه الشرذمة من رجال ونساء ﴿هُمْ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [المتافقون: ٤].

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.



ملحق

يحتوي بيانات الشيخ العلامة:
عبدالمحسن العباد
في بيان حال تركي الدم

الحق أن المستحق للمحاكمة هو تركي الحمد .. وقد طلبت محاكمته قبل ثمان سنين

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده
ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فقد اطلعت على ورقة مستخرجة من الإنترنت من موقع
صحيفة «أوان» حول فتوى فضيلة الشيخ صالح اللحيدان - حفظه
الله- في أصحاب القنوات الذين ينشرون فيها الفساد في الأرض
في الاعتقادات والأعمال التي بثتها إذاعة القرآن الكريم ليلة
الخميس الموافق ١٤٢٩/٩/١١ هـ وهي قوله كما في التسجيل:
(إن من يدعو إلى الفتن إذا قُدر على منعه ولم يمتنع قد يحل قتله،
لأن دعاة الفساد في الاعتقاد أو في العمل إذا لم يندفع شرهم
بعقوبات دون القتل جاز قتلهم قضاءً فالأمر خطير لأن الله جل
وعلا لما ذكر قتل النفس قال (أو فساد في الأرض) فالإنسان يقتل
بالنفس أو بالفساد في الأرض، وإفساد العقائد وإفساد الأخلاق
والدعوة لذلك نوع من الفساد العريض في الأرض).

وجاء في صحيفة أوان ما يلي:

(«أوان» استطلعت آراء ورؤى نخبة من أصحاب الرأي في
السعودية حول هذه الفتوى ونتائجها... وبنبرة متعجبة تساءل
الدكتور والأديب تركي الحمد عن قيمة الإنسان، وقال: «هل صار
الإنسان بهذا الرخص؟ وهل صار الحكم بالقتل بهذه السهولة،

وكان المقتول دجاجة؟ إن من يُحرض على القتل فهو قاتل»،
 وطالب الدكتور الحمد بتحجيم التيار الديني المتطرف، وأضاف:
 «اللحيدان بعد أن فقد الكثير صار يتخبط يمينا وشمالا، وهذه ردة
 فعل نفسية، لأن الكرسي يهتز من تحته». مطالبا بمحاكمته، وألا
 تقتصر العقوبة على إزالته من منصبه وعن قراءته لهذه الفتوى
 أكد أنها دعوة صريحة للقتل، وكأنه يقول للشباب المتحمسين
 والمغيبين اذهب واقتل وهذا من حَقك، مبينا أن الفكر هو
 الأساس في العمل الإرهابي).

أقول: إن من العجيب هذا الهجوم من هذا الإنسان على
 فضيلة الشيخ صالح اللحيدان رئيس مجلس القضاء الأعلى في
 المملكة العربية السعودية -- حفظه الله -- ومطالبته بمحاكمته
 وألا تقتصر العقوبة على إزالته من منصبه والحق أن صاحب
 الهجوم هو الذي يستحق المحاكمة وإيقاع ما يقضي به الشرع عليه
 لما تفوه به من كلام ساقط هابط في غاية الوقاحة في الاستهزاء
 بالله عز وجل ودينه، ذكرت جملاً منه في رسالة بعثتها لخادم
 الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز - حفظه الله -
 إبان ولايته للعهد وقيامه بالأمر بعد ضعف صحة الملك فهد رحمته الله
 في ١٣/٩/١٤٢١هـ- قلت فيها: (وبعد أود الإشارة إلى المادة
 الثالثة والعشرين من النظام الأساسي للحكم التي نصها «تحمي
 الدولة عقيدة الإسلام وتطبق شريعته وتأمّر بالمعروف وتنهى عن
 المنكر وتقوم بواجب الدعوة إلى الله».

فإنه مع الأسف وجد في بعض المواطنين من يكون حرباً على
 العقيدة الصحيحة التي قامت عليها الدولة السعودية بأدوارها

الثلاثة، وسعت في نصرتها ونشرها والدعوة إليها بالوسائل المختلفة، وهي عقيدة السلف الصالح ومن سار على نهجهم في كل زمان ومكان.

ومن أسوأ من وقفت لهم على كلام في العقيدة هو في غاية الخبث اثنان هما: تركي الحمد، وحسن فرحان المالكي.

أما تركي الحمد فكلامه واضح في الزندقة والإلحاد والتهكم في جوانب مختلفة من العقيدة، ومن أمثلة ذلك أقواله التالية في كتابه «الكراديب».

- ١- قوله (ص ٥٠): «دع الله وشأنه».
 - ٢- قوله (ص ٧٨): «الانتحار نصر على الله، في الانتحار تفوت الفرصة على الله أن يختار لك مصيرك».
 - ٣- قوله (ص ١٢٠): «إبداع الشيوعيين ليس مثله إبداع».
 - ٤- قوله (ص ١٣٧): «فالله والشيطان واحد هنا وكلاهما وجهان لعملة واحدة».
 - ٥- قوله (ص ١٣٨): «هناك جنة ونار معاً، الله وشيطان، نبي وفرعون، وكل في قدر يسبحون».
 - ٦- قوله (ص ١٨٧): «فنحن لا ندري إلى أي عالم سنكون، وإلى أي حياة أو فناء سنؤول».
 - ٧- قوله (ص ٢٧٤): «وقد يكون ما يسير الدنيا هو القدر أو العبت أو الحتم أو الصيرورة لا ندري».
- وبرفقه صور من صفحات الكتاب المشار إليه المشتملة على

هذه النقول.

وأما حسن فرحان المالكي فله تخطيط وتخليط وطعون في العقيدة والصحابة لم يسبق إليه، ثم ذكرت أمثلة من كلامه القبيح ثم ختمت الرسالة بقولي: (أرجو من سموكم الاطلاع والتكرم بإصدار أمر كريم بمحاكمتهما وتطبيق الحكم الشرعي فيهما، وقد ترون - حفظكم الله - التوجيه بقيام جهة مختصة تتولى مهام إقامة الدعوى على من يحصل منه اعتداء على العقيدة وتمرد على أحكام الله وسخرية واستهزاء بالدين وأهله، ثم تطبيق ما يقضي به الشرع في حقهم، وأسأل الله عز وجل أن يوفق سموكم لما فيه رضاه ونفع عباده وقطع دابر الإجرام والمجرمين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته).

أقول: أما حسن فرحان المالكي فقد دحرت أباطيله برسالتين إحداهما بعنوان (الانتصار للصحابة الأخيار في رد أباطيل حسن المالكي) والثانية بعنوان (الانتصار لأهل السنة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي) وهما مطبوعتان ضمن مجموع كتبي ورسائلي (٣٩٣-٣٣/٧).

وأما تركي الحمد فكلامه أشبه بهذيان المجانين، وهجوم مثله على الشيخ صالح اللحيدان - حفظه الله - لا يضيره بل يرفع من شأنه كما قال الشاعر:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص . . . فهي الشهادة لي بأني كامل

وأما فتوى الشيخ صالح اللحيدان - حفظه الله - بالقتل قضاءً لمن يسعى في الأرض فساداً، فإن قضايا القتل في المملكة العربية

السعودية تمر بمراحل هي : أن يشترك فيها ثلاثة من القضاة، ثم تحال إلى محكمة التمييز وقضاتها في القتل خمسة، ثم تحال إلى مجلس القضاء الأعلى بهيئته الدائمة وعددهم خمسة، ثم تحال إلى خادم الحرمين الشريفين فيتم تنفيذ القتل بعد المرور بهذه المراحل الأربع، فأى إشكال في قضية قتل أقرت من ثلاثة عشر قاضياً قبل وصولها لخادم الحرمين الشريفين.

وبعض المغرضين الحاقدين حذفوا من فتوى الشيخ صالح - حفظه الله - كلمة «قضاء» بغية التشنيع بسهولة القتل لمن يريده من الطائشين، فهم مثل الذي يقرأ قول الله عز وجل (فويل للمصلين) ويترك ما بعدها، والذي يقرأ قوله تعالى (يل أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة) ويترك ما بعدها.

ومما لا شك فيه أن المتفوه بقوله (دع الله وشأنه) وما نقلته عنه من الكلام القبيح الذي هو واضح في الكفر والزندقة والإلحاد تتعين محاكمته وتنفيذ ما يقضي به الشرع عليه.

والغالب أن اليهود والنصارى لا يجروون على التفوه بمثل هذا الاستهزاء بالله ولو وقف الجاحظ على هذا الكلام الذي هو في منتهى القبح لكفر قائله، وقد قيل: ويل لمن كفره الجاحظ، وإن لأعجب كيف تطيق عيون النظر إلى من يحصل منه مثل هذا الاستهزاء بالله عز وجل.

ومثل هذا الهجوم على الشيخ صالح - حفظه الله - من تركي الحمد وغيره حول هذه الفتوى الذي فيه العطف على المفسدين في الأرض هجوم يوسف هاشم الرفاعي على حكام المملكة

وقضاتها لقتلهم السحرة ومهربي المخدرات وذلك في نصيحته المزعومة لعلماء نجد، وقد رددت عليه برسالة مطبوعة ضمن مجموع كتبي ورسائلي (٧/٤٢٩-٥١٧) قلت فيها: ص ٤٩٨ (أنحى الكاتب باللوم على حكام المملكة العربية السعودية وقضاتها لقتلهم مهربي المخدرات، وكذلك باللوم عليهم لقتلهم السحرة) ومما قلت في الجواب: (إن هذا من عجيب أمر الكاتب؛ يتألم لعقوبة الظالمين وهم قليلون، ولا يتألم لضرر المظلومين وهم كثيرون لا يحصون، يشفق على الذئاب ولا يشفق على فرائسها، يعطف الرفاعي على الأفاعي، ولا يعطف على هلكى سمومها، وإن من حسن حظ المرء أن لا يكون ظهيراً للمجرمين).

وأسأل الله عز وجل أن يصلح أحوال المسلمين وأن يقيهم شر الأشرار وكيد الفجار والكفار، إنه سبحانه وتعالى جواد كريم.
وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

١٤٢٩/٩/٢٠ هـ

عبد المحسن بن حمد العباد البدر

كلمة أخرى حول زندقة تركي الحمد

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه.

وبعد، فقد سبق أن كتبت كلمة بعنوان «الحق أن المستحق للمحاكمة هو تركي الحمد، وقد طلبت محاكمته قبل ثمان سنين» ونشرت بتاريخ ٢٠/٩/١٤٢٩هـ، وذلك بمناسبة تطاوله على أحد المشايخ الكبار في المملكة وطلبه محاكمته، وقد كان طلبي محاكمته قبل ثمان سنين لكلام له ساقط هابط فيه الاستهزاء بالله ودينه الحنيف، جاء هذا الكلام في روايته الموضوعية «الكراديب»، وأعيد ذكره فيما يلي :

- (١): قوله (ص ٥٠): «دع الله وشأنه».
- (٢): قوله (ص ٧٨): «الانتحار نصر على الله، في الانتحار تفوت الفرصة على الله أن يختار لك مصيرك».
- (٣): قوله (ص ١٢٠): «إبداع الشيوعيين ليس مثله إبداع».
- (٤): قوله (ص ١٣٧): «فالله والشيطان واحد هنا وكلاهما وجهان لعملة واحدة».
- (٥): قوله (ص ١٣٨): «هناك جنة ونار معاً، الله وشيطان، نبي وفرعون، وكل في قدر يسبحون».
- (٦): قوله (ص ١٨٧): «فنحن لا ندري إلى أي عالم سنكون،

وإلى أي حياة أو فناء سنؤول».

(٧): قوله (ص ٢٧٤): «وقد يكون ما يسير الدنيا هو القدر أو العبث أو الحتم أو الصيرورة لا ندري».

وكان اللائق به لو حالفه التوفيق بعد نشر هذا الكلام عنه أن يذوب حياءً وخجلاً لفضاعة هذا الكلام المتناهي في السقوط والكفر والزندقة والإلحاد، وأن يتوب ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأعوذ بالله من الكفر والنفاق، لكن حليلة بقيت على عاداتها القديمة؛ فقد حاورته صحيفة الوطن ونشرت حوارها معه في يوم السبت ٢٩/٤/١٤٣٠هـ، وهي سبّاقة إلى النشر لهذه الفئة من البشر المتبعين للشهوات الذين يريدون أن تميل بلاد الحرمين ميلاً عظيماً، ومما جاء في حوارها معه سؤال عن عبارته «الله والشيطان وجهان لعملة واحدة!!»، ونصّ السؤال: «عبارة أوضحت كثيراً أنها أتت على لسان إحدى الشخصيات في الرواية، ومع ذلك مازال من يستشهد بها كي يدينك فما رأيك؟»

فأجاب بقوله: «هناك من يحاول البحث عن العيوب أو يريد قراءة انتقائية، وحتى الكتب المقدسة هناك من قرأها بطريقة انتقائية، وتخيل لو أتى أحد غير المسلمين وحاول قراءة القرآن بتصوير مسبق وحاول أن يجتزئ نصوصاً معينة سيحاول أن يظهر للعالم أن هناك نصوصاً تأمر بالقتل وغيره، المشكلة ليست في قراءة العمل ولكن كيف تقرأ العمل.»

ونص السؤال بعده: «يعني أنت مقرر أن هناك من حاول

الاصطياد في الماء العكر وتقديم هذه الروايات على أنها ضد الشريعة والإسلام؟»

فأجاب: «ليتهم قرؤوها، بل أخذوا عبارة واحدة فقط وقاموا بالتأجيج عليها،».

أقول: لا يعفيه هذا الكلام من تبعات تلك الجملة القبيحة التي هي من أقبح الكلام، وهي قوله: «الله والشيطان واحد هنا، وكلاهما وجهان لعملة واحدة!!»، فإن الرواية التي اشتملت عليها هذه الجملة هو الذي تخيلها وصاغها، وكان بإمكانه أن يتجنب كل عبارة فيها استهزاء بالله ودينه وكل كلام سيء، ولكن لم يحالفه التوفيق، ولم يكن القبح خاصاً بهذه الجملة فيتم انتقاؤها كما زعم، فما قبلها سيء وما بعدها سيء، وهذا سياق كلامه قبلها وبعدها: «سامحك الله يا ابن الطين! هل كان من الضروري أن تأكل من تلك الشجرة المحرمة وتبحث عن نبع الخلود، وتغضب رب الخلق والناس أجمعين؟! أكل هذا جزء من قدر إلهي أم عبث شيطاني؟! أم هي حكمة لا ندرىها مختبئة في عباءة قدر عبث أو عبث قادر؟! لا أحد يدري! فالله والشيطان واحد هنا، وكلاهما وجهان لعملة واحدة!! الصورة وعكسها، ولكن الكائن واحد، الحياة كلها سؤال بلا جواب».

وقبل هذا الهديان بقليل هذيان آخر وهو قوله: «رحماك يا رب العباد إن كان للعباد رب يحميهم؟! ولم لا؟ إن كان للبيت رب يحميه فلا بد أن للإنسان رباً يحميه أيضاً، فالبيت وضع للناس ولم يوضع الناس للبيت»، ولم يكن الخبث في رواياته

مقصوراً على عبارة واحدة كما زعم، بل عباراته الخبيثة كثيرة، ومنها ما جاء في الفقرات السابقة، ولو تتبع متتبع رواياته لوجد فيها الكثير من مثل هذه العبارات المشتملة على الاستهزاء بالله ودينه.

ولما سأله المحاور عن مقاضاته من تكلم فيه بكلام ساءه كان جوابه اتهام المحكمة وأن قضيتنه ستكون خاسرة، ثم قال: «وأبسط مثال قضايا رفعت ضد أفراد من هيئة الأمر بالمعروف خرجوا منها كما تخرج الشعرة من العجينة».

فلم يكن في ذهنه إلا تصيد أخطاء الهيئة والحرص على إدانتها، وهو في الحقيقة لم يرغب الذهاب إلى المحكمة لأنه إذا ذهب إليها سيجد عندها بيان حكم المرتد.

ومما جاء في الحوار: «الابتعاث مثلاً، هل تعتقد أنه سيأتي بجيل جديد متنور يفكر بمعزل عن التأثير؟»

فأجاب بقوله: «الابتعاث أحد الحلول، لكنه بالتأكيد ليس الحل الكامل، ونحن نعرف أن البعض يذهب للابتعاث ويعود بفكر أكثر تطرفاً، القضية تبدأ من الداخل وأعتقد أن المهم هو النظام التعليمي أعطني نظاماً تعليمياً جيداً أعطك أناساً سويين، حدثت تغييرات جيدة، ونحن من المنتظرين، ومثلاً الهيئة يجب أن تراعي عدة أمور منها سمعة المملكة في الخارج، وأي حدث يحدث لدينا ينشر في صحف العالم، وأعتقد أن إعادة الهيكلة في الهيئة وضبط النظام داخلها هي المهمة الأصعب للهيئة في قادم الأيام، ويجب كذلك عدم انتهاك حقوق المواطن والإنسان ونحن

نرى مقدمات جيدة للرئيس الجديد لعلها تكون بشرى خيرة..»
 وقد أقلق هذا المستهزئ بالله ودينه نظام التعليم وأنه يرغب
 تغييره على وجه يخرج أجيالاً من جنسه وعلى شاكلته، يستهزئون
 بالدين ويسعون في الإفساد في بلاد الحرمين بعد إصلاحها،
 وأقلقه أيضاً وضع هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،
 وأوجب عليها شيئين: أحدهما مراعاة السمعة في الخارج عند
 الغربيين وغيرهم، والثاني عدم انتهاك حقوق المواطن والإنسان،
 ومن المعلوم أن السمعة عند الغربيين لا تتحقق إلا بالتخلي عن
 الدين كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ
 تَبْعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِبَعَتِ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي
 جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ [البقرة: ١٢٠]، وأما
 عدم انتهاك حقوق المواطن والإنسان، فمقتضاه أن يكون كل
 إنسان حراً فيما يأتي ويذر، فلا يُتعرض له بأمر ولا نهي، وقد
 كانت علامة المنافقين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
 وأصحابه بُغض الأنصار؛ لأنهم قاموا بنصرة الدين وإظهار الحق،
 قال رسول الله ﷺ: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض
 الأنصار» رواه البخاري (١٧) ومسلم (٢٣٥)، وقال ﷺ:
 «الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم
 أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله» رواه البخاري (٣٧٨٣) ومسلم
 (٢٣٧)، وأما علامة المنافقين في هذا الزمان في هذه البلاد فهي
 بغض الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وتصيد أخطائهم
 وكذا تمني زوال هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو
 إضعافها، وقد قال الله عز وجل في كتابه العزيز: ﴿الْمُنَافِقُونَ

وَالْمَنْفَقَتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴿التَّوْبَةُ: ٦٧﴾، وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التَّوْبَةُ: ٧١].

وقد مدح الله على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذم على ترك ذلك فقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [٧٨] كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لِبئس ما كانوا يفعلون ﴿٧٩﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

وأما الرئيس الجديد للهيئات فأسأل الله عز وجل أن يعينه على القيام بما حمله من المسؤولية العظيمة على الوجه الذي يرضيه، ومن حسن حظّه ألا يرضى عنه هذا المستهزئ وغيره من غزاة هذه البلاد المتبعين للشهوات، ومن سوء حظ أي مسئول في أي موقع كان أن ترضى عنه هذه الفئة المنحرفة في أفكارها وأخلاقها الماكرة بحكومة هذه البلاد وشعبها، وقد كتبت رسالة بعنوان «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم أسباب قيام الدولة السعودية وبقائها»، وهي مطبوعة ومنشورة.

هذه بعض نماذج من الحوار الذي جرى بينه وبين الصحيفة والجواب عنها، والخير كل الخير لتركّي الحمد أن يتوب إلى الله من هذا الاستهزاء بالله ودينه قبل أن يأتيه الأجل وهو على هذه

الحال، وأن يسلم من الإفساد في بلاد الحرمين بعد إصلاحها،
وأسأل الله عز وجل أن يهديه وأمثاله إلى الصراط المستقيم، وأن
يخرجهم من الظلمات إلى النور، وأسأله سبحانه أن يحفظ هذه
البلاد حكومة وشعباً من كل سوء، وأن يقيها الشرور والفتن ما
ظهر منها وما بطن، إنه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى
آله وصحبه.

١٤٣٠/٥/٢٦ هـ

عبد المحسن بن حمد العباد البدر

كلمة ثالثة حول زندقة تركي الحمد

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فقد سبق أن كتبت كلمتين حول زندقة تركي الحمد، نُشرت أولاًهما في ٢٠/٩/١٤٢٩هـ بعنوان: «الحق أن المستحق للمحاكمة هو تركي الحمد»، والثانية بعنوان: «كلمة أخرى حول زندقة تركي الحمد» نُشرت في ٢٦/٥/١٤٣٠هـ على إثر حوار بينه وبين صحيفة الوطن، وقد ذكرت فيهما نماذج من كلماته القبيحة الواضحة في كفره وزندقته واستهزائه بالله وشرعه اشتمل عليها كتابه «الكراديب»، وأعيد ذكرها هنا ليقف على منتهى قبحها وفضاعتها من لم يقف على الكلمتين السابقتين:

- (١): قوله (ص ٥٠): «دع الله وشأنه».
- (٢): قوله (ص ٧٨): «الانتحار نصر على الله، في الانتحار تفوت الفرصة على الله أن يختار لك مصيرك».
- (٣): قوله (ص ١٢٠): «إبداع الشيوعيين ليس مثله إبداع».
- (٤): قوله (ص ١٣٧): «فالله والشيطان واحد هنا وكلاهما وجهان لعملة واحدة».
- (٥): قوله (ص ١٣٨): «هناك جنة ونار معاً، الله وشيطان، نبي

وفرعون، وكل في قدر يسبحون».

(٦): قوله (ص١٨٧): «فنحن لا ندري إلى أي عالم سنكون، وإلى أي حياة أو فناء سنؤول».

(٧): قوله (ص٢٧٤): «وقد يكون ما يسير الدنيا هو القدر أو العبث أو الحتم أو الصيرورة لا ندري».

ثم اطلعت على حوار أجرته معه صحيفة الجزيرة الصادرة في ٢٨/٤/١٤٣١هـ، وهذه تنبيهات على شيء مما جاء في هذا الحوار:

(١): أبدا في حوار ارتياحه في الوقت الحاضر لما وصفه بوجود مجالات التعدد وليس التوحد، وهو الذي يتمكن فيه أمثاله من الكلام الباطل في الدين، وقد كتبت كلمة في هذا الموضوع بعنوان: «دعاة التغريب ومصطلحهم (التعددية)» و«الأحادية» لانتقاء ما يوافق أهواءهم» نشرت في ٢٤/٢/١٤٣١هـ.

(٢): ذكر في حوار أن كتبه ممنوع بيعها في مكتبات المملكة ومعارضها، وأنه تكررت الوعود له بفسحها ثم يفاجأ بالمنع، وقال: «ومؤخراً أتاني وعد جديد بنشر كتبي في كل المكتبات وليس معرض الكتاب فقط، وها أنا من المنتظرين!».

أقول: وحقاً لكتب اشتملت على مثل هذه القبائح التي ذكرت نماذج منها أن تُمنع ومثلها حقيق بأن يُحرق، ومثلها لا يجوز الوعد بنشره فضلاً عن تنفيذ الوعد، وكان ينبغي بدلاً من أن

يوعد بنشرها أن يُطلب منه التوبة من كل ما اشتملت عليه من زندقة وأن يكتبَ كتابةً سليمةً تستحق النشر.

(٣): قال في حوارهِ: «فالآن نستطيع أن نناقشهم بكل حرية أما في الماضي فكانوا يقولون الشيء ولا نستطيع أن نتناقش فيه بتاتاً، حالياً نستطيع في الصفحات الأولى بالجرائد أن ترد على أي عضو بهيئة كبار العلماء التي هي أعلى سلطة دينية في المملكة، وتستطيع أن ترفع شكوى ضد هيئة الأمر بالمعروف، سابقاً لم تكن تستطيع أن تقوم بهذه الأشياء، فهذا بلا شك تغير واضح وملحوس».

أقول: والآن رفعت الأفاعي رؤوسها حتى زعم هذا الزنديق التمكّن من التناول على هيئة كبار العلماء والنيل منهم في الصفحات الأولى من الصحف، ورفع شكوى ضد هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما كان ينبغي أن يتجرأ من يستهزئ بالله وشرعه على التبجح بمثل هذا العمل المشين وأن يتناول من يدعو إلى النار على من يدعو إلى الجنة، بل كيف تطيق عيون النظر إلى وجه هذا المستهتر المستهزئ بالله المتمرد على شرعه المعجب بإبداع الشيوعيين؟! ومثله إذا لم يتب من زندقته فلا أقلّ له من سكنى السجون على ظهر الأرض إذا لم يحصل له سكنى القبور في داخلها.

(٤): قال في حوارهِ: «وكما نعلم أن القاعدة الفقهية الشهيرة تقول: (أن الأصل في الأشياء الإباحة)، ولو تأملت المحرمات في الدين الإسلامي لوجدتها بعدد أصابع اليد!».

أقول: كيف صار لمن يستهزئ بالله ودينه أن يتكلم عن قاعدة فقهية وهي الأصل في الأشياء الإباحة، والمطابق لحاله كون الأصل الإباحية، ولم يذكر المحرمات في الدين الإسلامي التي زعم أنها بعدد أصابع اليد، بل الجمل السبع التي أشرت إليها من كتابه «الكراديب» هي من أعظم المحرمات الدالة على كفر قائلها وزندقته وإلحاده، والمحرمات في الدين الإسلامي كثيرة، وقد أورد الإمام الذهبي في كتابه «الكبائر» منها سبعين كبيرة.

(٥): قال في حوارهِ: «وهناك علماء شرعيون من خارج السعودية أتوا بأدلة شرعية كثيرة تدل على أن المحرم هو الخلوة غير الشرعية وليس الاختلاط، لأن الاختلاط جزء من الحياة ونراه في كل جوانبها: في السوق والشارع وحتى في الحرم المكي!! فإذا لماذا نحرم ما أحل الله؟!».

أقول: متى كان لأهل الزندقة والإلحاد أن يتكلموا في الحلال والحرام؟! ومثل هذا الزنديق لا يعجبه ولا يكفيه إلا أن تكون النساء في بلاد الحرمين مماثلة لما عليه النساء في الغرب من الانحلال.

(٦): جاء في الحوار: «ما رأي الدكتور الحمد في هجرة بعض المثقفين السعوديين إلى خارج المملكة والعيش في الخارج؟ قال: هم يبحثون في هذه الهجرة عن الحرية الاجتماعية والحرية الثقافية.»

هل سنرى الدكتور تركي الحمد من ضمن هؤلاء المهاجرين؟

قال: لا أظن هذا؛ فبيئتي هنا وشرعيتي تقوم على وجودي في بلدي، فإذا خرجت من بلدي ستضعف علاقتي معها بشكل محسوس، فأنا باقي في وطني المملكة العربية السعودية).

أقول: لم يُرد هذا الزنديق المستهزئ بالله ودينه أن يخرج من هذه البلاد مع المثقفين الذين يبحثون عن الحرية الاجتماعية والثقافية، وأثر البقاء في المملكة ليفسد في بلاد الحرمين بعد إصلاحها وهو من ألد الأعداء لها حكومةً وشعباً وهو عدو في أثواب صديق، يوضح هذه العداوة ما قاله في كتابه «العدامة» (ص ٢٣) على لسان من تخيَّله وسماه منصوراً وهو يخاطب من سماه هشاماً: «ما رأيك في الحكومة يا هشام؟!» ثم قال منصور: «لا داعي للإجابة، أنا أجيب عنك: إنها حكومة فاسدة لا همّ لها إلا مصلحتها ونهب خيرات الشعب الذي لا حقوق له، إن الشعب مجرد عبيد أو رعايا على أفضل الأحوال ليس إلا!!»، إلى أن قال في هذيانه (ص ٢٤): «وصمت منصور بضع لحظات، ثم قال: أنا أدعوك للانضمام إلى تنظيم يسعى إلى مقاومة الظلم وإقامة العدل والحرية!!»، إلى أن قال منصور لهشام (ص ٢٥): «لست أول شخص أحادثه في هذا الأمر ولن تكون الأخير!!»، وهكذا كلُّ ينفق مما عنده وكل إناء ينضح بما فيه، وواجب الحكومة الحذر من الأعداء ولا سيما الأشد عداوة، كهذا وأمثاله الذين قال الله عن أسلافهم: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ﴾ [المنافقون: ٤]، وجهاد المنافقين ببيان فسادهم

وإفسادهم والتحذير منهم من أفضل الجهاد في سبيل الله في هذا الزمان.

(٧): جاء في الحوار أنه شارك في مهرجان الجنادرية وأنه قدّم ورقة عمل في أول ندواته تحدث فيها عن مفهوم الرأي الأوحى وفرض الوصاية، ومثله لا يليق أن يُدعى لهذا المهرجان ولا لغيره، ومن دعاه وهو غير عالم بزندقته فهو معذور، وأما من علم حاله فلا عذر له، بل المتعين الحذر منه كما يُحذر من الحيات والعقارب والذئاب، وكل من عنده إيمان يبرأ منه ومن زندقته، وقد قال عنه الشيخ الأديب أبو عبد الرحمن بن عقيل كما في ملحق المدينة بتاريخ ٢٢/ ١/ ١٤٣١هـ: «وأما تركي الحمد منذ أن قرأت كتابه (الكراديب) فأشهد الله على بغضه وبغض من شايعه، فوالله إن بطن الأرض خير لنا من ظاهرها إن عجزت الأمة عن صد من يسومها في عقيدتها ودينها».

وأسأل الله عز وجل أن يحفظ هذه البلاد حكومةً وشعباً من كل سوء، وأن يقيها شر الأشرار وكيد الكفار؛ إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

١٤٣١/٦/٢٤هـ

عبد المحسن بن حمد العباد البدر

من أسوأ المفسدين في بلاد الحرمين تركي الحمد

الحمد لله ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، ومن سلك سبيله واهتدى بهداه.

و بعد، فقد كتبت كلمة بعنوان: «خطورة الإفساد في بلاد الحرمين بعد إصلاحها» نشرت بالأمس، أشرت فيها إلى تسعة رهط زعموا تأسيس أول حزب سياسي في السعودية وأنهم الهيئة التأسيسية لهذا الحزب المزعوم، ونقلت جملاً من هذيانهم عن هذا الحزب، وأشرت أيضاً إلى رسالة موجهة إلى خادم الحرمين الشريفين حررها بعضهم وجمّعوا عليها توقيعات كثيرة من رجال ونساء، وقد اتفقت هاتان الفئتان في الرغبة في إصلاحات في الدولة ومن الدولة تتناسب مع ما جاء من الغرب وتخالف ما جاءت به الشريعة الإسلامية، وبينت فساد هذا الاتجاه.

وبعد مضي ساعة من نشر هذه الكلمة اطلعت على مطالب لفئة ثالثة تحت عنوان: «نداء من مثقفين سعوديين إلى القيادة السياسية: إعلان وطني للإصلاح»، مما جاء فيه: «إن الوضع الراهن مليء بالمحاذير وأسباب القلق... الأمر الذي يُخشى أن يؤدي إلى نتائج كارثية على البلاد والعباد»، «لهذا فإننا نتطلع إلى إعلان ملكي يؤكد بوضوح على التزام الدولة بالتحول إلى ملكية دستورية»، «والتأكيد على مسؤولية الدولة في ضمان حقوق الإنسان، وكفالة حق التعبير السلمي عن الرأي، وتعزيز الحريات

العامة، بما فيها الحق في تكوين الجمعيات السياسية والمهنية، «اعتماد الانتخاب العام والمباشر وسيلة لتشكيل المجالس البلدية ومجالس المناطق ومجلس الشورى، ومشاركة النساء في الترشيح والانتخاب»، «والمطلوب اتخاذ الإجراءات القانونية والمؤسسية الكفيلة بتمكين النساء من نيل حقوقهن في التعلم والتملك والعمل والمشاركة في الشأن العام دون تمييز».

وما جاء عن هذه الفئة الثالثة في ندائهم متفق مع ما جاء عن الفتيتين قبلها، فقد تشابهت قلوبهم، وما أجبت به عن الفتيتين الأوليين هو الجواب عن هذه الفئة الثالثة، وقد سلكت هذه الفئة مسلك الفئة الثانية التي حرر مطالبها بعضهم ثم جمّعوا عليها توقيعات كثيرة من رجال ونساء، لكن هذه الفئة الثالثة في طليعة من وقّع على ندائها - وقد يكون هو الذي حرر مطالبها - رجل زنديق محارب لله ولدينه، وقد استكثر بتوقيعات أربعة من أولاده، وسبق أن كتبت عنه ثلاث كلمات: الأولى بعنوان: «الحق أن المستحق للمحاكمة هو تركي الحمد .. وقد طلبت محاكمته قبل ثمان سنين» نشرت في ٢٠/٩/١٤٢٩هـ، والثانية بعنوان: «كلمة أخرى حول زندقة تركي الحمد» نشرت في ٢٦/٥/١٤٣٠هـ، والثالثة بعنوان: «كلمة ثالثة حول زندقة تركي الحمد» نشرت في ٢٤/٦/١٤٣١هـ، وقد ذكرت فيها نماذج من كلماته القبيحة الواضحة في كفره وزندقته واستهزائه بالله وشرعه اشتمل عليها كتابه «الكراديب»، وأعيد ذكرها هنا ليقف على منتهى قبحها وفظاعتها من لم يقف على الكلمات السابقة:

- ٢- قوله (ص٧٨): «الانتحار نصر على الله، في الانتحار تفوت الفرصة على الله أن يختار لك مصيرك».
- ٣- قوله (ص١٢٠): «إبداع الشيوعيين ليس مثله إبداع».
- ٤- قوله (ص١٣٧): «فالله والشيطان واحد هنا وكلاهما وجهان لعملة واحدة».
- ٥- قوله (ص١٣٨): «هناك جنة ونار معاً، الله وشيطان، نبي وفرعون، وكل في قدر يسبحون».
- ٦- قوله (ص١٨٧): «فنحن لا ندري إلى أي عالم سنكون، وإلى أي حياة أو فناء سنؤول».
- ٧- قوله (ص٢٧٤): «وقد يكون ما يسير الدنيا هو القدر أو العبث أو الحتم أو الصيرورة لا ندري».
- وإذا كانت هذه حال من هو في طليعة أصحاب هذا النداء - وقد يكون من تحريره، وقد استكثر بتوقيعات أولاده - فإنه يصدق عليه وعلى الذين تابعوه بتوقيعاتهم قول الشاعر:
- ومن جعل الغراب له دليلاً
يمر به على جيف الكلاب
ويصدق عليه وعلى الدولة قول الشاعر:
- ومن يجعل المعروف في غير أهله
يلاقي الذي لاقى مجيرام عامر
«وأم عامر» هي: الضبع.

وكل من له عقل ودين ويطلع على كلماته القبيحة المشتملة على الاستهزاء بالله ودينه يمقته ويمتلئ قلبه بغضاً له.

وكل ما جاء عن الفئات الثلاث مخالفاً لما جاءت به الشريعة - مما زعموه إصلاحاً - لا يجوز الالتفات إليه ويجب إهماله، وأما المحافظة على المال العام ووضعه في مصارفه الشرعية وتيسير وصوله إلى كل من يستحقه شرعاً، وإيجاد فرص العمل للعاطلين، وكل ما فيه تحسين المعيشة فكل ذلك مطلوب.

ومن الخير لكل مسلم ناصح لنفسه في هذه البلاد الحرص على جمع الكلمة ونبذ الفرقة، والحذر من إثارة الفتن التي تعصف بالبلاد وتكدر صفو أهلها وتؤدي إلى عواقب وخيمة.

وأسأل الله عز وجل أن يحفظ بلاد الحرمين وأهلها من كل سوء، وأن يهيئ لهم من أمرهم رشداً، وأن يوفقهم حاكمين ومحكومين لما تحمد عاقبته في الدنيا والآخرة؛ إنه سميع مجيب. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

١٤٣٢/٤/٤ هـ

عبد المحسن بن حمد العباد البدر

زنديق يمشي على الأرض يصف الله بأنه مسكين ويسب الدولة السعودية

الحمد لله الحليم على من استهزأ به، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائل فيما صح عنه: «إن الله ليملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فقد اطلعت على كلمات سيئة مستخرجة من تويتر في شبكة المعلومات لرجل هو في منتهى السوء تطاول فيها على صاحب السمو الملكي الأمير: عبد العزيز بن فهد بن عبد العزيز آل سعود وسب فيها الدولة السعودية هو: تركي الحمد، وغالبها تتعلق بالحسد على نعمة المال، وهذه صفة المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨]، وليس بغريب على من سب الخالق سبحانه وتعالى واستهزأ به أن يسب الدولة السعودية التي قامت على تحكيم الكتاب والسنة وقد مضى على تأسيسها ما يقرب من ثلاثة قرون، وهذه الكلمة هي الكلمة الخامسة التي كتبها عن هذا الإنسان التائه، وقد نشرت الأولى بتاريخ ٢٠/٩/١٤٢٩هـ بعنوان: «الحق أن المستحق للمحاكمة هو تركي الحمد، وقد طلبت محاكمته قبل ثمان سنين»، ونشرت الثانية بتاريخ ٢٦/٥/١٤٣٠هـ بعنوان: «كلمة أخرى حول زندقة تركي الحمد»، ونشرت الثالثة بتاريخ ٢٤/٦/١٤٣١هـ بعنوان: «كلمة ثالثة حول زندقة تركي

الحمد»، ونشرت الرابعة بتاريخ ٤/٤/١٤٣٢هـ بعنوان: «من أسوأ المفسدين في بلاد الحرمين تركي الحمد»، ونشرت مجتمعة مع غيرها بتاريخ ٢١/٩/١٤٣٢هـ بعنوان: «ثلاث وثلاثون كلمة في مجالات إصلاحية متنوعة ودحض أباطيل مختلفة»، وقد ذكرت في هذه الكلمات سبعة نماذج من كلماته القبيحة في الاستهزاء بالله عز وجل معزوة إلى كتابه: «الكراديب»؛ وهي:

- ١- قوله (ص ٥٠): «دع الله وشأنه».
- ٢- قوله (ص ٧٨): «الانتحار نصر على الله، في الانتحار تفوت الفرصة على الله أن يختار لك مصيرك».
- ٣- قوله (ص ١٢٠): «إبداع الشيوعيين ليس مثله إبداع».
- ٤- قوله (ص ١٣٧): «فالله والشيطان واحد هنا وكلاهما وجهان لعملة واحدة».
- ٥- قوله (ص ١٣٨): «هناك جنة ونار معاً، الله وشيطان، نبي وفرعون، وكل في قدر يسبحون».
- ٦- قوله (ص ١٨٧): «فنحن لا ندري إلى أي عالم سنكون، وإلى أي حياة أو فناء سنؤول».
- ٧- قوله (ص ٢٧٤): «وقد يكون ما يسير الدنيا هو القدر أو العيب أو الحتم أو الصيرورة لا ندري».

أما وصف الله بأنه مسكين فقد جاء في كتابه: «الكراديب» (ص ٦٢) حيث قال على لسان من سماه هشاماً: «مسكين أنت يا الله دائماً نحملك ما نقوم به من أخطاء»، والكلام كلامه وليس

كلامَ رجلٍ موهوم يقال له هشام، ومن أراد الوقوف على شيء من مخازيه أيضاً في سب الله يجد ذلك في شبكة المعلومات تحت عنوان: «نظرات في كتب الدكتور تركي بن حمد الحمد» للشيخ عبد الرحمن بن سعد الشثري.

ومع ما اشتملت عليه كلمات هذا المسكين من استهزاء بالله فإنه لا يزال يمشي على الأرض بل على أرض بلاد الحرمين، وهو حقيق بما قاله أبو بكر بن العربي في كتابه: العواصم من القواصم (ص: ٢٤٧) عن أناس مخذولين ذكر كلامهم وقال: «في كفرٍ بارد لا تسخنه إلا حرارة السيف، فأما دفء المناظرة فلا يؤثر فيه».

وقد قال الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقييل عنه وعن كتابه الكرايب كما في ملحق صحيفة المدينة بتاريخ ٢٢/١/١٤٣١هـ: «وأما تركي الحمد منذ أن قرأت كتابه (الكرايب) فأشهد الله على بغضه وبغض من شايعه، فو الله إن بطن الأرض خير لنا من ظاهرها إن عجزت الأمة عن صد من يسومها في عقيدتها ودينها»، وسبق أن ذكرت ذلك في الكلمة الثالثة، وأما أنا فإني أعجب ممن يطلعون على استهزائه بالله ثم تطيق عيونهم النظر إليه فضلاً عن مجالسته ومحادثته، والواجب المبادرة إلى إحالته إلى محكمة شرعية لمحاكمته، وفي صحيح البخاري (٤٣٤١) أن رسول الله ﷺ بعث أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما وجعل كلاهما على ناحية فكان كل واحد منهما إذا سار في ناحيته قريباً من ناحية الآخر زاره فجاء معاذ يسير على بغلته إلى أبي موسى وهو جالس وقد اجتمع إليه الناس وإذا رجل عنده قد جمعت يداه إلى عنقه فسأل عنه أبا موسى؟ قال: هذا رجل كفر بعد إسلامه، قال: لا

أنزل حتى يقتل ، قال إنما جيء به لذلك فانزل ، قال : ما أنزل حتى يقتل ، فأمر به فقتل .

أما سبه وذمه للدولة السعودية فهو في الحقيقة مدح لها كما قال الشاعر :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص

فهي الشهادة لي بأني كامل

وأما نيله من سمو الأمير عبد العزيز بن فهد فإنه يصدق عليه قول الأعشى :

كناطح صخرة يوماً ليوهنها

فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وعلوه عند نفسه وتطاوله على من هو عال شبيه بعلو الدخان في قول الشاعر :

ولا تك كالدخان يعلو بنفسه

إلى صفحات الجو وهو وضع

ولا يظن هذا المسكين أن هذا المدح سببه الظفر أو الطمع بشيء مما حسدَ عليه فقد قلت في رسالة : «بذل النصح والتذكير لبقايا المفتونين بالتكفير والتفجير» (ص ٤٨) طبعت عام ١٤٢٧هـ : «ورغبة في أن يستفيد هؤلاء الشباب من نصحي أقول لهم عن نفسي : لقد أغناني الله من فضله ، فلم يدخل في ملكي شبرٌ من الأرض إلا بالشراء ممن يملكه شرعاً ، ولم أتقاض شيئاً من أموال الدولة - وذلك جازئ شرعاً لمن حصل له بدون إشراف نفس -

والمرتبة التي كنت أتقاضى راتبها عند التقاعد سنة (١٤١٣هـ) حصلت عليها في عهد الملك فيصل سنة (١٣٩٣هـ)، ولست بما قلته طامعاً ولا راغباً في حصول أي نفع ماديٍّ أو معنويٍّ.

وهذا المسكين همه الدنيا والحسد عليها، أما أنا فأسوأ ما ساءني وآلمني - وهو يعجبه لأنه من أسوأ التغريبيين - شيئاً حصلنا في هذه البلاد في السنوات القليلة الماضية، الأول: انفلات النساء وترك الحجاب والاختلاط بالرجال بمكر الماكزين من التغريبيين من المسؤولين في الدولة وغيرهم، وقد كتبت في التحذير من ذلك ثلاثين كلمة منشورة، وخمس رسائل مطبوعة، والثاني: إحداث كليات في عدد من جامعات المملكة للحقوق وللشريعة والقانون، وقد كتبت في ذلك كلمة بعنوان: «أفي بلاد الحرمين يُنشأ كليات للحقوق وللشريعة والقانون؟! واعجباً ووا أسفاً!!» نشرت في ١٣/٢/١٤٣٢هـ.

ومن حسن حظ خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله حفظه الله ووفقه لما فيه رضاه أن لا يخرج من الدنيا إلا وقد خلص نفسه وبرأ ساحته من كل ما أحدث في عهده بمكر التغريبيين اللاهثين وراء نعيق الغريبين ليسلم من تبعات ذلك في الحياة وبعد الممات، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تُقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفلٌ من دمها؛ لأنه أول من سنَّ القتل» رواه البخاري (٣٣٣٥)، ومسلم (١٦٧٧)، والله يعلم أنني ناصح له وحريص على سلامته وسلامة هذه الدولة التي عشنا وعاش آباؤنا وأجدادنا في ولايتها في أمن وإيمان.

وأسأل الله عز وجل أن يحفظ على بلاد الحرمين أمنها وإيمانها وسلامتها وإسلامها وأن يوفق ولاتها لكل خير وأن يحفظهم من كل شر وأن يقي هذه البلاد شر الأشرار وكيد الفجار، إنه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

٢٣ / ١ / ١٤٣٣ هـ،

عبد المحسن بن حمد العباد البدر

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
التعريف بتركي الحمد	٧
مؤلفاته :	٨
نقد كتاب : (الثقافة العربية أمام تحديات التغيير)	١١
نقد كتاب : (دراسات أيولوجية في الحالة العربية)	٦٧
✿ المسلمون ليسوا أفضل البشر عند الحمد !	٦٧
✿ الحضارة (المادية) مرتبطة بأديان وثقافات الكفار عند الحمد	٦٩
✿ هل يدعو الحمد إلى نقد الكتاب والسنة الصحيحة؟!	٧٢
✿ الحمد يزعم أن حياة الرسول ﷺ متناقضة !!	٧٦
نقد مضامين ثلاثية تركي الحمد	٨١
١ - العدامة :	٨١
٢ - الشميسي :	٨٣
٣- الكرايب :	٨٥
✿ ملامح بطل الثلاثية : هشام العابر :	٨٦
✿ نقد مبادئ الماركسية	٩٧
✿ نقد مبادئ القومية العربية	١١١
✿ نقد مبادئ حزب البعث العربي الاشتراكي	١٢١
✿ نقد مبدأ الإنسانية	١٣٣

- ١٣٩..... ❁ تركي الحمد وعقيدة القدر
- ١٥٢..... ❁ خالف أهل السنة في مسألة القدر فرقتان رئيستان :
- ١٥٩..... ❁ متى يسوغ الاحتجاج بالقدر ؟
- ١٦١..... ❁ الماركسيون جبريون :
- تركي الحمد يتنقص في ثلاثيته : الله وملائكته وكتبه ورسله
- ١٦٢..... ❁ ودينه وعباده الصالحين
- ١٧١..... ❁ الحمد يمتهن لفظ (العبادة) :
- ١٧٢..... ❁ تنقص عظيم :
- ١٨٧..... ❁ الحلف بغير الله في روايته :
- ١٨٨..... ❁ الحمد يعتقد أن الله في كل مكان !!
- ١٩٠..... ❁ الحمد يرى أن عبودية الله كالأغلال !!
- ١٩١..... ❁ تنقصه الملائكة الكرام :
- ١٩٢..... ❁ تنقص الحمد القرآن :
- ١٩٣..... ❁ بغضه لمادة القرآن !
- ١٩٤..... ❁ تنقصه الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - :
- ٢١٢..... ❁ الحمد يعتقد صلب المسيح ﷺ !!
- ٢١٣..... ❁ تنقص آخر لأنبياء الله :
- ٢١٥..... ❁ سخرية الحمد بشعائر الإسلام :
- ٢١٦..... ❁ سخريته بأحاديث النبي ﷺ :
- ٢١٩..... ❁ بغض الحمد عبادة الله الصالحين :
- ٢٢٥..... ❁ مباحث أخرى : تنقص الحمد قبيلة النبي ﷺ :
- ٢٢٦..... ❁ حقد الحمد على حكومة المملكة العربية السعودية :
- ٢٢٩..... ❁ محبة الحمد للرافضة ودفاعه عن عقائدهم الفاسدة :

- ٢٣١..... : المواقف الجنسية في ثلاثية تركي الحمد : ❁
- ٢٤١..... : العبارات الوقحة في ثلاثية تركي الحمد : ❁
- ٢٤٣..... : أوجه التشابه بين ثلاثية تركي الحمد وثلاثية نجيب محفوظ : ❁
- ٢٤٥..... : أحداث ثلاثية نجيب محفوظ. : ❁
- ٢٤٥..... : ١- بين القصرين : ❁
- ٢٤٨..... : ٢- قصر الشوق : ❁
- ٢٤٩..... : ٣- السكرية : ❁
- ٢٥١..... : ❁ شخصيات ثلاثية نجيب محفوظ :
- ٢٥٦..... : ❁ أوجه التشابه بين ثلاثية الحمد وثلاثية نجيب محفوظ :
- ٢٦٧..... : ❁ خاتمة موجزة
- ❁ ملحق يحوي بيانات الشيخ العلامة : عبدالمحسن العباد في
- ٢٦٩..... : بيان حال تركي الحمد
- ❁ الحق أن المستحق للمحاكمة هو تركي الحمد . . وقد
- ٢٧٣..... : طلبت محاكمته قبل ثمان سنين
- ٢٧٩..... : ❁ كلمة أخرى حول زندقة تركي الحمد
- ٢٨٦..... : ❁ كلمة ثالثة حول زندقة تركي الحمد
- ٢٩٢..... : ❁ من أسوأ المفسدين في بلاد الحرمين تركي الحمد
- ❁ زنديق يمشي على الأرض يصف الله بأنه مسكين
- ٢٩٦..... : ويسب الدولة السعودية
- ٣٠٣..... : فهرس المحتويات

